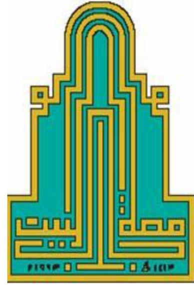
بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة آل البيت
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

رسالة ماجستير بعنوان

ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك

دراسة لغوية دلالية

Terms of water and its Indication in the brats poetry

A Linguistic and Symantec Study

إعداد الطالب

حسن جويعد العجمي

إشراف

د. محمود الديكي

2017م

التفويـض

أنا حسن جويعد العجمي أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسـالتي للمكتبـات أو المؤسسـات أو الـهيئـات أو الأشـخاص عنـد طلـبهم حسـب التعليمـات النـافذة في الجامعة.

التوقيـع:

التاريـخ: 24/ 5/ 2017م

إقرار والتزام بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها

أنا الطالب: حسن جويعد العجمي **الرقم الجامعي:** 1470301003

التخصص: اللغة العربية وآدابها **الكليـــــــة: كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المعمول بها المتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك: دراسة لغوية دلالية

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: **التاريخ : 24/ 5/ 2017م**

عمادة الدراسات العليا
جامعة آل البيت

قرار لجنة المناقشة

إعـــداد الطالب: حسن جويعد العجمي

إشراف
الدكتور: محمود محمد الديكي

أعضاء لجنة المناقشة		**التوقيع**
١ .الدكتور محمود محمد الديكي	مشرفاً ورئيساً	
٢ .الدكتور أحمد مشرف الحراحشة	عضواً	
٣ .الدكتور حسين ارشيد العظامات	عضواً	
٤ .الدكتور أحمد محمد أبو دلو	عضواً/ مناقشاً خارجياً	

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت.

نوقشت وأوصى بإجازتها بتاريخ: ١٨ / ٥ /٢٠١٧م

الإهداء

إلى كل من حمل كتابه بيمينه وقنديله بيساره بحثًا عن المعرفة

إلى الأهل، والأصدقاء، والزملاء، والأحبة.

الشكر والتقدير

إلى كل من وقف بجواري وساندني لأرتقي في فضاء العلم

الدكتور محمود الديكي

إدارة جامعة آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية

الدكتور أحمد عجمي

الأصدقاء داخل دولة الكويت وخارجها

شكرًا لكم..

فهرس المحتويات

الملخص

تضمنت دراسة (ألفاظ الماء ودلالاتها عند الشعراء الصعاليك: دراسة لغوية دلالية) مقدمةً وثلاثة فصولٍ، جاء الفصل الأول تحت عنوان (الماء ومكوناته والألفاظ الدالة عليها) وضمَّ السحاب والألفاظ الدالة عليه، والرعد والبرق في التوظيف الحسي والمعنوي، والمطر والألفاظ الدالة عليه. وجاء الفصل الثاني تحت عنوان (المجمعات المائية والألفاظ الدالة عليها) وضمَّ السيول وأنواعها، والأحواض والغدران والقيعان والأودية والآبار بين دلالتي العموم والخصوص، وعيون الماء والبحر ومتعلقاته والندى. وجاء الفصل الثالث تحت عنوان (الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها) وضم مبحثين اثنين، الأول الاشتقاقات المتصلة بالماء ودلالاتها، والثاني الألفاظ المتصلة بالماء وتطورها الدلالي.

خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، منها الخاص بعنصر الماء وتوظيفه في الشعر، ومنها الخاص باهتمامات الشعراء وتوجهاتهم فيما يتعلق بالحقل الدلالي للماء ومواضعه، حيث كان حضور عنصر الماء واضحًا ومميزًا في شعر الصعاليك مما يدل على أهميته لديهم. كما أن استعمال الشعراء الصعاليك الألفاظ الدقيقة لكل حال من أحوال الماء في التكوين أو التجمّع يدل على بلاغتهم وحرصهم على تسمية الأشياء بمسمياتها الدقيقة. وكان لأسماء المطر النصيب الأكبر فورد ستة عشرة مرة فيما وقفت عليه من شعرهم.

بيَّنت الدراسة تميّز الشاعر القتَّال الكلابي بأنه أكثر الشعراء الصعاليك عناية بذكر مواضع الآبار والأودية وإيراد القرائن البيئية للبادية في شعره، وهذا يشير إلى سعة اطلاعه ومعرفته الجغرافية، إضافة إلى معرفة بعض الشعراء الصعاليك بعلم النجوم ومواضعها ودلالاتها. وبيّنت الدراسة مواضع التطور الدلالي في مفردات الحقل المائي بين السلبية والإيجابية، ومدى عناية الشعراء الصعاليك بتوظيف الألفاظ وفق معناها اللغوي بما يخدم السياق، وكل ذلك تم توضيحه بالتفصيل في ثنايا الدراسة.

Abstract

This Study included (pronunciations of the water and her signs at the wretch poets': Linguistic semantic study) introduction and three chapters, the first chapter called (formed of the water and the indicative pronunciations on him) it includes the clouds and the indicative pronunciations on it, and the thunder and the lightning in the perceptual and moral use, and the rain and the indicative pronunciations on it. The second chapter indicated (the hydro accumulators- Lakes and waterfalls- the indicative pronunciations on them) it includes the floods and its kinds, the troughs and the brooks, the bottoms and the indicative pronunciations on them, also the valleys and the wells between two evidences of the generality and the regard, the conscious water or sea related words. The third chapter was called (the pronunciations that is connected or meant the water and its signs). In addition, this chapter has two parts, first derivations of the connected acts in the water and its signs, and the second part has the pronunciations of the water and its semantic development.

The study ended up to a number of the results of the water relative elements and its use in the poetry, also wretch poets relative interests and their directions in what the semantic field of the water and its hangs in places, where their use of water and water elements was clear and distinguished in poetry of the wretches. This indicates the importance of the water for them. Also, the usage of accurate pronunciations for each situation or forming for the water indicates and shows their eloquence and their compliance of giving specifications and exact naming of the water types or formation. For example, using the names of the rain were the biggest share in the wretch poetry, were found sixteen times during this study.

In addition, this study showed the excellences and distinctive of ALkattal ALkalabi as one of the best wretch poet of using water related words and mentioning the places of the wells and the valleys and citation of the environmental spouses for the steppe that he described in his poetry, this capacity of information indicates his knowledge of the geography of the area. Also, this study showed the steps of development of using such meaning that the water field's poetry has, by showing advantages and disadvantages. In this stay, all that was clearly described in a detailed manner.

مقدمة

لم يكن الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام وما بعده إلى العصر الأموي، محدودي التفكير، جزئيي النظرة، بل إنهم نظروا إلى الكون وموجوداته بتمعن، واستوعبوا تفاصيل الطبيعة أمامهم، وحصروها في حقول دلالية تجمع بينها بحسب أحوالها وصفاتها. ومن ذلك، عنصر الماء، حيث إنه المكون الرئيس للحياة في الوجود.

لألفاظ الماء دلالات متنوعة بتنوع حالاته وصفاته منذ مرحلة التكوين إلى مرحلة الاستهلاك، وهي الدلالات التي تحيل إلى مادة الماء بحالاتها الفيزيائية بداية من تكوينه في الغيم إلى أن يستقر في الأرض على أشكال متنوعة في الكم والحجم والمساحة والهدوء أو الصخب.

ويعد الماء أساس الحياة في الأرض بعامة، كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وفي البوادي القاحلة الشحيحة به بخاصة، وهي البيئة التي سكنها الشعراء الصعاليك المعنيون بالدراسة؛ إذ إنهم اتكأوا في استيحاء الصورة الفنية والكنايات التعبيرية على العناصر الطبيعية المحيطة بهم، سواء أكانت وافرة أم نادرة، ومن ذلك، عنصر الماء، فاستعملوا دلالاته في بناء القصيدة جماليًّا وفنيًّا مستندين إلى تجسيد الأبعاد المادية والإيحائية المتعددة والمتداخلة لهذا العنصر، ثم أسقطوا دلالاته على الوصف الشعري، وتفسير أحوالهم النفسية، للتعبير عن رهافة الوجدان الداخلي لديهم من جهة، والتركيز على تفتيق دلالات الماء و تعارضاته في محيط الشعراء من جهة أخرى. وتنوع توظيفهم لألفاظ الماء بين دلالتي السلبية والإيجابية.

وللماء قداسة خاصة في جميع الديانات دون سائر الموارد الطبيعية، فإضافة إلى ذكره في القرآن الكريم، وله قداسة في الديانة المسيحية في التعميد، فلا يستعاض عنه بغيره. وفي الديانة اليهودية يستعملون الماء في طقوس التنظيف وتبرئة الذات من الذنوب وفي التعميد أحيانًا. وكان القدماء يرون في أعماق الآبار والينابيع والأنهار العذبة قوى خفية مؤثرة تمنح مياه تلك المواضع قدسية خاصة. وفي الواقع أننا لانزال نرى هذا التقديس باقيًا

1 - **الأنبياء**: 30.

حتى الآن[1]؛ ويتمثل ذلك في الاستشفاء بماء زمزم مثلاً، والتعميد بالمياه المقدسة في الكنائس.

وبما أن الحضارات القديمة والحديثة تقدر أهمية الماء، فهذا يمنحه إيجابية في حضوره، وحيث إن قصائد الشعراء العرب تكاد لا تخلو من الإشارة إليه، فإنه يجدر الوقوف عند دلالته ورموزه، وقد ارتأينا دراسته في شعر الصعاليك، حيث إن دراسة سابقة قد تناولت رمز الماء عند شعراء الجاهلية بشكل عام، ولما كان لحياة الصعاليك وتجربتهم الفنية والمجتمعية خصوصية فقد رأيت أن أستقرئ أبعاد تلك الألفاظ والعبارات عند هذه المجموعة من الشعراء.

أهمية الدراسة

تأتي الأهمية في ثلاثة جوانب:

1- مكانة الماء في ذاته وحضوره في الشعر.
2- غنى المعجم اللغوي الخاص بالماء والألفاظ المتصلة به في شعر الصعاليك.
3- الوقوف على التوظيف الشعري للماء والألفاظ الدالة عليه والمتصلة به في جميع مكوناته وحالات استعماله.
4- تبيين قدرة الشعراء الصعاليك على توظيف ألفاظ الماء ضمن الدلالات الملائمة للسياق والمعنى اللغوي الأصلي للمفردة.

إشكالية الدراسة

تحاول الدراسة الإجابة عن عدد من الأسئلة:

1- ما هي أبرز الألفاظ التي استعملها الشعراء الصعاليك للدلالة على عنصر الماء وما يتصل به؟
2- إذا كان حضور الماء إيجابيًّا، فهل وردَ سلبيًّا؟ وهل تطرق الشعراء الصعاليك إلى رمز الماء في الدلالتين، أو اكتفوا بتصويره على أنه مصدر الحياة وقوامها؟

---

1 - انظر: علاء النشمي، **أسطورة الماء في الأديان فكرًا وطقسًا**، مقال منشور في الموقع الإلكتروني لاتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، الجمعة، 05 نيسان/ أبريل 2013م. http://www.mandaeanunion.org/ar

3- هل اشتمل توظيف الشعراء للألفاظ الدالة على الماء تطورًا دلاليًّا في مستوى المفردة؟

منهج الدراسة

إن المنهج المتبع في الدراسة وصفي تحليلي، بتتبع مواطن ورود ألفاظ الماء في قصائد أبرز الشعراء الصعاليك، ثم تصنيفها حسب سياقها الذي وردت فيه، أو حقلها الدلالي، ثم تحليلها وصولاً إلى النتائج.

حدود الدراسة

1- **الحدود الزمانية**: تمتد من مرحلة ما قبل الإسلام إلى العصر الأموي.
2- **الحدود المكانية**: معظم شبه الجزيرة العربية، موطن الشعراء الصعاليك وبيئتهم التي نظموا فيها ومنها أشعارهم.
3- **الحدود الموضوعية**: القصائد والمقطعات والمفردات الشعرية التي نظمها أبرز الشعراء الصعاليك وتضمنت رمز الماء أو ما يتصل به من ألفاظ وعبارات.

الدراسات السابقة والموازية

لم أقف في حدود ما بحثت فيه على دراسة تناولت دلالة ألفاظ الماء عند الشعراء الصعاليك على أهمية هذا المكون وأبعاده الرمزية عند هؤلاء الشعراء، ومن الدراسات التي عنيت بعنصر الماء في الشعر:

- إبراهيم أبو علوش؛ أحمد الحراحشة، "المقاصد الدلالية المستخفية لآيات الماء في القرآن الكريم"، **مجلّة المنارة للبحوث والدراسات**، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، مجلد 11، العدد (2)، 28 مارس 2013م.
- إحسان يعقوب حسن، **الماء في الشعر الجاهلي**، إشراف: يسري سلامة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب- قسم اللغة العربية، 1982م.
- إدريس الناقوري، **مصطلح الماء في الأدب والنقد**، مجلة كلية الآداب، جامعة شعيب الدكالي (الجديدة)، المملكة المغربية، مجلد 2، العدد (2)، 1995م.

- أنـور أبـو سـويلم، **المطـر فـي الشـعر الجـاهلي**، دار عمّـار- عمّـان؛ دار الجيل للطباعة والنشر- بيروت، 1987م.
- ثنـاء أنـس الوجـود، **رمـز المـاء فـي الأدب الجـاهلي**، مكتبـة الشـباب، القاهرة، 1986م.
- حـاتم حسـين البصـيص، **دلالـة المـاء فـي الشـعر الجـاهلي**، رسـالة مقدمـة لنيـل درجـة الماجسـتير فـي الآداب (الدراسـات الأدبيـة)، إشـراف: الأسـتاذ الـدكتور عبدالرزاق الخشـروم، قسـم اللغـة العربيـة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة حلب، سورية، 2005م.
- رائـدة زهـدي رشـيد حسـن، **المـاء فـي شـعر البحتـري وابـن زيـدون: دراسـة موازنـة**، إشـراف: الأسـتاذ الـدكتور وائـل أبـو صـالح؛ الـدكتور إحسـان الـديك، قـدمت هـذه الأطروحـة اسـتكمالاً لمتطلبـات درجـة الماجسـتير فـي اللغـة العربيـة بكليـة الدراسـات العليـا فـي جامعـة النجـاح الوطنيـة- كليـة الدراسـات العليـا، نـابلس، فلسـطين. 2009م.
- عبـدالملك مرتـاض، **طقـوس المـاء فـي المعلقـات**، منشـورات اتحـاد الكتاب العرب، دمشق، 1998م.
- عزيـز العربـاوي، **"رمزيـة المـاء فـي التـراث الشـعري العربـي: دراسـة سـيميائية"**، كتـاب تـم توزيعـه مجانًـا مـع مجلـة الرافـد- الشارقة، العدد (87)، فبراير 2015م.
- علـي معـدلي، محبوبـه محمـد زاده سـيرازي، **المطـر وتجلياتـه فـي شـعر امـرئ القـيس وعبيـد بـن الأبـرص**، مجلـة التـراث الأدبـي، السنة 2، العدد (7)، د. تا.
- فتحـي عبـدالعزيز العبادسـة، **"المـاء فـي القـرآن الكـريم: دراسـة موضـوعية"**، رسـالة ماجسـتير، الجامعـة الإسـلامية – غـزة، كليـة أصول الدين، 2002م.

كما حظي شعر الصعاليك بعدد من الدراسات، منها:

- أحـلام عبـد العـالي غـالي الصـاعدي، **شـعر الصـعاليك فـي حماسـة أبـي تمـام مـن منظـور شُـرَّاحها: دراسـة نقديـة**، رسـالة ماجسـتير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، 2012م.
- أحمـد سـلمان مهنـا، **المـرأة فـي شـعر الصـعاليك فـي الجاهليـة والإسـلام**، إشـراف: الأسـتاذ الـدكتور نبيـل خالـد أبـو علـي، رسـالة ماجسـتير مقدمـة إلـى قسـم اللغـة العربيـة بكليـة الآداب فـي الجامعـة

الإسلامية – غزة، كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير، 2007م.

- الأمين محمد عبد القادر، **القيم الاجتماعية والفنية في شعر الصعاليك**، إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم أحمد الحاردلو، دراسة مُقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، قسم اللغة العربية، كلية الآداب- كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، السودان، 2008م.
- زكية بنت عوض بن يوسف الحارثي، **الليل في شعر الصعاليك من الجاهلية إلى نهاية العصر الأموي**، إشراف: الدكتور صالح بن معيض الغامدي، قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب- جامعة الملك سعود، 2009م.
- زيدان محمد صالح عودة، **ظاهرة الانزياح في شعر الصعاليك: دراسة أسلوبية**، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية، 2008م.
- عبد الحليم حفني، **شعر الصعاليك منهجه وخصائصه**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.
- فاضل عبود التميمي، **البنية المتجاورة الرمزية وأبعادها في شعر الصعاليك والفتّاك حتّى نهاية العصر الأموي**، مجلة ديالي، العدد (66)، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالي، 2015م.

- **مفهوم الصعلكة وأسبابها**

1- **الصعلكة لغة:** من الجذر اللغوي (صعلك) ومن معانيها: "الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، زاد الأزهري: ولا اعتماد. وقد تصعلك الرجل إذا كان كذلك... وتصعلكتِ الإبلُ: خرجتْ أوبارها، وانجردتْ وطرَحَتْهَا... والتصعلك: الفقر. وصعاليك العرب: ذؤبانها. وكان عُروة بن الورد يُسمَّى: عُروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الفقراء في حظيرةٍ فيرزقها مما يغنم"[1]. وفي الصحاح: "وذُؤبَان العَرب صَعَاليكها الذين يتلَصَّصُون"[2].

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 2003م، (مادة: صعلك).

2 - محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، 1999م، (مادة: صعلك).

2- **الصعلكة اصطلاحًا**: حددها يوسف خليف بما نصه: "مادة (صعلك) تدور في دائرتين: إحداهما الدائرة اللغوية التي تدل فيها على معنى الفقر وما يتصل به من حرمان في الحياة وضيق في أسباب العيش، والأخرى نستطيع أن نطلق عليها الدائرة الاجتماعية، وفيها نرى المادة تتطور لتدل على صفات خاصة تتصل بالوضع الاجتماعي للفرد في مجتمعه وبالأسلوب الذي يسلكه في الحياة لتغيير هذا الوضع"[1].

وتابع في تحديد المصطلح وتبيينه: "إن الصعلوك في اللغة هو الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء أو أحد يتكئ عليه أو يتكل عليه ليشق طريقه فيها ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة ويواجهون مشكلاتها يدًا واحدة. أو هو بعبارة أخرى الفقير الذي يواجه الحياة وحيدًا وقد جردته من وسائل العيش فيها وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها. فالمسألة ليست فقرًا وحسب، ولكنّها فقر يغلّقُ أبواب الحياة في وجه صاحبه، ويسد مسالكها أمامه"[2].

ومن تعاريفها أنها: "حركة من الثورة على النظام القبلي شارك فيها أفراد خلعتهم قبائلهم لكثرة جناياتهم وجرائرهم. وآخرون من أبناء الحبشيات، أخذوا منهن سواد اللون فنبذهم المجتمع ظلمًا، وهم (أغربة العرب). أفراد احترفوا هذا السلوك كعروة بن الورد"[3].

لكن التركيز الشديد على الجانب الاقتصادي من الحياة الجاهلية باعتباره سببًا رئيسًا للصعلكة ليس بالأمر الدقيق؛ لأن الأصل في ذلك كلّه سلّم القيم المختلّ الذي يميز بين أفراد المجتمع على أسس غير عقلانية، "فالصعلَكَةُ في حد ذاتها كانت تريد أن تؤكّد ذاتها، نظامًا لقيمٍ عليا مثالية لا مجرد ظاهرة اقتصادية"[4].

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك**، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978م، ص 26- 27.
2 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك**، ص 23.
3 - محمود حمدي زقزوق، **الموسوعة الإسلامية العامة**، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، ص 864.
4 - هلال الجهاد، **فلسفة الشعر الجاهلي**، ط1، دار المدى، دمشق، 2001م، ص 113.

3- **أسباب ظاهرة الصعلكة**

تكاد الأسباب التي أدت إلى ظاهرة الصعلكة تكون محصورة في عاملين اثنين: الأول اقتصادي، والثاني اجتماعي، فكان لهما دور كبير في نشوء حركة الصعلكة التي بدأت في مرحلة ما قبل الاسلام، حيث إن حركة الصعاليك وأخبارهم تتصل بمشكلة الفقر والغنى في المجتمع العربي وقتئذٍ، وتنادي بثورة المستضعفين من الفقراء، والمضطهدين فيه على طبقة الأغنياء، بخاصة البخلاء منهم، كما تستهدف هذه الثورة – في منظورهم- تحقيق صورة من صور العدالة الاجتماعية، والتوازن الاقتصادي في المجتمع.

وفصَّل الدكتور يوسف خليف في أسباب نشوء حركة الصعلكة الجاهلية ودوافعها مركّزًا على الجانب الاقتصادي[1]. ولعل هذه الرؤية لدى الصعاليك انطوت على إحساس عميق بمشكلات المجتمع الاقتصادية ومحاولة حلها، ويمثل العامل الاقتصادي صراعًا بين طبقات الفقراء المتمثلة بالشعراء الصعاليك، وطبقة البخلاء والأغنياء[2].

انقسم الشعراء الصعاليك إلى طائفتين؛ أولى قبلت الوضع الاجتماعي الذليل رضيه لهم ضعف النفس والجسد، وثانية رفضت ذلك الوضع، وأبت أن تعيش تلك الحياة المهينة، ووجدت في قوة العزيمة وقدرة الجسد وسيلة تشق بها طريقها في الحياة[3].

وتنبّه أبو زيد القرشي إلى معنى سلوكي عُرفي في كتابه (جمهرة أشعار العرب) فيما نصه: "والصعلوك الفقير، وهو المتجرد للغارات"[4].

تقوم حياة الشعراء الصعاليك على الغزو والإغارة لتحقيق غايات سامية في المساواة بين الفقير والغني، والأخذ من أموال الأغنياء لإطعام الفقراء، ويعد هذا السلوك سرقة في حد ذاته، لذلك عاش الصعاليك صراعًا اجتماعيًّا شديد الوطأة بسبب هذه الإشكالية بين النظرية الأخلاقية ووسائل تطبيقها.

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ط3، دار المعارف، القاهرة، مكتبة الدراسات الأدبية، كتاب رقم (8)، 1978م. في الفصلين الأول والثاني شرح وافٍ لأسباب الصعلكة في العصر الجاهلي.

2 - الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، 1983م،ج1، ص 310.

3 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ج1، ص 34.

4 - أبو زيد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ص 565.

- **تعريف الدلالة وعلاقتها بالماء والألفاظ الدالة عليه**

يعد الماء المكون الرئيس للحياة في الأرض، به قوام معيشة الكائنات الحية، واتزان الطبيعة وجمالها، فهو ذو حضور أساسي إلى درجة عدم القدرة على الاستغناء عنه مطلقًا. وتأتي إيجابية الماء وفقًا لأهميته وضرورته في الحياة، فإن له صفات إيجابية خاصة بالرحمة والريِّ والخير والدلالة على دوام الحياة، في مقابل بعض الدلالات السلبية التي سيشار إليها في مكانها من الدراسة.

وأبدى العرب اهتمامهم بالماء في بيئتهم بأن أطلقوا على كل حالٍ من أحواله منذ التكوين إلى التجمع اسمًا دقيقًا يوافق طبيعته، وهي من بلاغة اللغة العربية في موافقة اللفظ للمعنى دون زيادة أو نقصان، حيث لا مجال للتأويل أو التبديل.

وبنظرة دقيقة إلى حياة العربي قديمًا في الصحراء، كان مهددًا على الدوام، غير مستقر في موضع محدد، إلا إذا توافرت أسباب الاستقرار الرئيسة كالماء والمرعى. وإن هذا التهديد الحاصل آتٍ من جانبين؛ الأول من البيئة الصحراوية حيث قسوة البادية القاحلة، والثاني من المجتمع القبلي، حيث الغزوات المستمرة والسلب والنهب. والدافع في تينك الجانبين معاشي في المقام الأول، ولأن قوام الجانب المعاشي هو الماء، فقد اعتنى العرب به وبحثوا عن مواضعه ولزموها، واستبشروا ببوادره وملامح نزوله.

وقد اعتنى اللغويون العرب منذ القدم بإطلاق أسماء خاصة لكل حال من أحوال الماء ومراحل تكوينه، فجاء إبداع الشعراء الصعاليك في توظيف هذه الأسماء للدلالة على الماء وتكويناته من خلال الألفاظ المخصصة لذلك. وهو ما سنعرضه بالتفصيل في هذه الدراسة.

وحيث إن أحد أبرز جوانب التحليل النقدي تقوم على حسن استخراج الدلالات من سياق النصوص الشعرية، والوقوف على مدى قدرة الشاعر في توظيف الألفاظ للدلالة على المعنى بشكل دقيق، ومدى اقتران هذه الألفاظ بسياقي الحال والمقام، فإنه من المناسب أن نتناول تعريف الدلالة فيما يأتي:

- **الدلالة لغة**: من الجذر اللغوي (دلَلَ) ومن معانيه في لسان العرب: "الدلُّ قريب المعنى من الهَدْي... ودللتُ بهذا الطريق: عرفتهُ"[1]، و"دلَّهُ عليه دلالة... سدَّده إليه"[2].
- **الدلالة اصطلاحًا**: كما حددها الشريف الجرجاني فإنها: "كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول"[3]. وهذا التعريف يشمل كل أنواع العلامات لغوية كانت أو غير لغوية، فهو أدخل في علم السيمياء منه في علم اللسانيات.
- **الدلالة عند علماء أصول الفقه**: "هي العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمعنى"[4]، وسبب قربه هذا هو تركيزه على دلالة الألفاظ اللغوية لأن الأصوليين يشتغلون بالدلالات في النصوص من قرآن وسُنَّة[5].
- **في اللسانيات**: للدلالة تعريفات عدة، هي على النحو الآتي:
  - **دي سوسير**: الدلالة "هي العلاقة المتولدة من تآلف الدال والمدلول"[6]. فهو يرى أن العلامة اللغوية تتكون من وجهين: الدال، والمدلول.
  - **إميل بنفينيست**: الدلالة "هي قدرة الوحدة اللغوية على التكامل مع وحدة من مستوى أعلى"[7]. ويتميز تعريفه بالربط بين مكونات اللغة في مستوياتها اللسانية المختلفة متعديًا بذلك اقتصار مفهوم الدلالة على الكلمة حسب دي سوسير. وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض اللغويين "رفضوا أن تكون الكلمة

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دلل).

2 - الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة (دلّ).

3 - الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ط1، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2006م، ص 97- 98.

4 - السيد أحمد عبدالغفار، **التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص 142.

5 - طاهر سليمان حمود، **دراسة المعنى عند الأصوليين**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1997، ص 11.

6 - فؤاد زكريا، **مشكلة البنية**، دار سحنون، تونس، مكتبة مصر، مصر، د.ت، ص 44- 45.

7 - سعيد الغانمي، **اللغة والخطاب الأدبي**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1993م، ص 47.

قادرة على تقديم المعنى، ويذهبون إلى أن ما يقدمه هو الجملة؛ لأنها وحدة صالحة للتفكر"[1].

- **كاتي هِرش**: وهو صاحب كتاب (الصلاحية في التأويل) يرى وجود فرق بين المعنى والدلالة؛ فالمعنى "هو ما تمثله الأدلة، وأما الدلالة فهي العلاقة بين المعنى والشخص أو المفهوم أو الواقع أو أي شيء يمكن تخيله"[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المنهج اللغوي المسمى بـ(الحقول الدلالية) ليس وليد جهود اللغويين الغربيين، فاللغويون العرب سبقوا إلى فكرة تقسيم مادة المعجم إلى حقول دلالية، "فقد عرف علماء اللغة القدامى الرسائل اللغوية، دون الإشارة إلى المصطلح؛ إذ تضمنت تصنيفًا شاملاً لألفاظها منذ العصر الجاهلي إلى ظهور الإسلام، فالدارس يلفيما يدل على تصنيف الموجودات بمجموعها"[3].

وإن حسن اختيار الشعراء من ألفاظ الحقل الدلالي ثم إجادة توظيفها بالتوافق مع معنى السياق، يتطلب مقدرة لغوية فائقة يوظفها الشعراء لتحديد مفردات الطبيعة والحياة وثنائياتهما ويحبك منها جميعًا متنًا شعريًّا منسجم المعنى متسق اللفظ، وهو ما سنقوم بعرضه في فصول الدراسة الأربعة فيما يأتي.

4- الشعراء الصعاليك الذين تضمنتهم الدراسة:

وقع الاختيار في الدراسة على سبعة عشر شاعرًا من الشعراء الصعاليك في الجاهلية وصدر الإسلام إلى العصر الأموي، وقمتُ بترتيبهم فيما يأتي ترتيبًا ألفبائيًّا، وهم على النحو الآتي:

1- **أبو الخراش الهذلي**: من الشعراء الصعاليك في قبيلة هذيل، ويعد من المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: خويلد بن مرة، كان مشهورًا من عدائي العرب وفتئذٍ، فكان يسبق الخيل. أسلم وهو شيخ

---

1 - رشيد الحاج صالح، **التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتجنشتين**، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل/ يونيو، 2001، مجلد (29)، العدد (4)، ص 225.

2 - محمد مفتاح، **مجهول البيان**، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990م، ص 105.

3 - أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م،ص 21.

كبير، وعاش إلى زمن الخليفة عمر بن الخطاب. وتوفي في حدود سنة 636م[1].

2- **أبو الطمحان القيني**: من الشعراء الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: حنظلة بن شرقي، من قبيلة بني قضاعة. وقيل في اسمه ونسبه: ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر. وهو صاحب البيت المشهور:

أضاءتْ لهم أحسابهم ووجوهُهمْ دُجَى الليلِ حتَّى نظمَ الجزعَ ثاقبُهُ

توفي في حدود سنة 650م[2].

3- **أبو صخر الهذلي**: من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، واسمه: عبدالله بن سلمة السهمي، وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها:

عَجبتُ لسعي الدَّهرِ بيني وبَينها فلمَّا انقضَى ما بَيننا سَكَنَ الدَّهرُ

توفي في حدود سنة 700م[3].

4- **أبو كبير الهذلي**: من الشعراء الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: "عامر بن الحليس الهذلي، من بني سهل بن هذيل، يلقب بأبي كبير، وهو شاعر فحل من شعراء الحماسة"[4]. ولم تشر مصادر ترجمته إلى سنة وفاته.

5- **تأبَّط شرًّا**: يعد من أشهر الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه "ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير، الفهميّ، من مضر"[5] اشتهر عنه سرعته فهو عدّاء قومه، ومما يدل على جزالة شعره أن الضّبيَّ استفتح مفضَّليَّاتِهِ بقصيدة له، مطلعها: "يا عيد ما لك من شوقٍ وإيراق"[6]. تذكر الروايات أنه قتل في بلاد هذيل وألقي في غار (رخمان)، وذلك في حدود سنة 540م.

6- **حاجِز بن عَوف الأزدي**: وهو من الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه "حاجز بن عوف بن الحارث من بني مفرّج من

---

1 - خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج2، ص 325.

2 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 286.

3 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج 4، ص 90- 91.

4 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص 250.

5 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 97.

6 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 97.

الأزد"[1]، ويعد من الشعراء المقلّين في أشعارهم، كما أنه يعد "من أغربة العرب الذين كانوا يغزون على أرجلهم"[2].

7- **الحارث بن ظالم المرِّي**: وهو من الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه "الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى"[3]. نشأ يتيمًا بعد أن قُتلَ أبوه، ولما شبَّ آلت إليه سيادة غطفان، وحينها تمكن من الثأر لأبيه في قصر النعمان بن المنذر، ثم هرب خشية من بطش النعمان، حتى وصل الشام، فقتل في منطقة حوران في حدود سنة 600م[4].

8- **حبيب الأعلم الهذلي**: من الشعراء الصعاليك في قبيلة هذيل في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه: "حبيب بن عبدالله الهذلي أحد بني عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة"[5]. وهو أخو صخر الغَيِّ... وكان مشهورًا من عدائي العرب آنذاك.

9- **السُّلَيك بن السُّلَكَة**: من الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه: السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي التميمي، والسلكة أمه، وإليها انتسب، فيلقب بابن السُّلَكة، وبالرئبال. ومن أبرز صفاته أنه: فاتك، عدّاء، شاعر، أسود اللون. كان أدلّ الناس بالأرض وأعلمهم بمسالكها. قتله أسد بن مدرك الخثعميّ في حدود سنة 605م[6].

10- **الشنفرى:** من أشهر الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه: عمرو بن مالك الأزدي، من قحطان. يعدُّ من فرسان العرب وعدّائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وهو شاعر فحلٌ من شعراء الطبقة الثانية، ومن أشهر قصائده لامية العرب التي مطلعها:

أقيمُوا بني أُمِّي صُدورَ مَطيِّكمْ فإنّي إلى قومٍ سِواكُمْ لَأَميلُ

توفي في حدود سنة 525م[7].

---

1 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج 2، ص 153.

2 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج 2، ص 153.

3 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 155- 156.

4 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج2، ص 155- 156.

5 - علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ، ج22، ص 502.

6 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص 115.

7 - **ديوان الشنفرى**: عمرو بن مالك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م، 9- 13.

11- **صخر الغي الهذلي**: من الشعراء الصعاليك في قبيلة هذيل، واسمه: صخر بن عبد الله الخيثمي. قال الأصفهاني: "لقب بصخر الغيّ لخلاعته وشدة بأسه وكثرة شره. وأورد أبياتًا من قصيدة تنسب إليه، قيل في سببها: إن صخرًا قتل جارًا لشاعرٍ من هذيل يدعى (أبا المثلّم) ودارت بين أبي المثلّم وصخر الغيّ مناقضات وقصائد يطول ذكرها"[1]. قتل على يد بني المصطلق من قبيلة خزاعة، ولا يُعلم تاريخ وفاته.

12- **عَبْدَة بن الطَّبيب**: من الشعراء الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: عبدة بن يزيد بن عمرو بن علي، اشتهر بلقب عبدة ابن الطبيب. وهو صاحب المرثية التي منها:

وما كانَ قيسٌ هلكُهُ هلك وَاحدٍ   ولكنَّهُ بُنيانُ قومٍ تَهدَّمَا

ويقال: إنه أرثى بيت قالته العرب. توفي في حدود سنة 645م[2].

13- **عُروة بن الوَرد العَبسي**: من أشهر الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه: عروة بن الورد بن زيد العبسيّ، من قبيلة غطفان، كان يلقب بعروة الصعاليك، لجمعه إياهم، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم. قال عبد الملك بن مروان: "من قال إن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد"[3]. توفي في حدود سنة 594م.

14- **عَمرو بن برَّاقة**: من الشعراء الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام. واسمه: عَمرو بن برَّاقة الهمداني النهمي، اشتهر بلقب (ابن برَّاقة) وبرّاقة هي أمُّه نسب إليها. كان معاصرًا للشاعر الصعلوك تأبَّط شرًّا. ولا يوجد تحديد دقيق لتاريخ وفاته[4].

15- **فضَالة بن شُريَك:** من الشعراك الصعاليك المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، واسمه: فَضَالة بن شُريَك بن سلمان بن خويلد الأسدي. وهو شاعر بليغ، يعد شعره حجة عند اللغويين، وتنسب إليه أبيات في رثاء يزيد بن معاوية، فإن صح أنها له فتكون وفاته بعد سنة 46هـ[5].

16- **القتَّال الكِلابي**: من الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، واسمه: عبد الله بن مُجيب بن المضرّحي. اختلف في اسمه فقيل: هو عبيد الله،

1 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج3، ص 201.

2 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص 172.

3 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص 227.

4 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص17- 24.

5 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص 146.

أو عبيد، أو عبادة، أو عبّاد، كما اختلفوا في اسم أبيه فقيل: محبب وجده هو المضرحي وقد افتخر به في شعره. و(القتّال): لقبٌ أُطلق عليه لتمرّده وفتكه، وهو المشهور بهذا اللقب، وبعضهم يجعله مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام، وهذا التناقض والاختلاف في اسمه وأخباره ناتج عن حياته المتمردة وعيشه في البادية بعيدًا عن الاختلاط بالناس وأولي الأمر. ولم تشر المصادر إلى زمن ولادته أو وفاته[1].

17- **قيس بن الحَدَادية**: من الشعراء الصعاليك في مرحلة ما قبل الإسلام، واسمه: قيس بن منقذ بن عمرو، من بني سلول بن كعب من قبيلة خزاعة. واشتهر بلقب ابن الحدادية، حيث تبرأت منه قبيلته في سوق عكاظ، فنُسب إلى أمه وهي حضرمية من بني حداد. وهو شاعر فحل من شعراء الطبقة الثانية. قتله بعض بني مزينة في غارة لهم[2].

1 - **ديوان القتال الكلابي**، حققه وقدَّم له: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص 12- 15.

2 - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص 209.

الفصل الأوَّل

الماء ومكوّناته والألفاظ الدَّالة عليها

مدخل

تعد الدقة في تسمية الأشياء بمسمياتها من أظهر الأساليب البلاغية في اللغة العربية، ومن أبرز الأمثلة على ذلك أن العرب جعلوا للماء وصفاته وأحوال تكوينه ألفاظًا دقيقة تدل على جميع حالاته، فأسموا كل مرحلة من مراحل تكوينه اسمًا خاصًّا، بدءًا بالسحاب وأسمائه، والبرق والرعد وأسمائهما، ثم المطر وألفاظه الدالة على حالاته بين الغزارة والضعف.

ويسير المنهج المتبع في هذا الفصل على تتبع مواضع ألفاظ الماء في شعر أبرز الشعراء الصعاليك، وذلك ضمن مبحثين اثنين على النحو الآتي:

المبحث الأول: الماء ودلالاته في شعر الصعاليك

الماء في اللغة: "هو الذي يشرب، والهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام، وأصله مَوَهٌ بالتحريك؛ لأنه يجمع على أمواه في القلة، ومياه في الكثرة"[1]. والماء: "سائل عليه عماد الحياة في الأرض، يتركب من اتحاد الهيدروجين والأوكسجين، بنسبة حجمين في الأول، إلى حجم من الثاني، وهو في نقائه شفاف لا لون له، وطعم، ولا رائحة فيه"[2].

"ودور الماء الظاهر في إنبات كل شيء دور واضح، يعلمه البدائي والمتحضر، يعرفه الجاهل والعالم... ولكن دور الماء في الحقيقة أخطر وأبعد مدى من هذا الظاهر الذي يخاطب به القرآن الناس عامة، فقد شارك الماء ابتداء – بتقدير الله – في جعل تربة الأرض السطحية صالحة للإنبات. والماء إما أن يكون مستعملا أو مطلقاً، فأما المستعمل؛ فكل ما أزيل به الحدث، أو استعمل في البدن على وجه التقرب. وأما المطلق؛ فهو: الذي بقي على أصل خلقته، ولم تخالطه النجاسة، ولم يغلب عليه شيء طاهر"[3].

---

1 - إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، ج6، د. ت، مادة (موه).

2 - هارون عبدالسلام وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر، 1961م، ج 2، مادة (موه).

3 - صلاح الدين سليم محمد، **لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص من التنزيل: دراسة دلالية**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد (4)، كلية العلوم السياسية - جامعة الموصل، 2010م، ص 281.

ويعد الماء أهم عنصر في الوجود، وبه قوام الحياة، فلا يمكن الاستغناء عنه، وأشار إلى هذه الأهمية الشاعر عروة بن الورد في قوله:

فلا أتركُ الإخوانَ ما عِشتُ للرَّدى كما أنَّه لا يتركُ الماءَ شاربُهُ[1]

يفاخر الشاعر بمروءته وأنه باقٍ على عهدهِ مع إخوانه، ويؤكد هذا باستدعاء صورة مشابهة من البيئة الطبيعية يوضح فيها بأنه لن يتركهم كما لا يستطيع الإنسان ترك شرب الماء، والدلالة المشتركة بينهما تتجلى في فقد الحياة في حال الترك والتخلي.

وقد ركز بعض الشعراء الصعاليك على صفة محددة من الماء في أشعارهم، وهو الماء القراح، ومن ذلك ما نظمه السليك بن السُّلَكة:

وأصْطَبحُ المَاءَ القَرَاحَ فأكتَفِي إذا الزَّادُ أضْحَى للمزلَّج ذا طعْمِ[2]

ولعروة بن الورد:

وإنْ أخنى عليكَ فلم تجدهُ فنبتُ الأرضِ والماءُ القراحُ[3]

وله أيضًا:

وآستْ نفسَها وطوَتْ حَشَاها على المَاءِ القَرَاح مع المَليلِ[4]

والقَرَاحُ في اللغة: "القراح: الماء الذي لا يخالطه ثفل من سويق ولا غيره، وهو الماء الذي يشرب إثر الطعام... والماء القَرَاحُ هو: الماء الذي لم يخالطه شيء يطيَّبُ به؛ كالعسل، والتمر، والزبيب"[5].

وفي الأبيات الثلاثة السابقة ربط الشعراء الماء القَراح بالكفاية الناتجة عن قلة الحيلة، إضافة إلى تبيين عزة النفس.

واستعمل بعض الشعراء لفظ الماء بمعنى المطر النازل من السماء، وهو توظيف للفظ في دلالة على حقل السماويات أو العلويات، وذلك فيما نظمه تأبَّط شرًّا في قوله:

1 - **ديوان عروة بن الورد أمير الشعراء الصعاليك**، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص 37.

2 - حميد آدم ثويني؛ كامل سعيد عواد، **السليك بن السلكة: أخباره وشعره**، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1984م، ص 37.

3 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 53.

4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 96.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قرح).

على الشَّنفرى ساري الغَمامِ فَرائِحُ غزيرَ الكُلَى وصيِّبِ المَاءِ باكرُ[1]

يرثـي الشـاعر معاصـره وصـاحبه الشـاعر الشـنفرى، ويـدعو لـه بالرحمـة والمغفـرة، وذلـك بطلـب الرحمـة والسـقاية بمـاء المطـر لروحـه وقبـره، فوصف الماء بالصيِّب، والصيِّب يعني ماء المطر الغزير.

وقوله أيضًا:

عَارِي الظَّنَابِيْبِ مُمتَدٌ نَواشِرُهُ مِدلاجَ أدهمَ واهي المَاءِ غَسَّاق[2]

ومعنـى البيـت: عـوّلي علـى رجـلٍ لا يهمـه بطنـه، وإنمـا وكـدُهُ مقصـورٌ علـى عمـارة المحامـد لا علـى مصـالح الأبـدان، ومـن صـفات هـذا الرجـل أنـه شـديد الجسـم ضـموره، ركّـاب الليـل أشـدَّ مـا يكـونُ هـولاً، وذلـك فـي ظلمـةٍ شديدةٍ ومطرٍ غزير[3].

ومن ذلك قول الشاعر القتَّال الكلابيِّ:

نجاءُ الثُّريَّا كلَّما ناءَ كوكبٌ أَهَلَّ يَسحُّ المَاءَ فيه دُجُونُ[4]

أشـار الشـاعر إلـى صـنف خـاص مـن السـحب التـي تـأتي بـالتوافق مـع فتـرة زمنيـة محـددة بحسـابات النجـوم، وبـيَّن أنهـا مقرونـة بـنجم الثريـا، وهـذه السحب تمطر الماء الغزير، والدجون هو الماء المطبق في هطوله.

واسـتعمل بعـض الشـعراء الصـعاليك لفـظ المـاء، فـي الدلالـة علـى تشـكل الماء في حقل الأرضيات، ومن ذلك قول تأبَّط شرًّا:

ومررنَ حتَّى كُنَّ للماءِ مُنتهًى وغادَرَهُنَّ السَّيلُ فيما يُغادِرُ[5]

فالشـاعر يشـير إلـى أن السـيل بعـد جريانـه يتـرك وراءه نقعًـا مـن المـاء تظـل في التجويفات الصخرية، وهي من المياه التي ينتفع بها من مياه السيل.

ويشير الشاعر إلى بقية الماء في دلالة مشابهة في قوله:

---

1 - **ديـوان تـأبط شـرًّا وأخبـاره،** جمـع وتحقيـق وشـرح: علـي ذو الفقـار شـاكر، ط1، دار الغـرب الإسلامي، 1984م، ص 78. وانظر: **ديوان الشنفرى،** ص 95.

2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره،** ص 136.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره،** ص 136. الحاشية.

4 - **ديـوان القتَّـال الكلابـي،** ص 91. نـاء الكوكـب: سـقط ومـال، والعـرب تضـيف الأمطـار إلـى الساقط من الكواكب فكأن ناء معناه أهل بالنوء. دجون: مطر مطبق.

5 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره،** ص 96.

به نُطفٌ زُرْقٌ قليلٌ تُرابُها   جَلا الماءُ عن أرجائِها فهوَ حَائِرُ[1]

وقصد الشاعر بقوله: "نطفٌ زرقٌ"، أي؛ بقية من الماء الصافي التي ترى انعكاس لون السماء فيها من نقائها، فلا يخالط هذا الماء تراب أبدًا.. كما أنها من شدة نقائها يتموج الماء فيها إلى أطراف المكان المنخفض الذي يتضمن هذه البقية من الماء.

واستعمل بعض الشعراء لفظ الماء في غير ما يدل عليه حقيقة، كما في قول الشنفرى في وصف السيف:

وأبيضُ من مَاءِ الحَدِيدِ مُهنَّدٌ   مُجِدٌّ لأطرافِ السواعِدِ مُقطِفُ[2]

يصف الشاعر سيفه المهنَّدَ بأنه صقيلٌ ذو لونٍ أبيض، كناية عن لمعانه وحدته وجودة صناعته، استعمل لهذا التشبيه (ماء الحديد) وهو تركيب لغوي استعمله الشعراء في هذا الموضع من التشبيه في كثير من الأبيات، كناية عن بياض السيف، وتقدير ذلك: وأبيض كائن من ماء الحديد.

وفي التوظيف نفسه للفظ الماء في دلالته على اللون، ما نظمه الشاعر الشنفرى في وصف الوجوه المشرقة بالماء المذهّب، في قوله:

سراحينُ فتيانٍ كأنّ وُجوهَهمْ   مَصابيحُ أو لَونٌ من المَاءِ مُذهَبُ[3]

وظف الشاعر لفظ الماء مقرونًا باللون الذهبي اللامع ليضفي على الصورة واقعية في التشبيه، فاستعمال لفظ الماء في هذا الموضع لم يكن إلا للتشبيه بلون الماء، دون التعرض إلى أهمية الماء أو قدسيته أو مكوناته.

وورد لفظ الماء في سياق الكناية في وصف الدموع بالماء، ومن ذلك ما نظمه الشاعر عروة بن الورد:

فإنّي وإيَّاكمْ كذي الأمِّ أرهنتْ   لهُ ماءَ عينيها تفدى وتحملُ[4]

وللقتال الكلابي في المهنى نفسه قوله:

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 96.

2 - **ديوان الشنفرى**، ص 53.

3 - **ديوان الشنفرى**، ص 28.

4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 92.

أباكيةٌ بَعدِي جنوبُ صَبَابَةً   عليَّ وأُختَاهَا بمَاءِ عُيونِ؟[1]

وإن تشبيه الشاعرين الدموع بماء العينين يعود إلى اتفاق الحال الفيزيائية لكل من الماء والدمع في اللون والشكل وانتفاء الرائحة، واختلافها معها في التكوين والطعم. ويعود هذا التشبيه إلى اعتماد الشاعرين على المحسوسات المادية في صياغة التراكيب والتشبيهات الشعرية، وعقدهم المقارنة بين أوجه الشبه القائمة بين العناصر ومحاولة تأليفها مع بعضها بعضًا في سياق فني.

ويعد الماء من العناصر الطبيعية الرئيسة التي تدخل في سلسلة الغذاء، وذلك حين يستعمله الإنسان مخلوطًا ببعض الأصناف الطبيعية لصنع طعام خاص، وأشار إلى هذا الشاعر السليك بن السلكة في قوله:

سيكفيكَ فقدُ الحيِّ لحمٌ مغرضٌ   وماءُ قُدورٍ في الجِفانِ مَشوبِ[2]

حيث يشير الشاعر إلى الماء المغلي في القدور لتحضير الطعام. أما الشاعر عبدة بن الطبيب فذكر نوعًا من الشراب الذي يكون مزاجًا من العسل والماء، فقال:

حَرَّانُ لا يَشفِي غَليلَ فُؤادِهِ   عَسَلٌ بمَاءٍ في الإِنَاءِ مُشَعْشَعُ[3]

فلا يشفي غليل الحران الظامئ إلا إناء من العسل الممزوج مع الماء، وهذا لا يكون من باب الشرب لإرواء الظمأ فقط، بقدر ما هو شربٌ على غير ظمأ من باب البذخ، فالحرّان يرضى بالماء القَراح الذي لم يخالطه شيء، إذا اشتد به الظمأ.

من خلال ما وقفت عليه من أمثلة على حضور لفظ الماء في قصائد أبرز الشعراء الصعاليك، لاحظت أنهم استعملوا اللفظ ووظفوه في سياقات متنوعة، منها الصريحة الخاصة بحقل العلويات والمطر، ومنها الخاصة بحقل الأرضيات ونقاع الماء، ومنها في سياق الكناية على اللون، أو في سياق الكناية عن ماء العيون، وأشار بعضهم إلى أهمية الماء لكونه من أهم عناصر السلسلة الغذائية لدى الإنسان.

---

1 - **ديوان القتال الكلابي**، ص 92.

2 - **السليك بن السلكة: أخباره وشعره**، ص 57.

3 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1971م، ص 47.

المبحث الثاني: الألفاظ الدالة على تكوين الماء

يندرج تحت هذا المبحث أربعة مطالب، وهي: السحاب، والرعد، والبرق، والمطر، حيث سيتم فيها تناول الألفاظ الدالة على كل منها، ثم التفصيل في هذه الألفاظ وتبيين معانيها في قواميس اللغة ومعاجمها، وذكر الموضع الذي ورد فيه اللفظ لدى الشعراء الصعاليك، وتحليل توظيف الشاعر للمفردة المستعملة في موضعها دون سواها من المفردات، ودلالة هذا الاستعمال حسب السياق والمعنى اللغوي.

المطلب الأول: الألفاظ الدالة على السَّحاب

فصَّل عبدالملك الثعالبي بأسماء السحب وأحوالها في كتابه (فقه اللغة وأسرار العربية) بما نصُّهُ:

"أوَّلُ مَا يَنْشَأُ السَّحابُ، فَهُوَ النَّشْءُ، فإذا انْسَحَبَ في الهَوَاءِ، فَهُوَ السَّحابُ، فإذا تَغَيَّرَتْ له السّماء، فَهُوَ الغَمَامُ، فإذا كَانَ غَيْماً يَنْشَأُ في عُرْضِ السّماءِ فلا تُبْصِرُهُ ولكنْ تَسْمَعُ رَعْدَهُ مِنْ بَعِيدٍ، فَهُوَ العَقْرُ، فإذا أظَلَّ أظَلَّ السّماءَ، فَهُوَ العَارِضُ... فإذا ارْتَفَعَ وحَمَلَ المَاءَ وكَثُفَ وأطْبَقَ، فَهُوَ العَمَاءُ والعَمَايَةُ والطَّخَاءُ والطَّخَافُ والطَّهَاءُ... فإذا أظلَ الأرْضَ، فَهُوَ الدَّجْنُ... فإذا تَعَلَّقَ سَحابٌ دُونَ السَّحَابِ، فهوَ الرَّبابُ... فإذا تَدَلَّى ودَنَا مِنَ الأرْضِ مِثْلَ هُدْبِ القَطِيفَةِ، فَهُو الهَيْدَبُ... فإذا كَانَ أبْيَضَ، فَهُوَ المُزْنُ والصَّبِيرُ، فإذا كَانَ لِرَعْدِهِ صَوت، فَهُوَ الهَزِيمُ، فإذا اشتَدَّ صَوْتُ رَعْدِهِ، فَهُوَ الأجَشُّ... فإذا كَانَ ذَا صَوْتٍ شَدِيدٍ، فَهُوَ الصَّيِّبُ، فإذا هَرَاقَ ماءَهُ، فَهُوَ الجَهَامُ"[1].

تقترن دلالة الغيمة أو السحابة بالماء النازل من السماء الذي يحمل الخير للناس، ولذلك اعتنى الشعراء الصعاليك بذكرها وأبدعوا في تصوير المشاهد الطبيعية، ومنها وصف الغيمة بدلالاتها المتعددة من شاعر إلى آخر، فمنهم من عدَّها رمز الخير والعطاء، ومنهم من عدَّها رمز التطهير وغسل الذنوب. ومن أسماء السحاب التي وردت في شعر الصعاليك ما يأتي:

---

1 - عبدالملك بن محمد الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ضبطه وعلق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، ط2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، 2000م، ص 302؛ وانظر: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002م، ج1، ص 72.

- **السَّحابة:** وهي من الجذر اللغوي (سحب) ومن معانيها في اللغة: "السحابة: الغيم. والسحابة التي يكون عنها المطر، سميت بذلك لانسحابها في الهواء، والجمع سحائب وسحاب وسحب وخليق أن يكون سحب جمع سحاب الذي هو جمع سحابة، فيكون جمع جمع"[1].
والسحابة في معجم ألفاظ المطر هي: "المطر القليل العرض[2]، قلَّ قطره أو كثر وهو مثل الشؤبوب"[3].
وتكون السحابة في استعمالين اثنين؛ الأول أن تأتي بدلالة العموم حيث يسمِّي الشعراء بها تشكُّل الغيوم في السماء بمختلف هيئاتها كثافة أو تفرقًا، والثاني أن يعني انسحاب بداية تشكله في الهواء، كما حددها الثعالبي بما نصه: "فإذا انْسَحَبَ في الهَوَاءِ، فَهُوَ السَّحابُ"[4]. وهي عند ابن فارس في مقاييس اللغة: "السِّينُ وَالْحَاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَرِّ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ وَمَدِّهِ. تَقُولُ: سَحَبْتُ ذَيْلِي بِالْأَرْضِ سَحْبًا. وَسُمِّي السَّحَابُ سَحَابًا تَشْبِيهًا لَهُ بِذَلِكَ، كَأَنَّهُ يَنْسَحِبُ فِي الْهَوَاءِ انْسِحَابًا. وَيَسْتَعِيرُونَ هَذَا فَيَقُولُونَ: تَسَحَّبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ، إِذَا اجْتَرَأَ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ امْتَدَّ عَلَيْهِ امْتِدَادًا"[5].

ومن ذلك، قول الحارث بن ظالم المرّي يذكر قريشًا:

فلو أنِّي أشاء لكنتُ منهم وما سيَّرتُ أتَّبعُ السَّحابا[6]

وظف الشاعر لفظ السحابة بمعناها اللغوي المتوافق مع دلالة السياق، حيث إنه جمع بين السير واتباع السحاب، وهو ما أشرنا إليه بأن معناها مأخوذ من انسحابها في الهواء، فتوافق توظيف سير الشاعر مع انسحابها. ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي:

ترعى الفضاء كلُّ مجرى سحابة وفي النفس منه رأفة وهواجس[7]

حيث وافق اللفظ دلالة السياق في الجانب اللغوي ، من خلال اقتران الجريان بالسحابة.

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سحب).

2 - عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، **الإفصاح في فقه اللغة**، ط1، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص 484.

3 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، لا تا، ص 198.

4 - أحمد بن عبدالوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج1، ص 72.

5 - أحمد بن فارس الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج3، ص 142. مادة (سَحَبَ).

6 - ابن قتيبة الدينوري، **المعاني الكبير**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ص 522.

7 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 66.

واستعمل بعض الشعراء الصعاليك لفظ السحابة بدلالة العموم، كما في قول قيس بن الحدادية:

تهتلُّ عن شنبِ اللثاثِ كأنَّها عسلٌ بماءِ سحابةٍ مبرودُ[1]

فالشاعر جاء على لفظ السحابة للإشارة إلى الماء النازل منها.

ومن ذلك، ما نظمه :

وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى ويسترجعُ الحيُّ السحابَ اللوامعَ[2]

والمقصود بالسحاب اللوامع، أي؛ ذات البروق المبشرة بنزول الماء.

ومنه ما نظمه أبو كبير الهذلي:

في رأسِ مشرفةِ القذالِ كأنَّمَا أُطُرُ السَّحابِ بها بياضُ المِجْدَلِ[3]

فهو يحدثنا بأنه كان ربيئة لقومه في رأس هضبة فوصفها لنا وصفًا رائعًا وصورها وشبهها ومن فوقها السحاب الأبيض كما القصر الأبيض. ولم يحدد الشاعر طبيعة هذا القصر وإنما جاء بالتشبيه فقط.

- **الغَمام:** وهو لغة: "غيمٌ مغمَّمٌ: كثير الماء. والغَمامة بالفتح: السَّحابة، والجمع غَمام وغَمائِم. وقد أغمَّت السماء أي؛ تغيَّرت. وحَبُّ الغَمام: البَرَد. وسحابٌ أغمٌّ: لا فُرجة فيه"[4]. وفي وصفه قال الثعالبي: "فإذا تَغَيَّرَتْ له السّماء، فَهُوَ الغَمَامُ"[5].

ومن ذلك، قال أبو صخر الهذلي في الغزل متحسِّرًا على لذَّة العيش التي ضاعت:

لنا مثلُ ما كُنَّا إذا الحيُّ جيرةٌ سَقَى ذلكَ العَيشَ الغمامُ اللوامِعُ[6]

استعمل الشاعر الفعل (سقى) مع لفظ (الغمام) في توافق دلالي لغوي ظاهر، حيث إن الغمام في اللغة يفيد بأنه كثير الماء، ولو أن الشاعر استعمل لفظًا آخر من ألفاظ السحاب مكان الغمام- كاستعماله لفظ البرَّاقة مثلاً- لما توافق ذلك مع المعنى والدلالة؛ حيث إن البرَّاقة يعني

---

1 - حاتم صالح الضامن، **المستدرك على دواوين الشعراء**، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999م، ص 12.

2 - حاتم صالح الضامن، **"**شعر قيس بن الحدادية**"، مجلة المورد**، بغداد، 1979م، المجلد الثامن، العدد (9)، ص 211.

3 - **ديوان الهذليين**، تحقيق: أحمد الزين؛ محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965م، ج2، ص 96.

4 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَمَمَ).

5 - أحمد بن عبدالوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج1، ص 72.

6 - الحسن بن الحسين السُّكَّري، **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبدالستَّار أحمد فرَّاج، مراجعة: محمود محمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ج2، ص 934.

السحاب الذي يبرق ولا يمطر، فلا يلائم موضعه استعمال الفعل (سقى) معه لأن دلالة الفعل مقترنة بالماء ضرورة.
أما قول الشاعر تأبَّط شرًّا في رثاء صديقه ورفيق دربه الشاعر الشنفرى، من قصيدة طويلة نظمها في رثائه:

على الشَّنفرى ساري الغَمامِ فرائحُ غزيرُ الكُلَى وَصَيِّبُ المَاءِ بَاكِرُ[1]

وظف الشاعر (الغمامَ) في سياق الدعاء واستنزال الرحمة على قبر صديقه الشنفرى، وهو توظيف إيجابي.

- **العارض**: وهو من الجذر اللغوي (عَرَضَ) ومن معانيه في اللغة: "العارض: السَّحاب الذي يعترض في أفق السماء، وقيل: العرض ما سدَّ الأفق، والجمع عروض. والعارض: السحاب المطل يعترض في الأفق، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾[2]، أي: قالوا هذا الذي وعدنا به سحاب فيه الغيث، فقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]، وقيل: أي: ممطر لنا؛ لأنه معرفة لا يجوز أن يكون صفة لعارض وهو نكرة، والعرب إنما تفعل مثل هذا في الأسماء المشتقة من الأفعال دون غيرها"[4].

والسحاب العارض كما حدده الثعالبي: "فإذا أَطَلَّ أظلَّ السّماءَ، فَهُوَ العَارِضُ"[5].
ومن الأمثلة على توظيف لفظ (العارض) في شعر الصعاليك، ما نظمه أبو كبير الهذلي في سياق المدح في وصف وجه الشاعر المعاصر له تأبَّط شرًّا:

وإذا نظرتَ إلى أسرَّةِ وجهِهِ بَرقتْ كبرق العَارِضِ المُتَهَلِّلِ[6]

شرح التبريزيُّ هذا البيت بما نصُّهُ: "أسرة وَجهه أي؛ خطوط جَبهته، والعارض من السَّحَاب مَا يعرض فِي جَانب السَّمَاء والمتهلل المتلألئ

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 78. وانظر: **ديوان الشنفرى**، ص 95. الكُلى: كُلى الوادي: جوانبه، ولعل الشاعر يقصد بها غزارة الماء في السحاب.
2 - **الأحقاف**: 24.
3 - **الأحقاف**: 24.
4 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عَرَضَ).
5 - عبدالملك الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 302.
6 - **ديوان الهذليين**، ج2، ص 94. المتهلل: المشرق.

بـــالبرق. يَقُـول: إذا نظــرت فِــي وَجهــه رَأَيْــت أســارير وَجهــه تشــرقُ إشراقَ السَّحَاب المتهلّلِ بالبرق"[1].

وظــف الشـــاعر لفــظ العـــارض ضـــمن حقلـــه الـــدلالي الموافـــق لسـياق المـدح. ويلاحـظ فيمـا وقفـت عليـه مـن قصـائد الشـعراء الصـعاليك نـدرة اسـتعمال هـذا اللفـظ قياسًـا إلـى تفـاوت اسـتعمالاتهم لألفـاظ مختلفـة من المعجم المائي بين الندرة والقلة والكثرة.

- **النَّجَــاء**: ورد فــي مقـــاييس اللغـــة لابـــن فـــارس: "وَمِــنَ الْبَـــابِ النَّجْـــوُ: السَّـحَابُ، وَالْجَمْـعُ النِّجَـاءُ؛ وَهُـوَ مِـنَ انْكِشَـافِهِ لِأَنَّـهُ لَـا يَثْبُـتُ"[2]. و"النَّجَـاء: جمـع نَجـو وهـو السـحاب أوَّل مـا ينشـأ"[3]. وهـو : "السـحاب الـذي هـراقَ مــاءَهُ ثــمَّ مضـــى"[4]. والنجــاء فـــي لســان العــرب "فُسِّــرَ بالســحاب الكثيــر المــاء، وفسـر بـالبروج، وقيـل فـي تفسـير النجـاء: السـحاب الـذي نشـأ فـي نــوء الحمــل، وقيــل: النجــاء: الســحاب الــذي هــراق مــاءه، واحــده نجــو. والنجـــاء: الســـحاب؛ لأنـــه نـــوع منـــه، كمـــا تقـــول: حشـــف التمـــر؛ لأنَّ الحشف نوع منه"[5]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

به من (نجاء الدَّلْوِ) بيضٌ أقرَّها   جُبَارٌ لصُمِّ الصَّخرِ فيه قَرَاقِرُ[6]

النجـاء المقصـودة فـي هـذا البيـت هـي السـحب الممطـرة، ولعلهـا السـحب التـــي تـــأتي فـــي الصـــيف فقــط فيكــون إمطارهــا غزيــرًا، حيــث إن (الــدلو) هــو تحديــد الفتــرة الزمنيــة بحســاب النجــوم والتــي توافــق الصــيف. كمــا أن روايـــة البيـــت وردت عنـــد الأصـــمعي بإبـــدال الـــدلو بالصـــيف فـــي قولـــه: "بــه مــن ســيول الصَّــيف"[7]، وعلــى هــذا يكــون التأويــل ســليمًا. ويؤكــد هــذا الرأي أبو صخر الهذلي في وصف إحدى الرياض، بقوله:

فما روضةٌ بالحَزْمِ طاهرةُ الثَّرى   وَلَتْهَا (نجاء الدَّلو) بعدَ الأبارِدِ
يمجُّ خُزَامَاها النَّدَى وعرارَها   بعَلْيَاء لم يُؤثر بها جَرسُ وَارِدِ[8]

1 - يحيــى بــن علــي بــن محمــد الشــيباني التبريــزي، **شــرح ديــوان الحماســة**، د.ط، دار القلــم، بيروت، لا، تا، ص 21.

2 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص 398. مادة (نجو).

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 91.

4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 95.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حمل).

6 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 95.

7 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 95. (الحاشية).

8 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 932.

أورد الشاعر (نجاء الدلو) كما فعل الشاعر تأبَّط شرًّا، مما يؤكد لنا أن (النجاء) مقرونة بنوء (الدلو)، ونوء الدلو: "كوكبان مضيئان أحدهما شمالي والآخر جنوبي"[1].

فالشاعر يصف روضة في مكان مُشرفٍ أصابها مطر الولي -وهو النوع الثاني من مراتب المطر بعد الوسمي- من السحاب المسمى (النجاء) المتعلق بزمن نوء الدلو، وهو يريد (الدلو المؤخر) لأن وقته بعد ذهاب البرد، وكذلك أصاب الندى شجرها وخزاماها بعد الولي، وهي بمنطقة لم يسمع بها صوت أحد.

ومن اقتران هذا النوع من السحب بالأنواء، قول القتَّال الكلابي:

(نجاءُ الثُّريَّا) كلَّما ناءَ كوكبٌ أهَلَّ يَسحُّ المَاءَ فيه دُجُونُ[2]

قصد الشاعر بـ(نجاء الثريا) صنفًا خاصًّا من السحب التي تأتي بالتوافق مع فترة زمنية محددة يتم تحديدها بحسابات الأنواء والنجوم، وأوضحها الشاعر هنا بأنها مقرونة بنجم الثريا، وهو المعنى نفسه الذي قصده تأبط شرًّا في قوله (نجاء الدلو) على اعتبار أن الدلو من أبراج علم التنجيم عند العرب قديمًا، وإن معرفة الشعراء الصعاليك بهذه العلوم يعود إلى حصافة سكان البوادي وفطنتهم في الاستدلال بالنجوم ومواضعها لتحديد الاتجاهات والفصول، وما إلى ذلك لأن حياتهم في البوادي تحتم عليهم مثل هذا العلم.

وقال أبو خراش الهذلي :

فسائل سبرةَ الشِّجعيَّ عنَّا غداة تخالُنا نَجواً جنيبا[3]

يشير السياق في هذا البيت إلى أن توظيف الشاعر للنجاء في قوله (نجوًا جنيبًا) توظيفٌ إيجابيٌّ، حيث إنه يصف شجاعته وبني قومه في المعارك، بخاصة إذا علمنا أن الشاعر نظم القصيدة مشبهًا وهو يمنُّ على أحد بني شجع بن عامر بن ليث عندما أطلق أسرهم، فشبه وقع السيوف والرماح عليهم بالمطر المصحوب برياح الجنوب.

من خلال ما وقفت عليه من أمثلة، وجدت التزام الشعراء الصعاليك بالمنطق في ربط تكوين الماء بالفترات الزمنية الخاصة به، حتى وإن كانت الصورة الشعرية بعيدة عن البيئة المائية، استعمل

1 - زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، لا . ط، مطبعة التقدم، مصر، د.ت، ص 49.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 91. ناء الكوكب: سقط ومال، والعرب تضيف الأمطار إلى الساقط من الكواكب فكأن ناء معناه أهل بالنوء. دجون: مطر مطبق.

3 - **ديوان الهذليين**، ج2، ص 134. جنيًا: أصابته ريح الجنوب.

الشعراء مكونات المعجم المائي بأمانة معرفية تعطي للقارئ التصور السليم والدقيق عن حال البيئة الصحراوية في مواسم المطر، والمفردات المستعملة للتعبير عن كل حال منها.

- **البَرَّاق**: "من البرق، أي؛ إنَّهُ سحابٌ خُلَّب، يُبرِقُ ولا يُمطِر"[1]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

تُعطيك وعدَ أمانيٍّ تغرُّ به   كالقطر مرّ على ضجنان برّاق[2]

بيّن شارح الديوان أن الشاعر استعمل لفظ (القطر) بمعنى السحاب في هذا البيت، كما أنه استعمل لفظًا آخر للسحاب في ضرب البيت وهو (البرَّاق)، فوظف السحاب في إشارة إلى الملامة والعتاب حول الشخصية المخصوصة بالنقد من حيث عدم صدقها في الإيفاء بوعودها، فأشبهت بذلك سحابة تبرق وترعد وتنبئ بهطول المطر، بيد أنها لا تمطر، وهي سحابة (البرَّاق) التي تعد من الخلَّب غير الممطر.

- **الرَّباب**: وهي من الجذر اللغوي (رَبَبَ) ومن معانيها في لسان العرب: "والسحاب يربُّ المطر، أي: يجمعه وينميه. والرَّباب -بالفتح: سحاب أبيض، وقيل هو السحاب، واحدته ربابة، وقيل: هو السحاب المتعلق الذي تراه كأنه دون السحاب. قال ابن بري: وهذا القول هو المعروف، وقد يكون أبيض، وقد يكون أسود. وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: أنه نظر في الليلة التي أسري به إلى قصر مثل الربابة البيضاء. قال أبو عبيد: الرَّبابة: السحابة التي قد ركب بعضها بعضًا، وجمعها: رباب، وبها سمِّيت المرأة الرباب"[3]. وفي معجم ألفاظ المطر: "الرباب في الأصل يطلق على السحابة الرقيقة السوداء تكون دون الغيم في المطر، ولا يقال لها ربابة إلا في مطر، وقد أخذ هذا المعنى في الدلالة على المطر"[4]. ومن ذلك، قول عروة ابن الورد:

إذا قلتُ استهلَّ على قديدٍ   يَحُورُ ربابُهُ حَوْرَ الكسير[5]

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 129.

2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 129.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ربب).

4 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، **مجلة أهل البيت**، جامعة كربلاء، كلية الإدارة والاقتصاد، العدد (7)، لا تا، ص 194. نقلاً عن: سعيد بن أوس الأنصاري، **كتاب المطر**، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1914م.

5 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 63. قديد: موضع قريب من مكة.

لعل الشاعر يقصد في توظيف اسم الرباب في البيت موافقة المعنى اللغوي للمفردة كما أشرنا إليها، فهو يصف مشي السحاب المتمهل البطيء وكأنه كائن حيٌّ يمشي على مهل، ويوافق هذا الوصف طبيعة سحب الرباب. ولم أقف فيما وقفت عليه من قصائد في شعر الصعاليك على لفظ الرباب في غير الموضع الذي ذكرته؛ حيث استعمل الشعراء الصعاليك ألفاظًا متنوعة للدلالة على السحاب وأحواله.

- **الطخا:** وهي من الجذر اللغوي (طخا) ومن معانيه في لسان العرب: "طخا الليل طخوًا وطخوًّا: أظلم. والطخوة: السحابة الرقيقة. وليلة طخواء: مظلمة. والطخية والطخية عن كراع: الظلمة. وليلة طخياء: شديدة الظلمة قد وارى السحاب قمرها. وأصل الطخاء والطخية الظلمة والغيم... والطخية: السحابة الرقيقة. اللحياني: ما في السماء طُخية، بالضم، أي؛ شيء من سحاب، قال: وهو مثل الطخرور"[1]. ولعلها هي ما أسماها الثعالبي في قوله: "فإذا كانت قِطعًا مُسْتَدِقَّةً رِقاقًا، فهيَ الطَّخاريرُ (وَاحِدَتُهَا طُخْرُورٌ)"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

لَدُنْ مَطْلَعِ الشّعرَى قليلٍ أنيسهُ كأن الطّخَا في جانبيه مَعاجرُ[3]

وقد أشار شارح ديوان (علي ذو الفقار شاكر) تأبط شرًّا إلى أن (مطلع الشعرى) كناية عن أشد الحر، والطخا من الطخاء وهو السحاب الرقيق، والمعاجر جمع معجر وهو ثوبٌ تلقه المرأة على رأسها، وهو العمامة يتعممها الرجل ويردُّ طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئًا تحت ذقنه. بيد أن التشبيه الذي قصده الشاعر ربما يجعلنا ننظر في تأويل البيت مرة ثانية، ليكون الشعرى جبلاً، والسحاب الخفيف يطوقه وكأنه عمامة.

إن استعمال الشعراء الصعاليك للفظ الطخا نادر في الشعر، وذلك قياسًا إلى استعمالهم ألفاظًا أخرى في الحقل الدلالي عينه، كما في لفظ السحابة على سبيل المثال، التي تصدرت هذا الفصل.

- **السارية**: وهي من الجذر اللغوي (سَرَا) ومن معانيه في لسان العرب: "السارية من السحاب: التي تجيءُ ليلًا. والسارية: السحابة التي تَسْري

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (طخا).

2 - أحمد بن عبدالوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج1، ص 72.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 95.

ليلًـا، وجمعهـا: السَّـواري. قـال ابـن سـيده: و السـاريَة السـحابة التـي بـين الغادِيَـة والرائحـة. وقـال اللحيـاني: السـاريَة المَطْـرة التـي تكـون بالليـل. والسـارية: السـحابة تُمْطِـر ليلًـا، فاعِلـة مـن السُّـرى سَيرِ الليـلِ، وهـي مـن الصفات الغالبة"[1]. ومن ذلك، ما نظمه حاجز بن عوف الأزدي:

لِمَنْ طللٌ بعثمَةَ أو حفَارِ   عَفَتهُ الريحُ بعدكَ والسَّواري[2]

وما نظمه تأبَّط شرًّا مضيفًا السارية إلى الغمام:

على الشنفرى ساري الغَمامِ فَرائحُ   غَزيرُ الكُلَى وصيِّبُ الماءِ بَاكرُ[3]

وما نظمه القتَّال الكلابي:

سرى بديارِ تَغْلِبَ بَينَ حَوضَى   وبينَ أبارق الثمدين سَارِ[4]

حيـث اسـتعمل الشـاعر الفعـل (سـرى) ثـم الاسـم (سـارٍ) إشـارة إلـى السـحاب دون التصـريح بـه حقيقـة، ودون الإتيـان علـى ذكـر الاسـم المشـتق مـن سـرى لمعنـى السـحاب (سـارية)، لدلالـة السـياق علـى المعنـى المقصـود حفاظًـا علـى الإيجـاز، وفتـق الـذهن للتشـارك فـي التأويـل مـع الـنص الشـعري، وهـي أسـاليب يتبعهـا بعـض الشـعراء كـي لا يكـون الـنص واضـحًا جليًّـا فـي عمومـه، إنمـا تـأتي جماليتـه –بحسـب رأيهـم- فـي احتياجـه للتفكـر والإمعـان مـن قبـل جماعـة المتلقـين للوقـوف على المعنى الحقيقي الذي يقصده الشاعر.

وإن اسـتعمال الشـعراء الصـعاليك للفـظ السـارية كـان قلـيلاً، قياسًـا إلـى الألفـاظ التـي اتصـف استعمالها بالنـدرة لـدى ورودهـا مـرة واحـدة لـدى مـا وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك.

- **الديمـة**: وهـي فـي معجـم ألفـاظ المـاء: "المطـر الـذي يـدوم مـع سـكون لا رعـد فيـه ولا بـرق، أقلهـا ثلـث النهـار وثلـث الليـل"[5]. والديمـة "المطـر يـدوم اليـوم أو اليـومين والثلاثـة مـن دامـت السـماء تـدوم ديمًـا ودومًـا، وأصـل الـديم السكون، وأصـل الـديم مـن الـدوم، فاقلبـت العـين (الـواو) يـاء

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سرا).

2 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2001م، ص 167.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 78. وانظر: **ديوان الشنفرى**، ص 95.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 62. الثمد: الماء القليل.

5 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المـاء"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، ص 194. نقلاً عن: سعيد بن أوس الأنصاري، **كتاب المطر**، ص 102.

لكسرة قبلها، فقالوا: دوم. يدوم على القياس ويديم على القلب حتى كثر وشاع"[1]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

فإذا تقومُ فصَعْدَةٌ في رَمْلَةٍ لَبدَتْ بريِّقِ دِيمَةٍ لم تُغدِقِ[2]

أراد الشاعر بالصعدة القناة، والصعدةُ هي القناة التي تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف، والشاعر هنا يصف المرأة بأنها ممشوقة القوام كأنها قناة رمحٍ مستقيمة ممشوقة القد، وهو معنى يكثر وروده لدى الشعراء. وقوله: (في رملةٍ لبدت...) أي؛ أن القناة نبتت في أرض روتها ديمة –سحابة- ليست بالشديدة المغدقة التي تغرق الأرض وتسيل بها. فهي مروية على مهل.

على أهمية الديمة في المعجم المائي إلا أن استعمالها اتصف بالندرة لدى ما وقفت عليه من أمثلة لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك.

- **العماء:** وهو لغة: "العماء ممدود: السحاب المرتفع، وقيل: الكثيف؛ قال أبو زيد: هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال. قال أبو عبيد: العماء في كلام العرب السحاب. والعماءة: السحابة الكثيفة المطبقة، قال: وقال بعضهم هو الذي هراق ماءه ولم يتقطع تقطع الجفل"[3]. وهو عند الثعالبي في أسرار العربية: "أرفع السحاب في السماء"[4]. ومن مواضع توظيف هذا المسمى في شعر الصعاليك قول حبيب الأعلم الهذلي[5]:

يُغْرونَ صَاحِبَهمْ بنا جهدًا وأغرى غيرَ كاذبْ
أغرى أبا وهبٍ ليُعـ ـجِـزَهُم ومَدُّوا بالحَلائبْ
مَدَّ المُجلجِلِ ذي العما ءِ إذا يُراحُ مِنَ الجَنائبْ[6]

ونظم الشاعر هذه القصيدة بعد أن لحق به قوم كانوا على نبع ماء وردَ إليها خلسةً، ففرَّ الشاعر هاربًا على قدميه وكان معروفًا بسرعته في العدو، فلم يستطيعوا اللحاق به، فأغروا رجلاً يقال له أبا وهب

1 - سعيد بن أوس الأنصاري، **كتاب المطر**، ص 102.

2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 146. بريّق: الريّق: أول الشيء، وريّق المطر: أوله. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ريق).

3 ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عمي).

4 - **ديوان الهذليين**، ج2، ص 78. وانظر: يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 219.

5 - وهو أخو الشاعر صخر الغي. انظر: **ديوان الهذليين**، ج2، ص 77.

6 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 219.

ليجري في أثره، لكنه لم يستطع إدراكه، ولما فرغ الأعلم من مراقبتهم نظم قصيدة منها الأبيات السابقة.

فهو يصف سرعة أبا وهب في أثره حيث انطلق وراءه مسرعًا وكأنه سحابةٌ مرتفعة مجلجلة دفعتها ريح الجنوب نحو الشمال. و"المجلجل: الذي له جلجلة، والجلجلة في السحاب، والجلجلة في الرعد. والجلجلة الصوت الصافي. والمعنى على السحاب. والسيل في المطر، والعماء: السحاب الرقيق، ويُراح: تصيبه الريحُ. الجنائب: جمع الجنوب"[1].

- **الخال**: "السحاب لا يخلف مطره، أو لا مطر فيه، والبرق"[2]. ومن ذلك، قول صخر الغي الهذلي[3]:

أجَشَّ ربَحْلاً لهُ هَيْدَبٌ　　　يَرَفِّعُ للخالِ رَيْطًا كَشِيفا[4]

نظم الشاعر هذا البيت في وصف الرعد، والأجش هو الصوت الشديد للرعد، و"الربحل: الضخم الطويل. والخال هنا: السحاب لا يخلف مطره أو البرق. والريط: جمع ريطة وهي الملاءة من نسج واحد وقطعة واحدة، أو كل ثوب لين رقيق"[5].

- **الهيدب**: وهو "السحاب المتدلّي". وفي لسان العرب: "والهيدب: السحاب الذي يتدلّى ويدنو مثل هدب القطيفة. وقيل: هيدب السحاب ذيله؛ وقيل: هو أن تراه يتسلسل في وجهه للودق، ينصب كأنه خيوط متصلة؛ الجوهري: هيدب السحاب ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط؛ وقال عبيد بن الأبرص:

دَانٍ مُسِفٍّ فُويقَ الأرضِ هَيدَبُهُ　　　يَكادُ يَدفعهُ مَن قامَ بالرَّاح

يصف الشاعر في هذا البيت السحاب كثير المطر، ولشدة قرب السحاب المتدلي يكاد الإنسان يدفعه عنه براحة يده.

- **المزن**: ورد في لسان العرب لابن منظور ما نصه: "والمزن: السحاب عامة... وقيل: المزنة السحابة البيضاء، والجمع مزن، والبرد حب المزن، وتكرر في الحديث ذكر المزن . قال ابن الأثير:

---

1 - **ديوان الهذليين**، ج2، ص 78.

2 - **القاموس المحيط**، مادة (خال).

3 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج1، ص 294.

4 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج1، ص 294. وورد البيت منسوبًا للشاعر الأعلم الهذلي في: يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 311.

5 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 311. (الهامش).

المـزن وهـو الغـيم والسـحاب، واحدتـه مزنـة، ومزينـة تصـغير مزنـة وهـي السـحابة البيضـاء، قـال: ويكـون تصـغير مزنـة. يقـال: مـزن فـي الأرض مزنـة واحـدة أي؛ سـار عقبـة واحـدة، ومـا أحسـن مزنتـه، وهـو الاسـم مثـل حسوة وحسوة. والمزنة: المطرة"[1]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

ظَاعِنٌ بالحَزمِ حَتّى إذا ما حَلّ، حَلّ الحَزمُ حَيث يَحُلُ
غَيثُ مُزنٍ غامِرٌ حيثُ يُجدِي وَإذا يَسطُو فَلَيثٌ أبَلُ[2]

وصـفه بأنـه مسـتعملٌ للحـزم وآخـذٌ بـه، ظاعنًـا كـان أو مقيمًـا. "والظعـن: ضـد الْإِقَامَـة، وَالْمعْنَـى أنـه متصـف بـالحزم فِـي جَمِيـع شـؤونه وأحوالـه حـلاً وتـرحلاً. والمـزن: جمـع مزنـة، وَهِـي فِـي الأَصْـل السـحابة الْبَيْضَـاء، وَالْمـرَاد السـحابة فِيهَـا المَـاء لِـأَن السَّـحَاب الـأَبْيَض لَـا مَـاء فِيـهِ. وغمـره المَـاء: عـلاهُ، ويجـدي: يُعْطِـي الجـدوى؛ وَهِـي الْعَطِيَّـة. ويسـطو: يقهـر ويصـول. وَاللَّيْـث: الْأسـد. والأَبَـلُّ: المصـمم المَاضِـي علـى وَجهـه لَـا يُبَـالِي مَـا لَقِـي. وَالْمعْنَـى أنـه جـواد كـريم شُـجَاع إِذا أعْطَـى أجـزل الْعَطَـاء كالسـحاب الَّـذِي يغمـر النَّـاس بِكَثْـرَة أمطـاره، وَإِذا صـال فكالأسـد الهصور لَا يُبَالِي بالعدو"[3].

فـي البيـت السـابق توظيـف دقيـق للشـاعر تـأبط شـرًّا يـدل علـى دقتـه اللغويـة فـي التوظيـف، حيـث إنـه قـال: "غيـث مـزن" فـي سـياق وصـف الممـدوح بـالكرم، ثـم أتبعهـا بقولـه (غـامرٌ) إشـارة إلـى المطـر المنهمـر مـن السـحب البيضـاء التـي لا يكـون مطرهـا إلا خيـرًا، بَـرَدًا أو ثلجًـا أو مـاءً نافعًـا لا ضـرر فيـه، علـى عكـس السـحاب المطبـق المظلـم ومـا يحملـه مـن غـزارة مطـر ربمـا تـؤدي إلـى السـيول والفيضـانات فيخـرج المطـر مـن دلالته الإيجابية إلى السلبية.

ومن ذلك، ما نظمه أبو صخر الهذلي في المدح:

حدتْ مُزْنَةٌ مِن حَضرموتَ مَريَّةٌ ضَجوجٍ لها منها مدرٌّ وحَالبُ[4]

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مزن). أبلُّ: المصمم الماضي في أمره.

2 - **ديـوان تـأبط شـرًّا وأخبـاره**، ص 249. مـنهم مـن نسـب الأبيـات للشـاعر الشـنفرى، لكنهـا وردت في ديوانها فأثبتناها باسمه كما هي.

3 - يحيـى بـن علـي بـن محمـد التبريـزي، **شـرح ديـوان الحماسـة**، د.ط، دار القلـم، بيـروت، لا تا، ص 344.

4 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 949.

شبه الشاعر السحابة بالناقة كثيرة اللبن. والمزنة هي السحابة البيضاء، والمريَّةُ هي الناقة الغزيرة الدرِّ، والضجوج أي؛ إنها تصدر ضجيجًا لدى حلبها. فإن التوظيف في هذا البيت توظيف إيجابي للفظ المزنة، حيث يؤكد الشاعر غزارة مياه السحابة.

من خلال الألفاظ الدالة على السحاب واستعمالاتها لدى ما وقفت عليه في قصائد أبرز الشعراء الصعاليك، وجدت حضور الألفاظ كان بحسب الترتيب الآتي: (السحابة، النجاء، السارية، المزن، الغمام، الهيدب، العارض، البرَّاق، الرباب، الطخا، الخال، الديمة، العماء).

المطلب الثاني: الألفاظ الدالة على الرعد

الرعدُ لغةً في لسان العرب: "والرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب. وأرعد القوم وأبرقوا: أصابهم رعد وبرق. ورعدت السماء ترعد وترعد رعدا ورعودا وأرعدت: صوّتت للإمطار. وسحابة رعَّادة: كثيرة الرعد. وقال اللحياني: لقد أرعدنا أي: أصابنا رعد... وقال الأخفش: أهل البادية يزعمون أن الرعد هو صوت السحاب، والفقهاء يزعمون أنه ملك. ورعدت المرأة وأرعدت: تحسنت وتعرضت. ورعد لي بالقول يرعد رعدًا وأرعد: تهدد وأوعد. وإذا أوعد الرجل، قيل: أرعد وأبرق ورعد وبرق. ولا يجيز أرعد ولا أبرق في الوعيد ولا السماء"[1].

ويعد كل من الرعد والبرق "من مدبرات الآثار العلوية الظاهرة في الجو"[2]، أي؛ يندرجان ضمن حقل العلويات في الألفاظ الدالة على مكونات الماء، وكلاهما يلحقان المعجم المائي من حيث الدلالة. وقد وظف الشعراء الصعاليك الرعد في قصائدهم ضمن وظيفتين اثنتين، وهما على النحو الآتي:

1- التوظيف الحسيّ: إن الصفة الحسية الوحيدة للرعد متعلقة بالصوت الناتج عنه، وهي ما يمكن للإنسان إدراكه بحاسة السمع دون غيرها، ولهذا فلم يجد الشعراء الصعاليك إلا هذه الصفة الحسية لتوظيفها في أشعارهم، فأبدعوا في وصفها وتفننوا في تسمية صوت الرعد بأسماء مختلفة، وقد ورد منها في شعر الصعاليك ما يأتي من الأسماء بتوظيفات مختلفة:

- **الخَوَاتُ:** وهو لغةً صوتُ الرعد، "خاتَه يَخُوتُه خَوْتًا طَرَده، والخَواتُ والخَواتةُ الصَّوْتُ، وخصَّ أبو حنيفة به صَوْتَ الرَّعدَ والسَّيل"[3].

وقد وظف الشاعر عروة بن الورد هذا اللفظ في وصف قوة صوت الرعد مشبهًا إياه بزئير الأسد، فقال:

كأنَّ خَوَاتَ الرَّعدِ رزُّ زَئيرِهِ   منَ اللَّاءِ يَسْكُنَّ العَرينَ بَعِثَّرا[4]

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رعد).
2 - أحمد بن عبدالوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج1، ص 60.
3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (خوت).
4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 65.

- **الهَـزِيْمُ:** وهـو لغـة صـوتُ الرَّعـدِ، "الهَـزيمُ والمُتَهـزم: نقـول غيـثٌ هَـزيمٌ: أي؛ لا يستمسـك كأنَّـه مُنهـزمٌ مـن سَـحَابِهِ، وهـو المطـرُ الـذي لرعـدِهِ صَـوتٌ، وأصلُ الهزيمِ هو صوتُ الرَّعدِ"[1].
ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي في وصف شدة صوت الرعد:

سمَاكيُ تلألأ في ذُرَاهُ هَزِيْمُ الرَّعدِ ريَّانَ القرَار[2]

وقـد ربـط الشـاعر فـي البيـت بـين صـوت الرعـد وانهمـار المطـر الغزيـر، ولـم يكتـفِ بـالتركيز علـى حـال واحـدة مـن أحـوال تكـوين المطـر. كمـا أنــه وصـف المطـر المنهمـر المصـاحب لهـزيم الرعـد بأنـه ريَّـان القـرار حافـل بالمـاء، أي؛ سـحاب ممطـر، وهـو توظيـف إيجـابي علـى الـرغم ممـا يحملـه صوت الرعد من تهديد ووعيد، كما سيمر معنا فيما يأتي.

- **الأَجَـشُّ:** لغـة هـو صـوت الرعـد إذا اشـتدَّ ويـدلُّ علـى غـزارة المطـر القـادم، وقـد ورد ذلـك لـدى النـويري فيمـا نصـه: "فـإذا كَـانَ لِرَعْـدِهِ صَـوت، فَهُـوَ الهَـزِيمُ، فـإذا اشـتَدَّ صَـوْتُ رَعْـدِهِ، فَهُـوَ الأجَـشُّ"[3]. ومـن ذلـك، مـا نظمـه الشاعر صخر الغيِّ:

أجَشَّ ربَحْلاً لهُ هَيْدَبٌ يَرَقِّعُ للخالِ رَيْطاً كَشِيفَا [4]

ورد فـي شـرح البيـت مـا نصـه: "يعنـي أن البـرق إذ لَمَـع أضـاء السـحابَ فتراه أبيض فكأنه كشَف عن رَيْطٍ، يقال: تكشَّف البرق إذا ملأ السماء"[5].

فالشـاعر اسـتعمل اسـمًا دقيقًـا فـي الدلالـة علـى صـوت الرعـد، فهـو يريـد أن يوضـح أن صـوت الرعـد المقصـود فـي البيـت لـيس صـوتًا عاديًـا فهـو لـيس هزيمًـا مـثلاً، بـل إنـه أعلـى درجـة منـه، فهـو الصـوت الأجـش، وهـذا الصـوت يـوحي بغـزارة المطـر المرتقـب مـن السـحب ذات الصـوت الأجـش، فجـاء توظيف الشاعر موفقًا ملائمًا للسياق.

- **الجَلْجَلَـة:** وهـي عنـد الثعـالبي: "الرعـدُ إذا صَـوتُهُ بَلَـغَ النهايَـة"[6]، ومـن خـواص قوة الصـوت أنهـا تـدل علـى الكثـرة. ومـن ذلـك، مـا نظمـه صـخر الغـي فـي أبيـات

---

1 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، ص 209.
2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 62.
3 - أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423 هـ، ج1، ص 72.
4 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج1، ص 294.
5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كشف).
6 - عبدالملك الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 285.

يــذكر فيهــا أبــا المــثلم وقومــه الــذين كــانوا بــين موضــعين همــا: (عكــوتين) و(بس)، مكنِّيًا بالرعد عن كثرتهم:

كأنَّهم بينَ عكوَتَينِ إلى أكنافِ بَسٍّ مُجَلْجَلٍ بَرَدُ[1]

فهـو يشـبههم بالسـحاب الممطـر ذي الرعـد، ومجلجـل كنايـة عـن الكثـرة. وإن السـياق الـذي ورد فيـه اسـتعمال صـوت الرعـد هنـا سـياق إيجـابي حيـث إن وصف كثرة أعداد القوم إشارة إلى القوة وموضع للفخر والمدح.

2- التوظيـف الـدلالي: وقـد أشـار ابـن منظـور إلـى هـذا بمـا نصـه: "ورعـد لـي بـالقول يرعـد رعـدًا وأرعـد: تهـدد وأوعـد. وإذا أوعـد الرجـل، قيـل: أرعـد وأبـرق ورعـد وبـرق"[2]، فقـد ورد هـذا الاسـتعمال فـي قـول حـاجز بـن عـوف الأزدي:

وإني لمن إرعادكمْ وبُروقكم وإيعادكم بالقتل صمٌّ مسامعي[3]

يبـدو الشـاعر غيـر مكتـرث بكـل مـا يسـمعه مـن تهديـد ووعيـد وإنـذار بالقتـل مـن أعدائــه، وقــد شــبه غضــبهم وتهديــدهم بالرعــد والبــرق، وأظهــر أنــه يصــم مسـامعه عـن سـماع هـذه التهديـدات، لكنـه لـم يتطـرق إلـى حاسـة البصـر المتعلقـة بـالبرق، وهـذا يحمـل إشـارة دلاليـة إلـى أنـه وإن صـم مسـامعه فإنـه سـيظل يقظًـا محتاطًا لأي محاولة غدر منهم.

ومن ذلك، ما نظمه أبو صخر الهذلي:

فلمَّا تغشَّى نقريـات سَحيـلِهِ ودافعهُ من شامه بالرواجــبِ
ألحَّ رجيفًا يهربُ الوحشُ حسَّه كلحة حوم المنهـل المتجـاوبِ
رفعتُ له صَوتي وأيقنتُ أنَّه إزامل نجم خاله غيـر كـاذبِ[4]

يصــف الشــاعر كثافــة وكثــرة الســحاب الــذي فــي صــوته رعــد يهــرب منــه الــوحش مــن شــدته، وشــبه صــوت الرعــد بصــوت الإبــل الكثيــرة حينمــا تــرد المنهـل واسـتعار الرعـد للإنسـان فـي "ألـحَّ رجيفًـا" فلمـا سـمع أبـو صـخر صـوت الرعـد أنصـت لـه وقـال "رفعـت لـه صـوتي" تعبيـر قـوي عـن مـدى اسـتجابته لـه،

1 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج1، ص 259.
2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رعد).
3 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 176.
4 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 922.

وأيقن أنه أصوات نوء نجم سحابه غير كاذب، أي؛ مخيل بالمطر. وهذا دليل على استدلال الهذليين للمطر بصوت الرعد.

ورد للرعد أربعة أسماء (الخوات، الهزيم، الأجش، الجلجلة) تدل على الصفة الحسية الوحيدة الخاصة به وهي الصوت. وقد وظف الشعراء الرعد ضمن دلالتين اثنتين، الأولى حسية تتعلق بصوت الرعد المصاحب للمطر، والثانية دلالية تتعلق بالتهديد والوعيد كما بيّنّا.

المطلب الثالث: الألفاظ الدالة على البرق

البرق لغة من الجذر اللغوي (بَرَقَ) وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: "الْبَاءُ وَالرَّاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ تَتَفَرَّعُ الْفُرُوعُ مِنْهُمَا: أَحَدُهُمَا لَمَعَانُ الشَّيْءِ؛ وَالْآخَرُ اجْتِمَاعُ السَّوَادِ وَالْبَيَاضِ فِي الشَّيْءِ. وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَكُلُّهُ مَجَازٌ وَمَحْمُولٌ عَلَى هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَالَ الْخَلِيلُ: الْبَرْقُ وَمِيضُ السَّحَابِ، يُقَالُ: بَرَقَ السَّحَابُ بَرْقًا وَبَرِيقًا. قَالَ: وَأَبْرَقَ لُغَةٌ. قَالَ بَعْضُهُمْ: يُقَالُ: بَرْقَةٌ لِلْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ: إِذَا بَرَقَ، وَبُرْقَةٌ بِالضَّمِّ: إِذَا أَرَدْتَ الْمِقْدَارَ مِنَ الْبَرْقِ. وَيُقَالُ: لَا أَفْعَلُهُ مَا بَرَقَ فِي السَّمَاءِ نَجْمٌ، أَيْ: مَا طَلَعَ. وَأَتَانَا عِنْدَ مَبْرَقِ الصُّبْحِ، أَيْ: حِينَ بَرَقَ"[1].

وجاء من معانيه في لسان العرب: "قال ابن عباس: البرق سوطٌ من نورٍ يزجرُ به الملكُ السَّحابَ. والبرق: واحد بروق السحاب. والبرق الذي يلمع في الغيم، وجمعه بروق. وبرقت السماء تبرق برقا وأبرقت: جاءت ببرق. والبرقة: المقدار من البرق... ومرت بنا الليلة سحابة برَّاقة وبارقة، أي؛ سحابة ذات برق، عن اللحياني. وأبرق القوم: دخلوا في البرق، وأبرقوا البرق: رأوه"[2].

استعمل الشعراء الصعاليك عنصر البرق ضمن وظيفتين اثنتين، أولى حسية، وثانية دلالية، وهما على النحو الآتي:

1- التوظيف الحسي: أي؛ حين يستعمل الشعراء الصعاليك لفظ البرق في وصف السحاب وتبيين أحواله. وتجدر الإشارة هنا إلى استعمالهم ألفاظًا محددة للدلالة على البرق وأنواعه وأحواله، وجاءت في معظمها تحاكي

---

1 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص 221. مادة (برق).

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (برق).

الصـفة الحسـية الوحيـدة للبـرق وهـي الإضـاءة، وهـي صـفة حسـية بصـرية لا سمعية هي على النحو الآتي:

- **الخـال**: السـحاب لا يخلـف مطـره، أو البـرق[1]. ومـن أمثلـة هـذا الاسـتعمال قـول الشاعر صخر الغي:

أَجَشَّ ربَحْلاً لهُ هَيْدَبٌ يُرَفِّعُ للخالِ رَيْطاً كَشِيفا[2]

حيـث إن مـن خـواص البـرق الإضـاءة، وتخـتص الإضـاءة بالكشـف عـن كـل مـا أخفتـه الظلمـة، فقـد ربـط الشـاعر بـين هـاتين الخاصـيتين معًـا، فـي توظيـف مناسب للبرق وخواصه الفيزيائية في إضاءة الأفق.

- **المُسـتَطير**: وهـو لغـةً: "التطـاير والاسـتطارة: التفـرق. واسـتطار الغبـار: إذا انتشـر فـي الهـواء. وغبـار طيَّـار ومسـتطير: منتشـر. وصـبح مسـتطير: سـاطع منتشر، وكذلك البرق والشيب والشر"[3]. كما في قول عروة بن الورد:

أرقتُ وصُحْبَتي بمضِيق عَمْقٍ لِبَرْقٍ في تِهامَةَ مُستَطير[4]

وظـف الشـاعر خـواص البـرق فـي وصـف الوحـدة التـي عاناهـا فـي رحلتـه التـي قطعهـا لـيلاً عبـر مضـيق بلـدة (عمـق) مـن نـواحي المدينـة، فـالتوظيف فـي هـذا الموضـع إخبـاري حيـث يخبـر الشـاعر عـن رحلتـه الشـاقة وموضـعها وحـال لمعان البرق في السماء في أثناء هذه الرحلة.

- **المتـألِّق**: وهـو لغـة: "وألـقَ البـرقُ يـألقُ ألقًـا وتـألَّقَ وائتَلـقَ يَـأتَلِقُ ائتلاقًـا: لمـعَ وأضاء"[5]. قال أبو صخر الهذلي مشبهًا وجه محبوبته بالبرق المتألق:

بل قد عجبتُ لبارقٍ متألقٍ بعد الهدوء خفا ببرقٍ عاملِ[6]

يصـف الشـاعر حُسـن محبوبتـه متعجبًـا حيـث شـبه بالبـارق المتـألق، وبحسـب توظيـف الشـاعر فـإن القاسـم المشـترك بـين المحبوبـة والبـرق هـو البيـاض واللمعـان، وهـو أراد أن يشـبه جمالهـا بجمـال البـرق عنـدهم بمنزلـة الضـوء الذي ينير لهم الصحراء بانفساحها وظلامها.

---

1 - انظـر معناهـا فـي حاشـية البيـت نفسـه فـي: يوسـف خليـف، **الشـعراء الصـعاليك فـي العصـر الجاهلي**، ص 311.

2 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج1، ص 294.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (طير).

4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 62.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ألق).

6 - خالـد الحسـن الخزينـة، **الأنـواء فـي أشـعار الهـذليين: دراسـة وصـفية فنيـة تحليليـة**، رسـالة مقدمـة لنيـل درجـة الماجسـتير فـي اللغـة العربيـة وآدابهـا، قسـم اللغـة العربيـة، كليـة الآداب، جامعـة الخرطوم، السودان، 2005م، ص 184.

وتجدر الإشارة إلى أن توظيف لمعان البرق وإنارته في الجانب الإيجابي جاء في مواضع متعددة في الشعر، ومن ذلك، ما نظمه أبو كبير الهذلي في وصف وجه الشاعر تأبَّط شرًّا:

وإذا نظرتَ إلى أسرَّةِ وجهِهِ بَرقتْ كبرق العَارضِ المُتَهَلِلِ[1]

حيث يقول الشاعر: إنك إذا لحظت وجه الممدوح أضاء لك كما يضيء البرق السحاب المعترض، فهو شبه وضاءة وجمال تأبط شرًّا وبياض وجهه بالبرق، ولعلَّ هذا الوصف قبل أن يتصعلك؛ لأن الصعلكة تذهب بهذه الصفات التي رآها نسبة لتعرضه للشمس كثيرًا في الصحراء والصعاليك يغلب على لونهم السواد، وربما كانت في سياق تهكمه على سبيل المداعبة.

2- التوظيف الدلالي: وظف بعض الشعراء الصعاليك دلالة لفظ البرق في الجوانب المعنوية، فجعلوا الدلالة محصورة في جانب واحد فقط، وهو:

- **التهديد والوعيد**: وهو ما مثلنا له في المطلب السابق الخاص بالرعد، ومن أمثلة ذلك قول حاجز بن عوف الأزدي :

وإني لمن إرعادكمْ وبُروقكم وإيعادكم بالقتل صمٌّ مسامعي[2]

صرّح الشاعر بأن الإرعاد والإبرَّاقة يوازي الإيعاد بالقتل، أي؛ يتوعدونه ويهددونه بقتلهم إياه، وهذا التهديد يشبه صوت الرعد في غضبه وهيجانه، وسياط البرق وهي تجلد الأرض كناية عن الحدة والغضب . ونلاحظ، من خلال ما وقفت عليه في استعمال البرق، في حقل العلويات أن الشعراء استندوا إلى صفات هذا البرق في التمثيل والتصوير والتشبيه، فتارة، في بريقه، وأخرى، في صوته.

- **خَلْفُ الوعد**: ويستعمل البرقُ الخلّبُ في الإشارة إلى خلفِ الوعد في أمثال العرب، ومما جاء في العقد الفريد: "منه قولهم: ما وعده إلا برق خلّب، وهو الذي لا مطر معه. ومنه ما وعده إلا وعد عرقوب. وهو رجل من العماليق"[3]. ومن هذا عند الشعراء الصعاليك استعمال الشاعر تأبَّط شرًّا لفظ (برَّاق) للسحاب الذي يبرق ولا يمطر، أي؛ السحاب الخلّب، في قوله:

---

1 - **ديوان الهذليين**، ج2، ص 94.

2 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 176.

3 - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ، ج3، ص 25.

تُعطيكَ وعدَ أمانيٍّ تغرُّ به   كالقطرِ مرّ على ضجنان بَرَّاق[1]

وظـف الشــاعر لفـظ البـرق (بـرَّاق) فــي سـياق سـلبي يمثـل لإخـلاف الوعـد وعـدم الالتـزام بإيفائهـا، فأشـبه بـذلك السـحابة التـي تمـر وتبـرق دون أن تمطـر، فيستبشـر النـاس بهـا فـي بدايـة الأمـر، ثـم إنهـم يفقـدون أمـل إمطارهـا بعـد مرورها عنهم.

- **اللمعــان والإنــارة:** وهــي دلالــة مشـتقة مـن المعنــى اللغـوي للبـرق المسـتفاد مـن بريقـه ولمعانــه فــي السـماء، والمعنــى الوصـفي للبـرق فـي شـكله المضــيء الـذي يشق عباب السماء إلى الأرض بشكل أفقي، كما في قول تأبط شرًّا:

وإنِّي ولا عِلْمَ لأعْلَمُ أنَّني   سَألقى سنَانَ المَوتِ يَبرقُ أصلَعَا[2]

اسـتعمل الشــاعر الفعــل (يبــرق) المــلازم لدلالــة البــرق، كنايــة عــن اللمعــان، ولعــلَّ اسـتعارة دلالــة لفـظ (البـرق) للسـيف يكثـر فــي الأشـعار التــي تصف الحروب والوقائع بعامة، وفي أشعار الفرسان بخاصة.

وممــا نظمــه تــأبَّط شــرًّا فــي وصــف السـيوف التــي تتضــارب فــي ســاح الحرب قائلاً:

كل ماضٍ قد تردى بماضٍ   كسنا البرق إذا ما يسلّ[3]

أي: سـيفٌ مــاضٍ حــادٌّ[4]، حــذف الشــاعر المشـبه وأبقــى علــى صــفته، والشـاعر يشـبه السـيوف المتضـاربة تحـت أشـعة الشـمس وكأنهـا سـنا البـرق إذا مــا أسـلته السـماء علــى الأرض، وهــي صــورة فنيــة إبداعيــة اسـتعار الشــاعر فيهـا دلالـة اللمعـان مـن البـرق والسـيف معًـا، ووظفهـا فـي وصـف البـرق، مشـبهًا السماء بالفارس الذي يستل البرق سيفًا دون التصريح بذلك.

ومـن هـذا التشـبيه مـا نظمـه أبـو صـخر الهـذلي وهـو يرثـي أخـاه متمنيًّـا لـه السقيا ومشبهًا حركة السيوف الهندية ولمعانها في المعركة بالبرق:

كأنَّ سيوفَ الهند تخفض تارةً   وترفع بين العسكر المُتقاربِ

---

1 - **ديــوان تــأبط شــرًّا وأخبــاره**، ص 129. ضـجنان: جُبيـل بناحيـة مكـة. وقـال الأزهـري: هـو جبل بناحية تهامة.

2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 118.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 249.

4 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مضى).

سَنَا لَوحُهُ لمَّا استقلَّتْ عرُوضُهُ وأحيا ببرقٍ في تِهامَةَ واصِبِ[1]

فهو يصف لنا السيوف الهندية التي تتحرك في المعركة ارتفاعًا وانخفاضًا بين العساكر المتقاربين المتحاربين ولمعانها بالبرق اللامع في السحاب الظاهر.

ورد للبرق ثلاثة أسماء (الخال، المستطير، المتألق) تدل على الصفة الحسية الخاصة به وهي الرؤية البصرية. وقد وظف الشعراء البرق ضمن أربع دلالات وهي: (التهديد والوعيد، إخلاف الوعد، اللمعان والإنارة). واتجهت الدلالة إلى السلبية حينًا وإلى الإيجابية حينًا آخر، فكانت السلبية في الاستعمال واضحة في سياق التهديد والوعيد، وقرنها الشاعر بالرعد في هذه الدلالة، كما جاءت الدلالة السلبية في وصف سلوك غير حميد وهو إخلاف الوعد. أما الدلالة الإيجابية فكانت في مواضع عدة؛ كما في الوصف الحسي لحال البرق الموافق للمطر والخير، والكناية الدالة على اللمعان والإنارة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مواضع اللمعان والإنارة اقتصرت على وصف أحوال المعتركات الحربية وما تتضمنه من قتل، وخصوصًا في وصف السيوف الحادة المصقولة اللامعة كأنها، وهي تهوي على الأعداء، سيوفٌ هندية.

1 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، 919.

المطلب الرابع: الألفاظ الدالة على الماء النازل من السماء

يسمى الماء النازل من السماء مطرًا؛ وورد هذا المعنى في لسان العرب بما نصه: "المطر: الماء المنسكب من السماء، والمطر ماء السحاب، والجمع: أمطار وأكثر ما يجيء في الشعر، وقد مطرتهم السماء تمطرهم مطرًا، وأمطرتهم: أصابتهم بالمطر"[1].

واصطلاحًا: هو الهبة السماوية بنزول الماء من السماء إلى الأرض لاستمرار الحياة ونماء الخيرات، وقد ورد ذكر ماء السحاب بكثرة في القرآن الكريم، قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وينزّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحيي بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُورا﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وهُوَ الذي يُنزلُ الغَيثَ مِنْ بَعدِ مَا قَنَطُوا ويَنْشُرُ رَحْمَتَه﴾[4].

وأكثر العرب من استعمال ألفاظ الماء النازل من السماء في أمثالهم، واستعملوا لذلك لفظ المطر في دلالة عامة على جميع أحوال الماء النازل وصفاته، فقالوا لمن خاف في رخاء ورغد فظن أن الناس كلهم في مثل حاله: "يحسب الممطور أن كلًّا مطر"[5]، والمتتبع لألفاظ المطر في الأمثال يجد لها حضورًا واضحًا.

وذكر العرب للمطر في أمثالهم نابعٌ من أهميته لديهم؛ فهو مبعث الحياة الخصب وبه حصول معايشهم من رعي وسقي وزرع، لذلك عرفوا خصائصه وأحواله واستدلوا على نزوله بالرياح وألوان السحب، وأنواع البرق وأصوات الرعد وصار لديهم علم كثير عنه، وقد ورد في كلامهم المنثور والمنظوم ما يشير إلي رسوخ هذا العلم، وعمق هذه المعرفته التي نتجت عن طول تجاربهم اليومية المستمرة.

"للمطر مظهر إبداعي متميز فى الشعر الجاهلي، فهو مصدر الخصب والنماء، وأحد مظاهر الطبيعة التي بهرت الجاهليين، بإعتباره سببًا من

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مطر).
2 - **الروم**: 24.
3 - **الفرقان**: 48.
4 - **الشورى**: 28.
5 - أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955م، ج2، ص 417.

أسباب الحياة والخصب، فبرع الشاعر الجاهلي في استغلاله مصدرًا لإبداعه الشعري، فاستقى منه الصور بدقة متناهية أثارت فكر المتلقّي الجاهلي، خاصة أن الشاعر قد يكون ممثلاً للساحر صانع المطر في عصور سبقت العصر الجاهلي"[1]. فالصورة الشعرية التي رسمها الشعراء للمطر تحمل في ثناياها صور الخصب والحياة والانبعاث، ويبدو الشاعر فيها مناجيًا مبتهلاً من أجل نزول المطر وبث الحياة على الأرض.

ومن ألفاظ المطر التي وردت في شعر الصعاليك:

1- **المطر**: وهو الاسم العام للباب في معناه وألفاظه الدالة عليه، وهو "الماء المنسكب من السحاب... وناس يقولون: مطرت السماء وأمطرت بمعنى. وأمطرهم الله مطرًا أو عذابًا. ابن سيده: أمطرهم الله في العذاب خاصة، كقوله تعالى: ﴿وأمْطَرْنَا عَليهمْ مَطرًا فَسَاءَ مَطَرُ المُنذَرين﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرنَا عَلَيهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيل﴾[3]؛ جعل الحجارة كالمطر لنزولها من السماء"[4].

وفي مقاييس اللغة لابن فارس: "الميم والطاء والراء أصلٌ صحيح فيه معنيان: أحدهما الغيث النازل من السماء، والآخر جنس من العدو. فالأول المطر، ومطرنا مطرًا. وقال ناس: لا يقال أمطر إلا في العذاب؛ قال الله تعالى: ﴿أمْطَرَت مَطَرَ السّوء﴾[5]. وتمطَّر الرجل: تعرَّض للمطر. ومنه المُستمطِر: طالبُ الخير. والثاني قولهم: تمطَّر الرجلُ في الأرض، إذا ذهب. والمُتَمَطِّرُ: الراكبُ الفَرَسَ يَجري به. وتمطَّرَتْ به فَرَسُهُ: جَرَتْ"[6].

وجاء لفظ المطر باشتقاقاته الدالة عليه في موضع واحد وقفت عليه في قصائد الشعراء الصعاليك، وهو قول الشاعر تأبَّط شرًّا:

جَزَى اللهُ فِتيانًا على العَوصِ أمْطَرَتْ ... سَمَاؤهمْ تحتَ العجَاجَةِ بالدَّمِ[7]

---

1 - نصرت عبدالرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، دار كنوز المعرفة، عمّان، 2013م، ص 72.

2 - **النمل**: 58.

3 - **هود**: 83.

4 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مطر).

5 - **الفرقان**، 41.

6 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج 5، ص 333. مادة (مطر).

7 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 206.

ونلاحظ أن توظيف لفظ المطر في استعمال الفعل (أمطرت) جاء سلبي الدلالة في السياق؛ حيث إنه قرن المطر بالدم، ويتوافق هذا الاستعمال للفظ المطر في الدلالة على العذاب كما أشرنا إلى ذلك.

2- **الـرّهم**: هو المطر الضعيف الساكن اللين، والرِّهمةُ بالكسر: "المطر الضعيف الدائم، وهو من أمطار الديم، وهي أشد وقعًا من الدِّيمة وأسرع ذهابًا"[1]. وعن أبي حنيفة أنَّه قال: "الرِّهمةُ أن تطبق السماء على الأرض ليالي بأمطار وضرٍّ شديد، ليس فيها برق ولا رعد، وهي من الدِّيم"[2]. ومن الملاحظ أن "الصفة المشتركة في الديم دوام المطر واستمراره وأنَّه مطر لا رعد فيه ولا برق، ورهَمَت السماءُ إرهامًا: أمطرت، وجمع رِهْمَة: رِهَامٌ للكثير، ورِهْمُ. وأما ابن دريد فقد ذهب إلى أنَّ "الرِهْمَة المطرُ اللين، ومنه اشتقاق المَرْهم لِلِينَتِهِ"[3]. وقد ورد في قول الشاعر أبي الخرّاش الهذلي:

ونعلٍ كأشلاءِ السُّمانى نبذتُها   خلاف ندًى من آخر الليلِ أو رهمِ[4]

فالشاعر يشبه نعله المهترئة التي تعيقه عن الركض، "ببقايا الطائر المأكول الذي لم يتبق منه غير جناحيه وجلده. وكلمة نبذتها توحي لنا بمدى الكره الذي بلغه من وسخها وثقلها وتقطعها، ثم يعكس لنا حالة الشاعر النفسية المكتئبة القلقة قليلة الصبر، وكذلك يظهر لنا مدى قلقه وعدم استبانته تمامًا من نوع المطر، ندي هو أم رهمة. ووحشة الليل تزيد من قلقه الذي يعيشه"[5].

وفق الشاعر في هذا التوظيف حيث إنه يقصد أن المطر كان ضعيفًا، فهو متيقن من هذا، لكنه لم يتبين إن كان هذا ندًى أو رهمًا، وفي كلا الحالتين فإنه يشير إلى المطر الضعيف.

3- **الغدق**: والغدق في لسان العرب: "غدق: الغدق: المطر الكثير العام، وقد غيدق المطر: كثر؛ عن أبي العميثل الأعرابي. والغدق: الماء الكثير وإن لم يك مطرًا. وقال الزجاج: الغدق المصدر، والغدق اسم

---

1 - سعيد بن أوس الأنصاري، **كتاب المطر**، ص 103.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رهم).

3 - ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ط1، طبعة الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ج2، ص 417.

4 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 226.

5 - خالد الحسن الخزينة، **الأنواء في أشعار الهذليين: دراسة وصفية فنية تحليلية**، ص 151.

الفاعل؛ يقال: غدق يغدق غدقًا، فهو غدق إذا كثر الندى في المكان أو الماء، قال: ويقرأ: ماءً غدقًا[1]"[2]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

فإذا تقوم فصَعدةٌ في رملةٍ لبدت بريِّق ديمة لم تغدق[3]

جاء البيت في سياق الغزل ووصف الحُسن، فشبه الشاعر الفتاة بأنها ممشوقة كالقناة التي نبتت في أرض روتها ديمة -سحابة- ليست بالشديدة المغدقة التي تغرق الأرض وتسيل بها. فهي مروية على مهل. وقد وفق الشاعر في توظيف الغدق في هذا البيت لمناسبة المعنى العام للبيت.

وحدد الثعالبي معنى الغدق في كتابه **"فقه اللغة وأسرار العربية"** في (فصل في تفصيل كمية المياه وكيفيتها) بما نصه: **"**فإذا كان كثيرًا عذبًا فهو غدق، وقد نطق به القرآن**"**[4].

4- **الـوَدَق**: وجاء معناه في لسان العرب: "والودق: المطر كله شديده وهيِّنهُ، وقد وَدَقَ يَدِقُ وَدْقًا، أي؛ قطر. ووَدَقَتِ السماء وأودَقَت. ويقال للحرب الشديدة: ذات ودقين، تشبه بسحابة ذات مطرتين شديدتين. ويقولون: سحابة وادقة، وقلما يقولون: ودقت تدق. ويقال: سحابة ذات ودقين، أي؛ مطرتين شديدتين"[5]. وحدد الثعالبي سمة الودق من الأمطار، بما نصه: **"**فإذا كَانَ المَطَرُ مُسْتَمِرًّا، فَهُوَ الوَدْقُ**"**[6].

وقال أبو كبير الهذلي واصفًا قوم الشاعر المعاصر له تأبط شرًّا مشبهًا إيَّاهم بسحابة ممطرة:

حتَّى رأيتهم كأنَّ سحابةً صابتْ عليهم وَدْقها لم يَشملِ[7]

يقصد الشاعر بالودق غير المشمول، أي؛ الذي لم تصبه ريح الشمال التي من شأنها أن تفرق السحب وتقطع المطر الغزير وتبعثره، ولذا وظف الشاعر لفظ الودق دون سواها من أسماء المطر في إشارة إلى أنه مطر غزير لا ينقطع، وأكد هذه الدلالة قول الشاعر بأن هذا الودق لم يصب بريح الشمال فيتفرق وينقطع.

---

1 - **الجن**: 16.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَدَقَ).

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 146.

4 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 306.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وَدَقَ).

6 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 305.

7 - **ديوان الهذليين**، ج2، ص 95.

5- **القَطْرُ**: جاء في لسان العرب: "القطر: المطر. والقطار: جمع قطر وهو المطر. والقطر: ما قطر من الماء وغيره، واحدته قطرة، والجمع قطار. وسحاب قطور ومقطار: كثير القطر"[1]. ومن مواضع توظيفه في شعر الصعاليك ما نظمه الشاعر تأبط شرًّا:

تُعطيكَ وعدَ أمانيٍّ تغرُّ به كالقطر مرّ على ضجنان بَرَّاقِ[2]

وربما قصد الشاعر بالقَطْرِ: "المطر الخفيف على الجبل الصلد حيث لا يغني ولا يغيث"[3].

ومنه قول القتَّال الكلابي:

بشرقيِّ حَوْضَى أخَّرتني مَنازلٌ قفارٌ جلا لي عن مَعَارِفِها القَطْرُ[4]

يبين الشاعر أنه لما صار في جهة الشرق من موضع حوضى استوقفته آثار دارسة لمنازلٍ لم تكن لتتضح لولا أن المطر غسلها من الرمال وأظهر ما تبقى من معالمها.

فالشاعر استعمل (القَطْرَ) الخاص بحقل العلويات مستندًا إلى صفات نتائج هذا القطر المؤثر في حقل الأرضيات، والتي منها الجلاء والوضوح وغسل الأرض.

6- **الوابل**[5]: الوبل والوابل: "هو المطر الشديد ضخم القطر"[6]. ومن ذلك، قول عبدة بن الطبيب:

وذكرنيها بعدما قد نَسيتُها ديارٌ عليها وَابلٌ مُتبعِّقُ[7]

إن استعمال الوابل في هذا السياق حملت دلالة الخير واستنزال البركة من السماء. ومن ذلك، قوله مستعملاً (الوبل) صفة للمطر على وزن مفعول في قوله:

وعَازبٍ جادَهُ الوَسْمِيُّ في صَفَرٍ تسري الذِّهَابُ عليهِ فهْوَ مَوبُولُ[8]

من المتعارف عليه أن (الوابل) اسم مختص ببعض صفات المطر وبيان أحواله، يأتي على صيغة الوزن الصرفي (فاعل)، بيد أن

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قطر).
2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 129.
3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 129.
4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49.
5 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، ص 211.
6 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وبل). وانظر: **القاموس المحيط**، مادة (وبل).
7 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 53.
8 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 75.

الشاعر استعمله هنا بصيغة (مفعول) بقوله: "موبول"، وهي صفة لما وقع عليه مطر الوابل فجعله موبولاً بالمطر مبتلاً به.

7- **الوَسْمِيُّ**: ويعدُّ الوسميُّ من أمطار الأزمنة بحسب ما صنَّفها أبو منصور الثعالبي في (فصل في أمطار الأزمنة) فذكر ما نصُّهُ: "عن أبي عمرو والأصمعي: أوَّل ما يبدو المطرُ في إقبال الشتاء فاسمه الخريف، ثم يليه الوَسميُّ، ثم الربيعُ، ثم الصيفُ، ثم الحَميمُ"[1].

والوسمي في لسان العرب لابن منظور: "مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف؛ لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرًا في أول السنة. وأرض موسومة: أصابها الوسمي، وهو مطر يكون بعد الخرفي في البرد، ثم يتبعه الولي في صميم الشتاء، ثم يتبعه الربعي. الأصمعي: أول ما يبدو المطر، في إقبال الربيع، ثم الصيف، ثم الحميم. ابن الأعرابي: نجوم الوسمي أولها: فروع الدلو المؤخر، ثم الحوت، ثم الشرطان، ثم البطين، ثم النجم، وهو آخر الصرفة، يسقط في آخر الشتاء. الجوهري: الوسمي مطر الربيع الأول؛ لأنه يسم الأرض بالنبات، نسب إلى الوسم. وتوسم الرجل: طلب كلأ الوسمي"[2].

ومن ذلك، قول عبدة بن الطبيب:

وعازبٍ جادَهُ الوَسميُّ في صَفَرٍ　　　تسري الذّهاب عليه فهو مَوبُولُ[3]

ويحدد الشاعر الفترة الزمنية التي نزل فيها المطر، بأنه في شهر صفر، وهو ثاني الأشهر القمرية.

8- **الغَيثُ**: "هو اسم للمطر كله، ثم سمي ما ينبت به غيثًا فأصبح يدلُّ على المطر والكلأ"[4]. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

غيثُ مزنٍ غامرٍ حيث يجدي　　　وإذا يسطو فليثٌ أبلّ[5]

ويكون الغيث في سياق الإيجابية والخير لدلالته على إغاثة الأرض بالماء بعد القحط والجفاف، والإغاثة لا تكون إلا بالنفع والخير، وقد استند الشاعر إلى هذا المعنى فاستعمل (الغيث) في سياق الكناية الدالة على الكرم، فشبه الممدوح بالغيث في أن منافعه عامةٌ للخلق كعموم ماء السماء المغيث بعد الجدب. وإن التوافق الدلالي في

1 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 304.
2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وسم).
3 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 75.
4 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، ص 205.
5 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 249.

توظيف (الغيث) دون سواه من أسماء المطر في هذا السياق المدحي، أن الغيث يعني عموم المطر، كما أنه مقرون بالخير اللاحق لهطوله، وهو استعمال أبلغ من استعمال مفردة المطر وحدها في هذا السياق.

9- **الصَّوبُ:** "الصَّوْبُ: أصله نزول المطر من صاب صوبًا وانصاب: أي؛ انصب"[1]، ومطر صَوْب وصَيّبٌ وصَيِّوبٌ، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ...﴾[2]، و"الصَّيِّبُ: السَّحابُ ذو الصَّوْب: أيّ؛ المطر الشديد"[3]. "الصَّيِّبُ: المطر الشديد، وأصل الصَّيِّب من الصَّوْب؛ وهو نزول المطر واستقراره أي؛ سيلانه، ومن معاني فَعَّل: التكثير فتغير الصيغة يؤدي إلى تغير المعنى"[4]. ومنه قول حاجز بن عوف الأزدي:

فبشِّر بني حاجٍ بصوبٍ غزيرةٍ　　من النجم أو نوءٍ ينوءُ بعقربِ[5]

نلاحظ أن كل الألفاظ المجردة الواردة في البيت مقصورة على حقل العلويات، مثل: (صوب: المطر، النجم، نوء العقرب). فالدلالة التي يحملها البيت، دلالة تهديد ووعيد، حيث يتوعد الشاعر بني حاجٍ بمصائب ومعارك قادمة عليهم، أشبه ما تكون بالمطر الشديد الغزير الذي يجلب السيول والخراب.

10- **الذِّهَابُ:** "الذِّهَابُ واحدها ذِهبَة، وهي الحديثة من الأمطار"[6]، وهي اسمٌ للمطر كلّه شديده وضعيفه[7]. والذِّهبَةُ أي؛ الدفعات من المطر[8]. ومن ذلك، قول عبدة بن الطبيب:

وعازبٍ جادَهُ الوَسْميُّ في صَفَرٍ　　تَسْري الذِّهَابُ عليهِ فَهْوَ مَوبُولُ[9]

والذِّهاب هي دفقات المطر التي تروح وتغدو دون أن يكون استمرارها ذا ضرر أو انقطاعها ذا ضرر أكبر، بل إن أفضلها ما يكون بهذا الشكل دون استمرار. وقد وظف الشاعر لفظ (الذِّهاب) في

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صوب).
2 - **البقرة**: 19.
3 - ابن سيده، علي بن إسماعيل، **المخصص**، دار الفكر أوفسيت عن المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، 1318 هـ، 9/117.
4 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، ص 201.
5 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 157.
6 - سعيد بن أوس الأنصاري، **كتاب المطر**، ص 103.
7 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ المطر"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، ص 194.
8 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 75. (الحاشية).
9 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 75.

هــذا البيــت بشــكل موافــق للدلالــة العامــة للســياق، حيــث إن المطــر المقصــود يســبب البلــل دون السـيول، ويكــون هــذا فــي المطــرة الحديثــة على الأرض، وهي في سياق التوظيف الإيجابي.

11-**الطـــلُّ**: "هـــو المطـــر الضـــعيف"[1]، أو "الـــذي لــــه أثـــرٌ قليـــل"[2]، أو "الـــذي نـــزل فـــي الصَّـــحو"[3]، وهـــو: "فـــوق النَّـــدى ودون المطـــر"[4]. وذكر ابن دُرَيْد: "إنَّ كل شيء نديٍّ طلٌّ"[5].

قــال أبــو منصــور الثعــالبي نقــلاً عــن الأصــمعي: "أخــفُّ المطــر وأضـعفه الطَّـلُّ"[6]. ونقـل عـن النضـر بـن شـميل فـي ترتيـب المطـر مـا نصُّــه: "أول المطــر رشٌّ وطــشٌّ، ثــم طــلٌّ ورذاذ"[7]. ومــن ذلــك، قــول الشنفرى:

شامسٌ في القُرِّ حتى إذا ما ذكَتِ الشِّعْرَى فبردٌ وظِلٌّ[8]

والشــامس أي؛ ذو الشــمس، والقــرُّ: البــرد. ذكــت الشــمس أي؛ اشــتدت حرارتهـا. والشـعرى كوكـب نيِّـرٌ يظهـر فـي شـدة الحـر. والطـلُّ: النـدى، وهـو هنــا فــي ســياق المــدح حيــث يصــف الشــنفرى ممدوحــه بــالكرم والسـخاء. فمـن قصـده مـن الضـيفان فـي أوقـات البـرد وجـد عنـده الـدفء، ومــن قصــده فــي أوقــات الحــرِّ وجــد عنــده مــا يطفــئ بــه حــرارة جوفــه. واسـتعمال الشـاعر الطـل اسـتعمالاً مجازيًّـا كنايـة عـن قطـرات المطـر الخفيفـة، أو قطـرات النـدى التـي تـوحي بالانتعـاش والجـو اللطيـف غيـر الحار، وهو استعمال في سياق المدح كما بيَّنَّا.

ومن ذلك، قول الشنفرى :

فَبِتْنَا كَأَنَّ البيتَ حُجِّرَ فَوقَنَا بِرَيحانةٍ رِيْحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتِ[9]

---

1 - ابن سيده، **المخصص**، 9/111.

2 - أحمـد بـن محمـد بـن الحسـن المرزوقـي، **الأزمنـة والأمكنـة**، ط1، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف، الهند – حيدرأباد، 1332هـ، 2/90.

3 - إبـراهيم بـن إسـماعيل الأجـدابي الطرابلسـي، **كفايـة المـتحفظ وغايـة المـتلفظ فـي اللغـة**، تحقيق: عبدالرزاق الهلالي، ط7، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، 1968م، 1/92.

4 - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، **الأزمنة والأمكنة**، 2/92.

5 - ابـن دريـد، محمـد بـن الحسـن الأزدي البصـري، **جمهـرة اللغـة**، ط1، مطبعـة مجلـس دائـرة المعارف العثمانية، حيدرأباد- الدكن، 1345هـ، 1/108.

6 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 303.

7 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 303.

8 - **ديوان الشنفرى**، ص 85-86.

9 - **ديوان الشنفرى**، ص 34.

وقصد الشاعر بقوله (ريحتْ) أي؛ أصابتها الريح فجاءت بنسيمها، وجعل ذلك عشاءً لأنه أبرد للريح عند مغيب الشمس. أما قوله (طلَّتْ) أي؛ أصابها الطلُّ، وهو الندى. فيقول الشاعر: بتنا وكأن البيت حجر فوقتنا بريحانة أصابتها الريح والندى عند العشاء. والمقصد العام أنها طيبة الرائحة، فنبات الريحان ينتشر شذاه لما يصيبه الندى أو يتم رشه بقطرات الماء. والسياق الوارد إيجابي موافق لإيجابية الندى في معناها اللغوي والدلالي العام.

ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

أنا الذي نكحَ الغِيلانَ في بلدٍ   ما طَلَّ فيه سماكيٌّ ولا جَادا[1]

إن الموضع الذي يصفه الشاعر يتصف بالقحط والجفاف، حيث أشار الشاعر إلى أن هذه الأرض التي كان الشاعر فيها متعاركًا مع الغيلان –في سياق الفخر بشجاعته- جافة قاحلة لم تعرف المطر ولا الغيم ولا الطل، والذي هو أقل ما يكون من مكونات الماء في السماء إلى الأرض. ويعد السياق الذي جاءت فيه مفردة الطل إيجابيًّا في معظمه؛ حيث إنه على افتراض أن الموضع المسمى لو أصيب بالطلَّ لكان مرعًا خصيبًا.

12- **الدَّاجن**: وهو المطر المطبق، كما ورد الدجن ضمن أسماء المطر في معجم ألفاظ المطر، "الدّجْنُ: المطر الكثير ومنه السحابة الداجنة الماطرة المطبقة نحو الديمة"[2]، وأصل الدّجنُ هو "إلباس الغيم الأرض"[3].

وقد ورد هذا المسمى للمطر في صيغتين اثنتين، جاءتا في الموضعين قوافٍ للأبيات، الأولى في قول تأبَّطَ شرًّا:

فأدبرتُ لا ينجو نجائي نِقنِقٌ   يبادرُ فرخيه شمالاً وداجنا[4]

والثانية في قول القتَّال الكلابي:

نجاءَ الثُّريا كلَّما ناءَ كوكبٌ   أهلّ يَسُحّ الماءَ فيه دُجُونُ[5]

---

1 - **ديوان تابط شرًّا وأخباره**، ص 77.

2 - ابن سيده، **المخصص**، 9/116.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دجن).

4 - **ديوان تأبَّط شرًّا**، ص 216. الشمال: البقية من الماء.

5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 91. ناء الكوكب: سقط ومال، والعرب تضيف الأمطار إلى الساقط من الكواكب فكأن ناء معناه أهل بالنوء. دجون: مطر مطبق.

وقال أبو صخر الهذلي:

دِجَانٌ وَتَهتَّانٌ وَوَبْلٌ ودِيمَةٌ فذلك يُبدي ما تجنُّ الأضالعُ[1]

فهو يشبه الدموع بالمطر الدجن، والتهتان والوبل والديمة، و"هذا ترتيب للمطر من الضعيف إلى القوي، فهذا يدل على معرفته الدقيقة بالأمطار وترتيبها، وجعل الأمطار بمراتبها من داخل الأضالع فمزج ما بين حالة نزول الدموع وانهمال الأمطار، ومزج مشاعره وعواطفه بالطبيعة، وأجاز إلى الدموع بذكر الأضالع بالعلاقة المحلية، وجعل دواخله سببًا للأمطار مما يعكس حالته العاطفية والنفسية، وتكرار النون والتاء أعطى موسيقة معنوية جميلة"[2].

13- **التَّهْتَّان**: بيَّن الثعالبي مرتبة التَّهتَانِ في أسماء المطر في قوله: "أوَّل المطر رشٌّ وطشٌّ، ثم طلٌّ ورذاذ، ثم نضحٌ ونضخٌ وهو قَطرٌ بين قَطرين، ثم هطلٌ وتَهتَانٌ"[3]. وورد في لسان العرب ما نصه: "هتن: هتنت السماء تهتن هتنًا وهتونًا وهتنانًا وتهتانًا وتهاتنت: صبت، وقيل: هو من المطر فوق الهطل، وقيل: الهتنان المطر الضعيف الدائم"[4].

وورد هذا اللفظ فيما وقفت عليه في شعر الصعاليك في موضع واحد عند الشاعر أبي صخر الهذلي في قوله:

دِجَانٌ وَتَهْتَانٌ وَوَبْلٌ وَدِيمَةٌ فذلكَ يُبدي ما تجنُّ الأضالعُ[5]

فالشاعر يصف أحوال المطر ويذكر منها التهتان، وهو يدل -كما بيَّنا- على عناية الشاعر بترتيب أحوال المطر بحسب أسمائها، ويوضح مدى اهتمامه بتحقيق البلاغة ليأتي اللفظ موافقًا للمعنى ومشيرًا إليه.

14- **الجَود**: وتابع الثعالبي في ترتيب المطر بما نصُّهُ: "أوَّل المطر رشٌّ وطشٌّ... ثم هطلٌ وتهتانٌ، ثم وابلٌ وجَوْدٌ"[6]. ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي:

---

1 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 935.

2 - خالد الحسن الخزينة، **الأنواء في أشعار الهذليين: دراسة وصفية فنية تحليلية**، ص 167.

3 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 303.

4 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (هتن).

5 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 935.

6 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 303.

وما روضةٌ بالحَزنِ قفْرٌ مَجُودَةٌ   يمجُّ النَّدى رَيحانَهَا وصَبيبَها[1]

والحَـزَن: "بـلاد يربـوع، وهـي أطيـب الباديـة مرعًـى ثـم الصـمَّان، قالـه السـكري. والصـبيب: شـجر يشـبه السـذاب يختضـبُ بـه"[2]. وقـد وفـق الشـاعر فـي وصـف مطـر هـذه الروضـة بـالجَود، حيـث إن طبيعتهـا الخصبة تتطلب مياهًا كثيرةً لتكون من أطيب مواضع البادية مرعًى.

15- **الـبَغْش:** جـاء فـي مقـاييس اللغـة: "البـاء والغـين والشـين أصـل واحـد، وهـو المطـر الضـعيف، ويقـال لـه: الـبغش. وأرض مبغوشـة. وجـاء فـي الشـعر: مطر باغش"[3]. ومن ذلك، قول الشنفرى في لاميته المشهورة بلامية العرب:

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطلي القوسَ رَبُّهَا   وَأَقْطُعُهُ اللاتِي بها يَتَنَبَّلُ

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وبَغْشٍ وَصُحْبَتِي   سُعَارٌ وَإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكُلُ

"البغش: المطر الخفيف"[4].

وحيـث إن المعهـود عـن المطـر الخفيـف نفعـه وإيجابيتـه، إلا أن الشـاعر وظفـه فـي سـياق السـلبية فـي هـذا الموضـع، حيـث جعلـه مترافقًـا مـع الخـوف والرعدة في الليل المظلم.

علـى الـرغم مـن تعـدد المسـميات التـي ذكرهـا الشـعراء فـي المـاء ومـا دل عليـه مـن الألفـاظ إلا أنهـا تنـدرج ضـمن حقـل دلالـي أساسـي واحـد هـو حقـل المــاء، وضــمن هــذا الحقــل الــدلالي فإنهــا تتفــق دلاليًّــا لتكــون ضــمن الحقــل الخــاص بتكوينــات المــاء قبــل وصــوله الأرض ليتشــكل فــي مجمعــات مائيــة متنوعـة بـين السـيول، والبحـار، والجـداول، والقيعـان، والغـدران، والآبـار، ومـا إلــى ذلــك، حيــث إن جميــع الألفــاظ التــي اســتعملها الشــعراء فــي هــذا المقــام، متعلقة بتكوينات الماء قبل نزوله مطرًا إلى الأرض.

ومـن خـلال مـا تناولتـه مـن الألفـاظ الدالـة علـى المطـر فـي قصـائد أبـرز الشـعراء الصـعاليك، وجـدت أنهـم اسـتعملوا سـتة عشـر لفظًـا مختلفًـا، يـدل كـل منهـا علـى حـالٍ مـن أحـوال المطـر، وهـي علـى النحـو الآتـي: (المطـر، والـرهم، والغـــدق، والـــودق، والقطـــر، والوابـــل، والوســـمي، والغيـــث، والصـــوب، والــذِّهاب، والطــلّ، والجَــود، والــدَّاجن، والــبَغش). واختلفــت مقــدرة التوظيــف الـدقيق لـدى مـا وقفـت عليـه مـن قصـائد الشـعراء الصـعاليك بـين الموافقـة فـي

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 31.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 31. الحاشية.

3 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص 274. مادة (بغش).

4 - السـيد أحمـد عمـارة، **دراسـة فـي نصـوص العصـر الجـاهلي تحليـل وتـذوق**، مكتبـة المتنبـي، د.ت، ص 54.

المعنى الدلالي واللغوي تارة، والمخالفة بينهما أخرى، بيد أن معظم الشعراء الصعاليك كانوا موفقين في توظيف الألفاظ بحسب موافقتها لمعناها اللغوي والسياق الدلالي في البيت الشعري.

الفصل الثاني

المجمَّعات المائية والألفاظ الدالة على أحوال تكوينها في شعر الصعاليك

مدخل

حيث إننا تناولنا في الفصل الأول الماء والألفاظ الدالة عليه في حقل المكونات، وبيَّنا المسميات التي أطلقها الشعراء الصعاليك على الماء ومكوناته وألفاظه، فإننا نتناول في هذا الفصل ألفاظ الماء وأسماء مواضع تجمع الماء؛ كما وردت في شعر الصعاليك، ونبدأ بها بحسب ترتيبها الزمني لحال المطر أول نزوله إلى الأرض، كالسيول، والجداول، والبحار، والغدران، والأحواض، وعيون الماء، على النحو الآتي:

1- السيول

وهي لغة من الجذر اللغوي (سال) ومن معانيه في لسان العرب: "سيل: سال الماء والشيء سيلاً وسيلانًا: جرى، وأساله غيره وسيله هو. وماء سيل: سائل، وضعوا المصدر موضع الصفة. والسيل: الماء الكثير السائل، اسم لا مصدر، وجمعه سيول. ومسيل الماء، وجمعه أمسلة: وهي مياه الأمطار إذا سالت... والمسيل: مفعل من سال يسيل مسيلاً ومسالاً وسيلا وسيلانا، ويكون المسيل أيضا المكان الذي يسيل فيه ماء السيل، والجمع مسايل، ويجمع على مسل وأمسلة ومسلان، على غير قياس"[1].

وقال الثعالبي في فصل (ترتيب السيل وتفصيله) ما نصه: "إذا أتى السيلُ فهو أتيٌّ، فإذا جاء يملأ الوادي فهو راعبٌ، فإذا جاء يتدافعُ فهو زاغبٌ، فإذا جاء من مكانٍ لا يُعلمُ به قيل جاءنا السيلُ درءًا، فإذا جاء بالقمش الكثير فهو مزلعبٌّ ومجلعبٌّ، فإذا رمى بالزبد والقذر قيل غثا يغثو، فإذا رمى بالجُفاء قيل جفأ يجفأ، فإذا كان كثير الماء ذاهبًا بكل شيء فهو جُحَافٌ وجُرَافٌ"[2].

تتحدد دلالة لفظ السيل في شعر الصعاليك من خلال سياقين اثنين؛ الأول السياق المائي، والثاني السياق الجغرافي، ففي السياق الأول يتم تناول السيل والألفاظ الدالة عليه بين التوظيفين السلبي والإيجابي، وفي السياق الجغرافي نبرز عناية الشعراء الصعاليك بأنواع السيول ومواقعها الجغرافية في البادية، فهي إما أن تكون في دلالة العموم أو في دلالة الخصوص.

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سال).

2 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 309.

أولاً: السياق المائي للفظ السيل:

ذهب بعض الشعراء إلى وصف أحوال السماء قبيل السيل، وتعد من الأمارات التي كان العرب يستندون إليها لأخذ الحيطة والحذر من السيل القادم، ومن هذه الأمارات أن يسبق السيلَ غبارٌ كثيف، وأشار إليها الشاعر أبو صخر الهذلي في قوله:

وصفَّ أحدَبَ شَقَّتهُ وَليدَتها تُبادِرُ السَّيلَ بالمسحاةِ مخدود[1]

فالشاعر يصف الترس التي شقتها الريح ذات الغبار، وهي رياح تسبق السيل وتنذر بقدومه، ويتخيل الشاعر هنا أن هذه الرياح سمحت للمياه بالعبور إلى داخل المنزل، وهذه صورة متخيلة؛ أي؛ امتداد يد الريح والسيل إلى منزل الحبيبة بعد رحيلها، وكأن الريح والسيل لم يأتيا عندما كانت تسكن منزلها احترامًا لمقامها وتقديرًا لوجودها.

يعدُّ السيل من أوضح مظاهر البيئة الصحراوية؛ لندرته صيفًا وغزارته شتاءً. وقد تنوع استعمال الشعراء له بأسماء مختلفة، فتارة، جاء السيل بالمسمى الصريح المفرد له، دون أن يتضمن السياق إشارة إلى الجوانب السلبية له، كما في قوله قيس بن الحدادية:

فما نُطفةٌ بالطَّود أو بضريَّةٍ بقيَّةُ سيلٍ أحرزتها الوقائعُ[2]

يشير إلى بقية السيل على سبيل التشبيه والتمثيل، فجاء بذكر السيل المفرد الدال على اقتراب موسم القحط والجفاف. كما جاء بعض الشعراء بذكر الأسماء الدالة على السيل، ومن ذلك، للشاعر تأبَّطَ شرًّا في استعماله (الجُبَار) دلالة على السيل:

به من نجاء الدَّلو بيضٌ أقرَّها جُبَارٌ لصمِّ الصخرِ فيه قراقرُ[3]
ومَررنَ حتَّى كُنَّ للماء مُنتهًى وغادرهُنَّ السيلُ فيما يغادرُ[4]

و(قراقر) جمع (قرقرة) وهي صوت جريان الماء بين الصخور، فاستعمل الشاعر هنا جمعًا لمصدرين رباعيين مضعفين. إضافة إلى أن الشاعر يشير إلى قضيتين في الحقل الدلالي الخاص بالسيل في هذا البيت:

---

1 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، 924.
2 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 211.
3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 95..
4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 96.

1- قوة السيل واندفاعه وما تضمنه الوصف من تجسيد صوت ارتطام الماء بالصخر، وهو ما يسمى القراقر.
2- إن هذا السيل بعد مداهمته وانقضائه ترك نقعًا من الماء هي نطفٌ في شقوق الصخر، وهي ما يمكن أن يُنتفع بها بعد مرور السيل.

وتجاوز بعض الشعراء الدلالة الحسية للسيل إلى الدلالة المعنوية، بأن يحل السيل كناية عن الغضب والقوة والجبروت، كما في قول صخر الغيِّ الهذليِّ في سياق التهديد والوعيد:

أبا المُثلَّم إنِّي غير مُهتضمٍ إذا دَعوتُ تَميمًا سَالتِ المُسُلُ[1]

والمُسُلُ: جمع السَّيل، وحيث إن استعمال السَّيل مع سياق التهديد الموحي بالغضب جاء موافقًا دلاليًّا، فإن الشاعر أضاف عنصر المبالغة حين أتى بالجمع، ويقصد بذلك أنه إن دعا تميمًا لنصرته فإنه سيلبُّون من كل جانب وكأنهم سيولٌ تنحدر غاضبة نحو مصبٍّ واحد. وهذا الخطاب يدل على عظمة الشاعر بين قومه فشاعريته هي التي أعطته الاحترام والمكانة إذ لم نجد ما يشير إلى أنه كان سيدًا في قومه.

وقد وافقت دلالة الاستعمال دلالة سياق المقام وسياق الحال؛ حيث إن موطن قبيلة هذيل في شبه الجزيرة العربية مشهور بالسيول الكثيرة بسبب المرتفعات العالية، فهذيل قبيلة شمالية توزعت منازلها -قديمًا- على نواحي الحجاز. قال عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان: **"**توزَّعت قبيلة هذيل في العصر الجاهلي على جبال الحجاز الفاصلة بين تهامة ونجد**"**[2].

وما نظمه القتَّال الكلابي:

بَغَمَتْ فلمْ يُصْحَبْ لَهَا فاسْتَقبَلَتْ مِنْ عَاقِلٍ شُعُبًا يَسِلنَ دَوافِعَا[3]

حيث أشار الشاعر القتَّال إلى شدة اندفاع الماء في السيول.

ووظف بعض الشعراء صفات السيل في إغناء صورهم الفنية دون التصريح باسم السيل صراحة، بل باستعمال الفعل الدال عليه، غير أنهم لم

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 249.

2 - ياقوت بن عبدالله الحموي، **معجم البلدان**، د.ط، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1957م، ج3، ص 205.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 68. عاقل: واد بنجد. الدوافع: مدافع الماء الميث، والميث تدفع الماء إلى الوادي الأعظم.

يخرجوا عن الدلالة الحقيقة لصفات السيل، فمن ذلك قول عمرو بن برّاقة الهمداني:

وكم لاقيتُ ذا نَجَبٍ شَدِيدٍ تسيلُ به النفوسُ على الصدور[1]

حيث استعمل الشاعر الفعل (تسيل) مقتصرًا من الحقل على المائي على وصف سرعة جريان السيل، ثم توظيف هذه الصفة بصورة إيجابية تدل على البذل والتضحية. وفي السياق نفسه قال أبو الطمحان القيني:

يظلُّ فتيتُ المِسكِ في رونقِ الضُّحى تسيلُ به أصداغُهُ ومفارقُه[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيل في حقله الدلالي سلبي الحضور في ذاته، يسبب الرهبة ويبعث الخوف والذعر في الأنفس، بل إن الناس يحتاطون له حيطةً وحذرًا، وهو يتضح من قول القتّال الكلابي:

بأنّا بنو أمَّيْن أختين خلّتا بيوتهما في نجوة فوق أبهرا[3]

يشير الشاعر إلى حذر النساء على بيوتها من السيول الغادرة، حيث يقمن برفع الأتربة تحصينًا للبيوت الطينية أو الخيام أو البيوت الحجرية حذرًا منهما وحرصًا على ألا يطولها السيل مهما ارتفع واشتدَّ جريانه. فجاءت دلالة السيل في هذا البيت سلبية من خلال الأثر الذي يخلفه السيل في الأرض المعمورة.

أما الدلالات الإيجابية للسيل فجاءت في مواضع مختلفة، وهي في سياقين اثنين، الأول:

- **السيل الإيجابي ذو النفع:** عندما يكون السيل سببًا في الخصب والنماء دون إلحاق ضرر أو دمار أو خراب، ويأتي هذا بحسب مهارة الشاعر في توظيف الدلالة في السياق. ومن ذلك، ما نظمه أبو خراش الهذلي في وصف ترسه حيث قال:

أواقدُ، لا آلوك إلا مُهندًا وَجِلْدِ أبي عِجْلٍ وثيق القبائلِ
غذاهُ من السرَّينِ أو بطنِ حَلَيةٍ فروعُ الأباءِ في عَميمِ السَّوائلِ
مشبٍّ إذا الثيرانُ صدَّت طريقهُ تصدَّعن عنه داميات الشواكل[1]

---

1 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص 96.

2 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 254.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 52. النجوة: أرض مرتفعة لا يعلوها السيل.

استعمل الشاعر لفظ الجمع (السوائل) في سياق إيجابي، حيث إنه يصف المرعى والأرض الخصبة في الوادي الذي ترفده سيول كثيرة، لكنها سيول نافعة لا هادمة جارفة كالمعهود عنها.

- **تجمع الماء بعد انقضاء السيل**: وهي بقايا الماء التي يخلفها السيل بعد انقضائه، وتعد من أبرز مظاهر الانتفاع بالسيل. ومن ذلك، قول قيس بن الحدادية:

فما نُطْفَةٌ بالطَّودِ أو بضَرِيَّةٍ   بقيَّةُ سيلٍ أحرزتها الوقائع[2]

ومن ذلك، ما أشار إليه الشاعر تأبط شرًّا في ذكر أهمية بقية الماء التي يتركها السيل بعد أن يغادر، حيث قال:

ومررن حتى كنّ للماء منتهى   وغادرهنَّ السيلُ فيما يغادر[3]

وقال أبو صخر الهذلي في وصف الدار التي درست عند مندفع السيول:

بل اهتجتُ الغداةَ لرسم دارٍ   بمندفع السَّوائلِ من أثالِ[4]

فالشاعر يصف تشوقه وتذكره بالهيجان لدار محبوبته التي درست عند مندفع السوائل في منطقة أثال.

ثانيًا: السياق الجغرافي لألفاظ السيل

ونقصد بها شيئين اثنين، الأول: الموضع الجغرافي الذي يمكن أن يتجمع الماء فيه، والثاني: اسم الموضع الجغرافي كما اشتهر به لدى الناس، وقد يكون الاسم نسبةً إلى موضع قريبٍ أو جبلٍ أو غير ذلك.

ولم يقتصر الشعراء الصعاليك على استعمال لفظ السيل إفرادًا أو جمعًا بهذا اللفظ فقط، بل إن بعضهم وظّف ألفاظًا أخرى تدل على السيل وأحواله، وتعد استعمالاتها أدق في التصوير الفني، إضافة إلى أنها تعطينا مثالاً على القدرة اللغوية للشعراء في معجمهم المائي وألفاظه، ومن أبرز الألفاظ الدالة على السيل أو أحواله ما يأتي:

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 205. العميم: ما اعتم من النبت في سوائل المطر، والسوائل المواضع التي تسيل بالماء.

2 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 211.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 96.

4 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 926.

أ. **الشِّعاب**: وهي من الجذر اللغوي (شَعَبَ) ومن معانيه في لسان العرب: "الشِّعب: مسيل الماء في بطن من الأرض، له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل إذا انبطح، وقد يكون بين سندي جبلين. والشعبة: المسيل في ارتفاع قرارة الرمل. والشعبة: المسيل الصغير، يقال: شعبةٌ حافلٌ: أي؛ ممتلئة سيلاً. والشعبة: ما عظم من سواقي الأودية، وقيل: الشعبة ما انشعب من التلعة والوادي أي؛ عدل عنه وأخذ في طريق غير طريقه، فتلك الشعبة، والجمع شعب وشعاب"[1]. وقد استعمل الشعراء هذا اللفظ في دلالتين اثنتين:

1- دلالة العموم: وهي أن يأتي الشاعر على ذكر الشعب عمومًا دون تحديد شعبٍ بعينه دون سواه، ودون توضيح للموضع الجغرافي الذي يكون فيه هذا الشعب. ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

وَشِعْبٍ كَشَلِّ الثوبِ شَكْسٍ طريقهُ مَجَامِعُ صُوْحَيهِ نِطافٌ مَخَاصِرُ[2]

الذي يدل على أن الشعب المقصود في البيت هو مسيل الماء، أن صُوحيه، أي؛ أطرافه، تتضمن نقعًا من الماء، وهذه النقع لا تكون إلا بعد انقضاء ماء السيل، فيتركها وراءه.

وله :

وبالشِّعْبِ إذا سدّتْ بَجِيلَةُ فجّهُ ومن خَلفه هُضْبٌ صعابٌ وجاملُ[3]

حيث إنه لم يقصد شعبًا بعينها، بل إنه يصف حال انصرافه من إحدى غزواته، ثم دخل وصاحبه مع الأنعام التي غنموها شعبًا لا على التعيين، فتبعهم رجال قبيلة (بَجيلة) في أثرهم لاسترداد ما سلب منهم.

2- دلالة الخصوص: وهي أن يسمي الشاعر شعابًا مقصودة منسوبة إلى مواضع جغرافية تحدد المكان بدقة، وتارة، في ذكر اسم الشعب الذي قصده في البيت. ومن الأمثلة على ذلك قول القتَّال الكلابي:

بَغَمَتْ فَلَمْ يُصْحَبْ لها فاستقْبَلَتْ مِنْ عَاقِلٍ شِعْبًا يَسِلْنَ دَوافِعَا[4]

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شعب).
2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 94. وانظر: يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 242. الصوح: حائط الوادي وأسفل الجبل.
3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 157.
4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 68.

والشعب التي قصدها الشاعر في البيت جمع شعبة، وهي المسيل الصغير. وهي شعبٌ متفرعة من وادٍ يقال له (عاقل) وهو وادٍ في أرض نجد. وجاء في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع في تحديد موضع (عاقل) ما نصه: "عاقل: واد يمرّ بين الأنعمين وبين رامة، حتّى يصبّ فى الرّمة"[1]. وجاء في تحديد هذا الموضع ما نصه: "عاقل: بكسر القاف على وزن فاعل، قال عمارة: هو ماء لبني أبان بن دارم من وراء القريتين... وهو مذكور ،أيضًا، في رسم بيشة. وقال الطّوسى عن شيوخه: عاقل جبل كان يسكنه حُجْر أبو امرئ القيس، قال رجل من المُعَمِّرين:

وأعقل حُجْرًا ذا المرَّار بعاقلٍ ... وأيّامِ بَكْرٍ إذ تعاوَتْ وَتَغْلِبِ

وببطن عاقل كان الأسود بن المنذر إذ اجتمع عنده خالد بن جعفر والحارث ابن ظالم، فقتل الحارث خالدًا فى حديث طويل. وقال جرير:

لمن الديار بعاقل فالأنعم ... كالوحى فى ورق الزّبور الأعجم"[2]

نلاحظ عدم الاتفاق في حقيقة اسم الموضع (عاقل) فهو واد عند بعضهم، واسم جبل عند آخرين، بيد أن الذي يهمنا من هذا التحديد هو الدلالة الخاصة التي جاء بها الشاعر القتال الكلابي باستدعاء أسماء مواضع بعينها دون سواها، فلم يجعلها في سياق العموم.

ومن أمثلة دلالة الخصوص قول تأبَّط شرًّا:

إنَّ بالشِّعبِ الذي دون سَلْعٍ   لقتيلاً دمهُ ما يطلُّ[3]

حيث إن الشِّعب الذي قصده الشاعر في بيته معلوم بأنه بالقرب من موضع يسمى (سَلْع)، وقد ذكر التبريزي في شرح هذا البيت ما نصُّهُ: "الشِّعب الطَّرِيق فِي الْجَبَل، وسلع: مَوضِع، وَقَوله: (دَمه مَا يطلّ)، يُقَال: طل دَمه

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ج2، ص 652.

2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 913.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 247.

بـالفَتْح وطـل بِالضـَّمِّ، وَهُـوَ أَكثـر طلًّـا ذهـب هـدرًا لـا يثـأر بـهِ، وَالمعْنَـى: أن القَتِيـل الَّذِي بِالشعبِ دون سلع لَا يذهب دَمه هدرًا"[1].

وجـاء فـي معجـم مـا استعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضـع مـا نصـه: " سَلْع: بفـتح أوّلــه، وإسـكان ثانيــه، بعــده عــين مهملــة: جبــل متّصــل بالمدينــة"[2]. وتجــدر الإشــارة هنــا إلــى أن عبـدالله البكـري الأندلســي نسـب البيـت السـابق لابـن أخـت تأبط شرًّا، بما نصه: "قال ابن أخت تأبّط شرًّا:

إنَّ بالشّعب الّذي دون سلع   لقتيلاً دمه ما يطلّ"[3]

بيـد أن البيـت ورد فـي ديـوان الشـاعر تـأبط شـرًّا منسـوبًا إليـه. وتتضـح دلالـة الخصـوص فـي هـذا البيـت تحديـد الشـاعر لمكـان الشّـعب بأنـه دون جبـل سـلع، ولم يترك دلالة التحديد عائمة في سياق العموم.

ومن أمثلة دلالة الخصوص قول الشنفرى:

وشِعبِ نجدٍ لم أهَبْ عُرَامَهْ[4]

والعُـرام هـو الغزيـر الكثيـر، وقـد سـمى الشـاعر الشّـعب دون تحديـد دقيـق لـه، فقـال (شـعبِ نجـدٍ) أي؛ أن هـذا الشِّـعب موجـود فـي أرض نجـد، وإنـه هنـا لـم يجعله في سياق العموم المطلق، فجاءت دلالته دلالة تخصيص.

ب. **الجداول**

قـال أبـو منصـور الثعـالبي فـي كتابـه (فقـه اللغـة وأسـرار العربيـة) فـي ترتيـب الأنهـار تحـت فصـل (فـي ترتيـب الأنهـار عنـد الأئمـة) مـا نصـُّهُ: "أصـغر الأنهـار الفلـجُ، ثـم الجـدولُ أكبـر منـه قلـيلاً، ثـم السـريُّ ثـم الجعفـرُ، ثـم الربيـعُ ثـم الطبعُ، ثم الخليجُ"[5].

---

1 - يحيـى بـن علـي بـن محمـد الشـيباني، **شـرح ديـوان الحماسـة**، د.ط، دار القلـم، بيـروت، د.ت، ص 342.

2 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، **معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع**، ج3، ص 747.

3 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، **معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع**، ج3، ص 747.

4 - **ديوان الشنفرى**، ص 76.

5 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 307.

وقد ورد لفظ (الجدول) لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك في موضع واحد في قول الشاعر تأبّط شرًّا موظفًا الجدول في سياق الكناية:

حيثُ التقتْ فَهْمٌ وبَكْرٌ كُلّهَا   والدَّهرُ يَجري بينَهُمْ كالجَدْوَلِ[1]

استعمل الشاعر لفظ الجدول في سياق الموافقة للحقل الدلالي للمفردة نفسها، بما تعنيه من جريان الماء في النهر الصغير.

2- **الأحواض:** والحوض لغةً كما ورد في لسان العرب: "حوض: حاض الماء وغيره حوضًا. وحوَّضه: حاطه وجمعه. وحضت أحوض: اتخذت حوضًا. واستحوض الماءُ: اجتمع. والحوض: مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض. وحوض الرسول صلى الله عليه وسلم: الذي يسقي منه أمته يوم القيامة. حكى أبو زيد: سقاك الله بحوض الرسول ومن حوضه. والتحويض: عمل الحوض"[2].

وقال الثعالبي في فصل (في الحياض) ما نصُّهُ: "عن الأئمة: المقراةُ: الحوض يجمع فيه الماء، الشربةُ: الحوض يحفرُ تحت النخلة ويملأ ماءً لتشرب منه، النضحُ: الحوض يقرب من البئر حتى يكون الإفراغ فيه من الدلو، الجزموز: الحوض الصغير، الجابية: الحوض الكبير، الدُّعثور: الحوض الذي لم يتأنق في صنعته"[3].

يكون الحوض من صناعة البشر للاحتفاظ بماء المطر واستعماله لاحقًا في الحياة اليومية، بينما يكون الغدير تجمعًا طبيعيًّا للماء نتيجة انخفاض أرضه مما سمح للماء بالاستقرار في هذا الموضع. ومن ذلك، ما نظمه عبدة بن الطبيب:

لنا أصيصٌ كجذم الحوض هدَّمهُ وطءُ العِراكِ لديهِ الزِّقُّ مغلول[4]

وفيما نظمه حبيب الأعلم الهذلي:

تخافُ لزامَ عَادِيةٍ ثعول   كما يتفجَّرُ الحوضُ اللفيفُ[5]

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 194.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حَوَضَ).

3 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 308.

4 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 80.

5 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 218.

حيث شبه الشاعر انقضاض جماعة من الصعاليك العدَّائين من كل ناحية على فريسة عرضت لهم في أثناء تربصهم بالصحراء، بتفجر الماء من حوضٍ قديمٍ متهدمٍ يحاول صاحبه أن يصلحه لكن الماء يغلبه فيتفجَّر من شتى نواحيه، وهي صورة من صميم المعجم المائي في بيئة الشاعر.

كما قال الشاعر أبو الطمحان القيني في انصراف النساء عنه:

فَأصبَحنَ قد أقهَينَ عَنّي كَما أبَت حِياضَ الأمِدّانِ الهِجانُ القوامِحُ

وأصبَحنَ لا يَسقينَني من مَوَدَّةٍ بَلالاً ولو سالَت لَهُنَّ الأباطِحُ[1]

وقد أتى بعض الشعراء على ذكر أجزاء الحوض ومسمياته، كما في قول القتَّال الكلابي:

ومشيتُ في أعطافِهِ مُتدنيًا وأحطت أقفر من حيال المورد[2]

أعطاف الحوض: أي؛ أطرافه، وهو ما تدل عليه الأبيات السابقة لهذا البيت في قصيدة الشاعر، وقد بيّن شارح الديوان أن الضمير المتصل (الهاء) يعود إلى الحوض المستفاد من السياق.

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي :

وسفعٍ كذودِ الهاجِريِّ بجَعجعٍ تحفرُ في أعقارهنّ الهَجَارسُ[3]

والأعقار: جمع عقر، وهو مؤخر الحوض ونهاية حده.

نلاحظ أن حضور أحواض الماء لم يكن غائبًا في شعر الصعاليك؛ إذ يعد الحوض جزءًا مهمًّا من بيئة الشاعر البدوي، وإنه من المنطقي أن يستعمله ويوظفه في شعره ضمن دلالتي العموم والخصوص، أو الإتيان على ذكر أجزاء الحوض كما رأينا عند القتال الكلابي.

3- **الغدران**: الغدير لغة في لسان العرب: "القطعة من الماء يغادرها السيل؛ أي؛ يتركها. وقال اللحياني: الغدير اسم، ولا يقال هذا ماء غدير، والجمع: غُدُر وغُدْرَان. قال الليث: الغدير: مستنقع الماء؛ ماء المطر، صغيرًا كان أو

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 314.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 42.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 65.

كبيرًا، غير أنه لا يبقى إلى القيظ إلا ما يتخذه الناس من عد، أو وجد، أو وقط، أو صهريج، أو حائر"[1].

وتعد الغدران قليلةً في بادية العرب الواسعة، حيث يعزُّ الوصول إليها إلا بالجهد والمشقة، كما أن العثور عليها لا يكون إلا بعد طول بحث، عدا أولئك الذين حفظوا مواضعها فلزموها واستدلوا عليها، كأن يبحثوا في الأرض المنخفضة ذات الطبيعة الصخرية التي تحفظ ماء المطر بعد هطوله.

وفي أساليب توظيف الألفاظ الدالة على الغدران، فقد جاءت ضمن دلالتين اثنتين؛ دلالة العموم ودلالة الخصوص، وهما على النحو الآتي:

- **دلالة العموم**: وفيها يذكر الشاعر غدير الماء دون تحديد مكانه أو موضعه من الأرض، ويسلكه في دلالة العموم لتوظيف معناه في السياق، ومن ذلك، قول الشنفرى في ذكر الغدير صراحة:

حسامٌ كلونِ المِلح صَافٍ حَديدُهُ ... جرازٍ كأقطاعِ الغَديرِ المُنعتِ[2]

يذكر الشاعرُ الغديرَ في سياق وصف السيفِ فخرًا ومدحًا، فيشبه لمعان السيف بلمعان غدير الماء وقد تموّج سطحه من الريح، فظهر به نور الشمس متقطعًا. وأقطاع الغدير: هي القِطع من مائه يضربها الهواء فتنكسر وتبرق[3].

- **دلالة الخصوص**: وتعد هذه الدلالة من صميم السياق الجغرافي، وهي أن يذكر الشاعر غديرًا بعينه واسمه المشهور به في زمنه، فيشير إلى موضعه من خلال قرائن بيئية كالجبال أو الأودية أو المواضع المشهورة، وقد اهتم بعض الشعراء بذكر الأماكن التي تتضمن غدران الماء، فمن ذلك ما نجده في قول الشنفرى:

وأمشي لدى العَصدَاءِ أبغي سُراتَهمُ ... وأسلكُ خَلًّا بينَ أرفَاغ والسَّردِ[4]

(العصداء) هي "أرض لبني سلامان، فيها نقاع يشربون منها الماء، قال ابن دريد: الأرفغ: موضع على وزن أفعل، بالغين المعجمة"[1].

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَدَرَ).

2 - **ديوان الشنفرى**، ص 36. وانظر: **ديوان الشنفرى**، ص 98.

3 - **ديوان الشنفرى**، ص 36. الحاشية.

4 - **ديوان الشنفرى**، ص 42.

والعصـداء: "بفـتح أوّلـه، وإسـكان ثانيـه، بعـده دال مهملـة، ممـدود كالـذي قبلـه، أرض لبنـي سـلامان"[2]. وهـي موضـع مشـهور فـي تلـك البقعـة مـن الأرض، وجـاءت شـهرتها نسـبة إلـى قلـة الغـدران فـي البيئـة الصـحراوية، ممـا جعـل القبائـل تختـار غـدران المـاء الكبيـرة لتقـيم علـى أطرافهـا وتسـتفيد من مائها في معاشها.

وإلى الموضع نفسه أشار الشاعر حاجز بن عوف الأزدي في قوله:

بقارعةِ الغريفِ فذاتِ مشيٍ إلى العصداءِ ليسَ بها مقيمُ

منازلُ عذبةِ الأنيابِ خودٍ فما إنْ مثلُها في النَّاسِ نيمُ[3]

"قـال محمّـد بـن حبيـب: العصـداء: أرض لبنـي سـلامان، فيهـا نقـاع يشربون منها الماء"[4].

ومن المواضع التي حملت دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي :

سقى الله ما بين الشطون وغمرة وبئر دريرات وهضب دثين[5]

و(الشـطون) غـدير مـاء لقبيلـة بنـي أبـي بكـر بـن كـلاب[6]. وجـاء فـي معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضـع عـن ديـار بنـي أبـي بكـر مـا نصـه: "ثـم الجبـال الحمـر التـي تـدعى قطّبيّـات، فـي ناحيـة دار بنـي أبـي بكـر بـن كـلاب، ولهـم هنالـك مـاءان، الشّـطون وحفيـرة خالـد، بـين الأقعـس

---

1 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، **معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع**، ج1، ص 139.

2 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، **معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع**، ج3، ص 946.

3 - محمـد بـن المبـارك بـن محمـد بـن ميمـون البغـدادي، **منتهـى الطلـب مـن أشـعار العـرب**، ص 384.

4 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، **معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع**، ج1، ص 139.

5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 92.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 92. الهامش من كلام شارح الديوان.

والقطبيّات"[1]. وقيل : "الشطون: ماءة لقيس بن جرذ في جبل يقال له: شعري"[2].

ومن دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي :

دعاءً بذي البُرْدَين مِنْ أُمِّ طارقٍ فيا عَمرُو هل تبدو لنا فتجيبها؟[3]

و(ذي البردين) غديرا ماء في أرض نجد[4].

ومن ذلك، في هذين الغديرين :

وترعى بذي البُرْدَين ثم مقيلها غياطل ملتج عليها ظلالها[5]

ومنه ما نظمه القتَّال الكلابي :

عفت فردةُ من أهلها فجنابها فحرةُ ليلى سهلها وهضابها[6]

و(فردة) ذكرها البكري بما نصه: "فردة: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده دال مهملة: ماء من مياه نجد"[7]. وقال : "فردة: وهو ماء من مياه جرم من طيّيء"[8]. وقال: "فردة: ماءة من مياه جرم"[9].

(حرة ليلى)؛ وتسمى: "الحرة القصوى"[10]، وهي موضع في شبه الجزيرة العربية، وقال البكري في تحديد موضعها: "حرّة ليلى: بديار

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج9، ص 978.

2 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص 191.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 30.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 30. الهامش من كلام شارح الديوان.

5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 79.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 33.

7 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 1017.

8 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 1018.

9 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج4، ص 1273.

10 - ابن الحائك، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، مطبعة بريل - ليدن، إنجلترا، 1884 م، ج1، ص 143.

قيس؛ وكذلك حرّة راجل"[1]. وقيل: "هي غدير ماء بأرض قبيلة بني كلاب"[2].

ومن دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي:

سقى الله حيًّا من فزارة دارُهم بسبَّى كرامًا حيثُ أمسوا وأصبحوا[3]

(سبَّى) قال البكري: "سبَّى: بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، مقصور، على وزن فعلى: رملة معروفة بديار غطفان"[4]. وقال شارح الديوان: "سبَّى: غدير ماء لبني سليم"[5].

كما قال القتَّال الكلابي :

يا هل تراءى بأعلى عاسمٍ ظعنٌ نكَّبنَ فحْلَينِ واستَقبلْنَ ذا بَقرِ[6]

قصد الشاعر بالفحلين: "الفحلان: جبلان صغيران هناك"[7].

(ذو بقر) قال البكري: "قاع هناك يقرى فيه الماء"[8]. وقال: "ذو بقر: قرية في ديار بني أسد. وقال أبو حاتم، عن الأصمعي: هو قاع يقرى الماء. وقال يعقوب: ذو بقر: واد فوق رسم الرّبذة"[9]. وأوضح البكري الفرق بين ذي بقر وذو بقر بما نصه: "والعنانة: موضع بذي بقر، ولكن ذو بقر في ديار بني أسد"[10].

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج2، ص 436.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 33. الهامش من كلام شارح الديوان.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 39.

4 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 716.

5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 39. الهامش من كلام شارح الديوان.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 53.

7 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، ص 198.

8 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، ص 198.

9 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، ص 262- 263.

10 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 978.

وأنشد أبو حاتم هذا البيت للراعي مع اختلاف في بعض ألفاظه، فقال:

هل تُؤنسونَ بأعلى عَاسمٍ ظعنًا   ورَّكنَ فحْلَيْنِ واسْتَقْبَلْنَ ذَا بَقرِ[1]

(عاسم) قال شارح الديوان: "عاسم: غدير ماء لبني كلب"[2]. بينما يرى البكري أن (عاسم) مصحفة عن (جاسم) التي هي موضع في بلاد الشام اشتهر بجآذره وغزلانه، فقال: "وعاسم: بالشام، قال ابن الرّقاع:

وَكَأنّها بينَ النِّسَاءِ أعَارَهَا   عَينَيهِ أحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ عَاسِمِ

ويروى: (من جآذر جاسم)"[3].

وقال الشاعر عروة بن الورد:

ذكرتُ منازلاً من أمِّ وهبٍ   محلَّ الحيِّ أسفل ذي النَّقيرِ[4]

(ذي النقير) قال البكري: "النقير: بفتح أوّله، وكسر ثانيه، بعده ياء وراء مهملة: موضع بين الأحساء والبصرة. وقال ابن دريد: النّقير: لبني القين وكلب"[5].

وفي قول صخر الغي الهذلي دلالة خصوص :

كأنِّي بالحَلاءة شَاتيًا   تقفعُ أعلى أنفه أمُّ مرزمِ[6]

(حلاءة) اختلف العلماء في تحديد معناها الدقيق، فقال ابن دريد أنها أرض ولكنه قال إن ذلك ليس بثبت[7]. أما في في معجم ما استعجم: "الحَلاءة: بكسر أوله والمد، على وزن فعالة: موضع بالسراة"[8]، على

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، ص 198.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 53. الهامش من كلام شارح الديوان.

3 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 725- 726.

4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 63.

5 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج4، ص 1323.

6- **ديوان الهذليين**، ج2، ص 226.

7- ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ج1، ص 572.

8- البكري، **معجم ما استعجم**، تحقيق: مصطفى السقا، ط1، لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1975م، ج2، ص 461.

حين ذكر ابن سيده: "الحلاءة: اسم ماء"[1]. أما ابن منظور فإنه نقل هذه الآراء من غير أن يقطع برأي منها، فقال: "الحلاءة: الأرض، حكاه ابن دريد، قال: وليس بثبت... وقيل: هو اسم ماء، وقيل هو اسم موضع"[2].

ولدى صخر الغي الهذلي :

إلى عَمَرَيْنَ إلى غيقةٍ فيليل يهدي ربحلاً رجوفا[3]

(عَمَرَيْنَ) قال ياقوت الحموي في تحديد موضعها استنادًا إلى هذا البيت ما نصه: "عَمَرَانِ: بالتحريك، كأنه ضمّ إلى عمر الذي في بلاد هذيل موضعًا آخر، فقال عمران: ولم يرد التثنية، والعمر، بالتحريك: منديل أو غيره تغطّي به نساء الأعراب رؤوسهن، وهو عمر، وإنما ثنّاه ضرورة لإقامة الوزن، ويفعلون ذلك كثيرًا، وربما جمعوه، وهو واحد"[4]. فهو يرى بأن عَمَرَين هي في الأصل عَمَرَان، بيد أن الشاعر أوردها هكذا لإقامة الوزن الشعري، وضرورة ذكره لهذا الموضع دون غيره.

(غيقة) وهي موضع، لكنه غير محدد بدقة، مما يشير إلى غرابته؛ إذ إن فيه أقوالاً، منها: "موضع بين مكة والمدينة"[5]. وأنها "غدير ماء لبني ثعلبة"[6]، ولم ترد الغيقة في الصحاح[7]، وجاء في تاج العروس: "وقال أبو محمد الأسود: إذا أتاك غيقة في شعر هذيل فهو بالعين المهملة، وإذا أتاك في شعر كثير فهو بالغين..."[8]. وقيل: "غيقة هو مكان بين مكة والمدينة لبني غفار"[9]. وجاء : "غيقة وهو بفتح الغين

1- ابن سيده، **المحكم**، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 1972م، ج3، ص 312. مادة (حلأ).
2- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حلأ).
3- **ديوان الهذليين**، ج2، ص 71.
4 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص 153.
5- الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج1، ص 249. وانظر: **ديوان الهذليين**، ج2، ص 71.
6- ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غبق).
7- الجوهري، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، ج4، ص 1539.
8- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، من إصدارات التراث العربي: سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في دولة الكويت، العدد (16)، مطبعة حكومة الكويت، 1987م، مادة (غوق).
9 - ابن حجر، **فتح الباري**، 164/1.

المعجمة بعدها ياء ساكنة ثم قاف مفتوحة ثم هاء قال السكوني هو ماء لبني غفار بين مكة والمدينة وقال يعقوب هو قليب لبني ثعلبة يصب فيه ماء رضوى ويصب هو في البحر"[1].

(يليل) ويسمى "وادي الصفراء"[2]. "وجاء ذكر هذا الوادي في غزوة بدر، بل في معركة بدر، في تحديد مكان قريش من المعركة. وكان وادي الصفراء يطلق على أسفله الذي يمرّ ببدر اسم يليل، أو وادي بدر. ولم يعد يعرف اسم يليل"[3].

ومن دلالة الخصوص في الغدران ذكر غدير حوضى، ومنه قول القتَّال الكلابي:

وما أنسَ م الأشياء لا أنسَ نسوةً طوالع من حَوضى وقد جنحَ العصرُ[4]

وما نظمه :

بشرقيّ حَوضَى أخَّرتني منازلٌ قِفارٌ جلا لي عن معارفها القطْرُ[5]

وما نظمه :

طوالعُ مِن حَوضى الرَّداة كأنَّها نواعمُ من مُرَّان أوقرها البسرُ[6]

(مرَّان) بِفَتْح الميم وتَشْدِيْدِ الراء والنون: بين البَصْرَة ومَكَّة، لبني هلال من بني عامر، وقيل: بين مَكَّة وَالْمَدِيْنَة وقيل: في الحجاز، قَرْيَة يُقَالُ لها مران، قال الكندي: وهي قَرْيَة غناء كبيرة، كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع، وهي على طريق البَصْرَة لبني هلال وجسر، ولبني ماعز، وبها حصنٌ، ومنبرٌ، وبها ناسٌ كثيرٌ. وبِضَمِّ الميم: ناحية

1 - ابن حجر، **فتح الباري**، 23/4.
2 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 342.
3 - محمد بن محمد حسن شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، 1411هـ، ص 301.
4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49.
5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49.
6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49.

بالشام"[1]. واستدرك البكري على ذلك فقال: "مُرَّان بضم الميم موضع آخر، وليس بالشام"[2].

وما نظمه :

سرى بديارِ تغلبَ بينَ حَوضَى   وبينَ أبارقِ الثمدينِ سارِ[3]

نلاحظ أن الشاعر القتال الكلابي أكثر من استعمال غدير ماء (حوضى) مكررًا في الأبيات الأربعة السابقة، وقد أشار ياقوت الحموي إلى أن شعراء هذيل أكثروا من ذكر هذا الماء في أشعارهم، ولعله أشهر مياههم آنذاك، وحدد موضعه بأن يكون ضمن حدود قبيلة هذيل أو قريبًا منها، فقال ما نصه:

"حَوْضَى: بالفتح ثم السكون، مقصور، بوزن سكرى، فهو لا ينصرف معرفة ولا نكرة للتأنيث ولزومه: هو اسم ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن ابن قريط بن عبد بن أبي بكر بن كلاب إلى جنب جبل في ناحية الرمل، وقد تقدّم أنه حوضاء ممدود، والله أعلم، وقد أكثرت شعراء هذيل من ذكر هذا في شعرهم فإن لم يكن في بلادهم فهو قريب منها"[4]. وقال البكري: "حوضى: بفتح أوّله وإسكان ثانيه، وبالضاد المعجمة، على وزن فعلى: موضع في ديار بني قشير، أو بني جعدة"[5]. قال ابن حبيب: "حوضى ماء لعبد الله بن كلاب إلى جنب جبلٍ في ناحية الرمل"[6]. وقال شارح ديوان القتال الكلابي: "حوضى: غدير ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة من بني كلاب[7].

تظهر عناية الشعراء بذكر مواضع غدران الماء واستعمالها في قصائدهم بالتوظيف الحقيقي والآخر المجازي، سواءً أكان هذا

1 - محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، ص 833.

2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج2، ص 602.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 62. الثمد: الماء القليل. سار: يعني السحاب.

4 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 321.

5 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج2، ص 475.

6 - محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، ص 520.

7 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49. الحاشية.

التوظيف في سياق الوصف والتشبيه، أو كان في سياق ذكر المكان بعينه والتركيز عليه، وهي سمة صبغت شعر القتال الكلابي أكثر من غيره من الشعراء الصعاليك المعاصرين له.

4- **القِيعَان**: والقاع لغة في لسان العرب: "والقاع والقاعة والقيع: أرض واسعة سهلة مطمئنة مستوية حرة، لا حزونة فيها ولا ارتفاع ولا انهباط، تنفرج عنها الجبال والآكام، ولا حصى فيها ولا حجارة، ولا تنبت الشجر، وما حواليها أرفع منها، وهو مصب المياه، وقيل: هو منقع الماء في حر الطين، وقيل: وهو ما استوى من الأرض وصلب ولم يكن فيه نبات، والجمع أقواع وأقوع وقيعان، وصارت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقيعة لا نظير له إلا جار وجيرة. قال أبو الهيثم: القاع الأرض الحرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها، وهي مستوية ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، وإذا خالطها الرمل لم تكن قاعًا؛ لأنها تشرب الماء فلا تمسكه، ويصغر قويعة من أنث، ومن ذكر قال: قويع، ودلت هذه الواو أن ألفها مرجعها إلى الواو، قال الأصمعي: يقال: قاع وقيعان، وهي طين حر ينبت السدر. القاع: المكان المستوي الواسع في وطاءة من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه ويستوي نباته، أراد أن ماء المطر غسله فابيض أو كثر عليه فبقي كالغدير الواحد"[1].

ومن أسماء القيعان:

- **الوَقِيعَة**: الوقيعة: "المكان الصلب الذي يمسك الماء، والجمع الوقائع"[2]. ومن ذلك، ما نظمه أبو الطمحان القيني:

  إذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ كعين الغراب صفوها لم يكدَّرِ[3]

  استعار الشاعر صفة (عين الغراب) لوصف نقاء الماء المتجمع في الوقيعة. ويُضرب المثل بعين الغراب في الصفاء وحِدّة البصر.

- **النُّطْفَة**: وهي "النُّطفة بالضم: الماء الصافي قلَّ أو كثر. وقال الأزهري: والعرب تقول للمويهة القليلة نطفة، وللماء الكثير

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قَوَعَ).

2 - عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ، ج3، ص 200.

3 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 298.

نطفة، وهو بالقليل أخصّ"[1]. ومن مواضع ورودها في شعر الصعاليك ما نظمه الشاعر تأبط شرًّا:

بهِ نُطفٌ زُرقٌ قليلٌ تُرابها   جلا الماءُ عن أرجائها فهو حائرُ[2]

ومن ذلك، قول قيس بن الحدادية :

فما نُطفةٌ بالطود أو بضريَّةٍ   بقيَّة سيلٍ أحرزتها الوقائع[3]

يشير الشاعر هنا إلى بقية الماء التي تنحبس في شق صخري فلا يمكن أن يطالها أحد، ولعل انحباسها بعيدًا عن أشعة الشمس قد أمن لها الحفظ والبقاء أطول مدة ممكنة، وتتكون مثل هذه النطف من السيول التي مرت بالمكان ثم جفت، بينما ظل أثرها مخزونًا بين الشقوق الصخرية.

ومن ذلك، قول تأبَّط شرًّا:

وشعبٍ كشلِّ الثوبِ شكسٍ طريقهُ   مجامعُ صوحيه نطافٌ مخاصرُ[4]

ولعل الشاعر يقصد بقوله (نطافٌ) أن لهذا الشعب (مسيل الماء الصغير) قيعانًا صغيرة من الماء في حوافّه بين شقوق الصخر لم تطلها حرارة الشمس لتبخرها ولم تطلها الأنعام فتشرب منها.

- **البِّيْض**: وهو من الجذر اللغوي (بَيَضَ) ومن معانيه في اللغة: "بيض: البياض: ضد السواد، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغير ذلك مما يقبله غيره. البياض: لون الأبيض، وقد قالوا بياض وبياضة كما قالوا منزل ومنزلة، وحكاه ابن الأعرابي في الماء ، وجمع الأبيض بيض، وأصله بيض، بضم الباء، وإنما أبدلوا من الضمة كسرة لتصح الياء، وقد أباض وابيض"[5]. ويطلق على الماء اسم الأبيض، والأبيضان هما الماء والحنطة. وتأتي مفردة (بيض) إشارة إلى الماء القليل أو بقايا الماء بعد مضي السيل، كما وضحها بذلك شارح الديوان في قول تأبط شرًّا:

---

1 - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج24، ص 419. مادة (نطف).

2 - **ديوان تأبط شرًّا**، ص 96.

3 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 211.

4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 94. وانظر: يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 242. الصوح: حائط الوادي وأسفل الجبل.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بيض).

به من نجاء الدَّلو بيضٌ أقرَّها   جُبَارٌ لصمِّ الصخرِ فيه قراقرُ[1]

النجـاء: السـحاب الـذي هـراق مـاءه ثـم مضـى. بـيض: بقايـا المـاء. الجُبَـار: السـيل. فالشـاعر لـم يـذكر لفـظ المـاء صـراحة، لكنـه أشـار إليه بألفاظ تدل على الماء وأحواله.

- **الثَّمْد**: وهـو مـن الجـذر اللغـوي (ثمـد) ومـن معانيـه فـي لسـان العـرب: "الثمـد: المـاء القليـل الـذي لا مـاد لـه، وقيـل: هـو القليـل يبقـى فـي الجلـد، وقيـل: هـو الـذي يظهـر فـي الشـتاء ويـذهب فـي الصـيف. وفـي بعـض كـلام الخطبـاء: ومـادة مـن صـحة التصـور ثمـدة بكئـة، والجمـع أثمـاد. والثمـاد: كالثمـد؛ وفـي حـديث طهفـة: وافجـر لهـم الثمـد، وهـو -بالتحريـك- المـاء القليـل أي: افجـره لهـم حتـى يصـير كثيـرًا؛ ومنـه الحـديث: حتـى نـزل بأقصـى الحديبيـة علـى ثمـد، وقيـل: الثمـاد الحفـر يكـون فيهـا المـاء القليـل؛ ولـذلك قـال أبـو عبيـد: سـجرت الثمـاد إذا ملئـت مـن المطـر غيـر أنـه لـم يفسـرها. قـال أبـو مالـك: الثمـد أن يعمـد إلـى موضـع يلـزم مـاء السـماء يجعلـه صـنعًا، وهـو المكـان يجتمـع فيـه المـاء، ولـه مسـايل مـن المـاء، ويحفـر فـي نواحيـه ركايـا فيملؤهـا مـن ذلـك المـاء، فيشـرب النـاس المـاء الظـاهر حتـى يجـف إذا أصـابه بوارح القيظ، وتبقى تلك الركايا فهي الثماد"[2].

وقد ورد ذلك قول القتَّال الكلابي:

سرى بديارِ تغلبَ بينَ حَوضَى   وبينَ أبارق الثمدينِ سارِ[3]

(أبَـارِقُ الثَّمَـدَيْنِ) أوضـح معناهـا يـاقوت الحمـوي بمـا نصـه: "الأبـارق: جمـع أبـرق، والأبـرق والبرقـاء والبرقـة يتقـارب معناهـا: وهـي حجـارة ورمـل مختلطـة، وقيـل: كـل شـيئين مـن لـونين خلطـا فقـد برقـا"[4]. كمـا أوضـح معناهـا فـي قـول القتـال الكلابـي السـابق بمـا نصـه: "أبـارق الثمـدين: تثنيـة الثَّمَـد، وهـو المـاء القليـل، وقـد ذكـر الثمد في موضعه"[5].

- **النُّـؤْي**: وهـو مـن الجـذر اللغـوي (نـأي) ومـن معانيـه: "فـي التهـذيب: النـؤي الحـاجز حـول الخيمـة، وفـي الصـحاح: النـؤي حفـرة حـول

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 95.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ثمد).

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 62. الثمد: الماء القليل. سار: يعني السحاب.

4 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 59.

5 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 60.

الخبـاء لـئلا يدخلـه مـاء المطـر. وأنأيـت الخبـاء: عملـت لـه نؤيًـا. ونأيـت النـؤي أنـآه وأنأيتـه: عملتـه. وانتـأى نؤيًـا: اتخـذه، تقـول منـه: نأيـت نؤيًـا. ويقـال انـأ نؤيـك، كقولـك انـع نعيـك إذا أمرتـه أن يسـوي حـول خبائـه نؤيًـا مطيقًـا بـه كـالطوف يصـرف عنـه مـاء المطـر. والنهيـر الـذي دون النـؤي: هـو الأتـي، ومـن تـرك الهمـز فيـه قـال ن نؤيـك، وللاثنـين نيـا نؤيكمـا، وللجماعـة نـوا نـؤيكم، ويجمـع نـؤي الخباء نؤى، على فعل. وقد تنأيت نؤيًا، والمنتأى: موضعه"[1].

ومنه قول حاجز بن عوف الأزدي:

فلأيًا ما يبين رثيد نؤيٍ ومرسى السفلين من الشجار[2]

ويشـير الشـاعر هنـا إلـى النـؤي الـذي هـو الحجـارة المرصوصـة فـوق بعضها أو الحفرة التي تحفر حول الخباء كي لا يدخله ماء المطر.

- **القَلْـتْ**: وهـي مـن الجـذر اللغـوي (قَلَـتَ)، ومـن معانيهـا عنـد ابـن فـارس: "الْقَـافُ وَاللَّـامُ وَالتَّـاءُ أَصْـلَانِ صَـحِيحَانِ، أَحَـدُهُمَا يَـدُلُّ عَلَـى هَزْمَـةٍ فِـي شَـيْءٍ، وَالْـآخَرُ عَلَـى ذَهَـابِ شَـيْءٍ وَهَلَاكِـهِ. فَالْـأَوَّلُ الْقَلْـتُ، وَهُوَ النُّقْرَةُ فِي الصَّخْرَةِ، وَالْجَمْعُ قِلَاتٌ"[3].

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي:

وكانتْ لنا قَلْتٌ بأرض مضلةٍ شريعتنا لأيِّنَا جاء أوَّل[4]

والقلـت فيمـا قصـده الشـاعر هـي نقـرة فـي الجبـل يسـتنقع فيهـا المـاء. والشريعة هي: مورد الماء.

- **الرَّهْـو**: قـال ابـن فـارس: "الـرَّاءُ وَالْهَـاءُ وَالْحَـرْفُ الْمُعْتَـلُّ أَصْـلَانِ، يَـدُلُّ أَحَـدُهُمَا عَلَـى دَعَـةٍ وَخَفْـضٍ وَسُـكُونٍ، وَالْـآخَرُ عَلَـى مَكَـانٍ قَـدْ يَنْخَفِضُ وَيَرْتَفِعُ. وَحَكَى الْخَلِيلُ: الرَّهْوَةُ: مُسْتَنْقَعُ الْمَاءِ"[5].

وفـي لسـان العـرب: "والرهـو: مسـتنقع المـاء، وقيـل: هـو مسـتنقع المـاء مـن الجـوب خاصـة. والرهـو: الجوبـة تكـون فـي محلـة القـوم يسـيل إليهـا المطـر، وفـي الصـحاح: يسـيل فيهـا المطـر أو غيـره. والجمع رهاء"[6].

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نأي).

2 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 167.

3 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص 18.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 78.

5 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، ص 466.

6 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رها).

ومن ذلك، قول الشنفرى:

نمرُّ برهو الماء صفحًا وقد طوتْ   شمائلنا والزاد ظنٌّ مُغيّبُ[1].

والرهو المقصود في البيت هو المكان المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر أو ماء السيل.

- **القاع**: استعمل الشعراء لفظ القاع كما هو دون تغيير، لأنه من صميم بيئتهم، ومن أمثلة ذلك في شعر الصعاليك، قول عبدة بن الطبيب:

وحلت مبينًا أو رمادان دونها   إكامٌ وقيعان من السرِّ سعلق[2]

ولدى حاجز بن عوف الأزدي:

عفته الريح واعتلجت عليه   بأكدر من تراب القاع جار[3]

وعمرو بن برَّاقة الهمداني:

فلما أن هبطنا القاع ردوا   غواشينا فأدبرنا جُفولا[4]

وما نظمه :

وقام لنا ببطن القاع صيقٌ   فخلى الوازعون لنا السبيلا[5]

نلاحظ أن دلالة العموم هي التي ميزت هذه الأبيات الشعرية، حيث إن الشاعر وظفها في سياق التعميم لا التخصيص، ولعل السياق الشعري لم يتطلب منه تحديد مواضع هذه القيعان، وإنما الاكتفاء بإثبات حضورها لتوظيفها في التصوير الفني الذي يقصده.

بدا المعجم اللغوي الثري لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك واضحًا من خلال الأمثلة السابقة التي استندنا إليها في هذا المبحث، خصوصًا تضمينهم أسماء عديدة لوصف قيعان الماء وأحوالها، ومدى موافقة كل اسم لها لطبيعة تكوين هذا القاع أو ذاك، واستند بعضهم إلى دلالة الخصوص في تبيين هذه القيعان، وبعضهم الآخر إلى دلالة العموم

---

1 - **ديوان الشنفرى**، ص 28.

2 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 55.

3 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 167.

4 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص 103.

5 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص 104.

فـي ذكـرهم القـاع دون تحديـد موضـعه جغرافيًّـا، ودون الاسـتناد إلـى قـرائن جغرافية تشير إليها أو تدل على أماكنها.

5- **الأودِيَـة:** تـدل علـى الموقـع الجغرافـي الـذي يتضـمن المـاء بـين صُـوحيه، وهـو مـن الجـذر اللغـوي (ودي) ومـن معانيـه فـي لسـان العـرب: "ويقـال: ودى يـدي إذا انتشـر. وقـال ابـن شـميل: سـمعت أعرابيًـا يقـول إنـي أخـاف أن يـدي، قـال: يريـد أن ينتشـر مـا عنـدك، قـال: يريـد ذكـره، وقـال شـمر: ودى أي؛ سـال، قـال: ومنــه الــودي فيمــا أرى لخروجــه وســيلانه، قــال: ومنــه الــوادي. ويقــال: ودى الحمـار فهـو واد إذا أنعـظ؛ ويقـال: ودى بمعنـى قطـر منـه المـاء عنـد الإنعـاظ. وقـال ابـن سـيده: الـوادي كـل مفـرج بـين الجبـال والـتلال والإكـام، سـمي بـذلك؛ لسـيلانه، يكـون مسـلكًا للسـيل ومنفـذًا. وقـال الجـوهري: الجمـع أوديـة علـى غيـر قياس، كأنه جمع ودي، مثل: سري وأسرية للنهر"[1].

وجاء ذكر الأودية في شعر الصعاليك ضمن دلالتين اثنتين:

- **الأولـى: دلالـة العمـوم:** وهـي أن يـذكر الشـاعر واديًـا دون ذكـر اسـمه أو مكانـه، إنمـا اسـتعمله فـي سـياق الـنص تشـبيهًا أو تصـويرًا أو وصـفًا، كمـا في قول حاجز بن عوف الأزدي:

حتى جعلتهم مرفضّ أمسلةٍ من بطنِ وادٍ يقيء النـاء متآم[2]

حيـث لـم يحـدد الشـاعر اسـم الـوادي الـذي يقصـده فـي البيـت الشـعري، ولـم يـأت علـى ذكـر قـرائن جغرافيـة تـدل علـى مكانـه أو تشـير إليـه، ولـذلك يعـد هذا الاستعمال ضمن دلالة العموم.

وما نظمه القتّال الكلابي:

وكم دونـها من بطن وادٍ نباته أراك تغنيه الهداهد أخضر[3]

لـم يحـدد الشـاعر وادٍ بعينـه فـي هـذا البيـت، لكنـه اعتنـى بوصـف طبيعـة هـذا الـوادي، ويعـد المعنـى هنـا ناقصًـا عـن تمـام التأويـل لعنايـة الشـاعر بتفاصـيل صـفة الـوادي دون عنايتـه بـذكر موضـع الـوادي فـي بيئتـه، أو تضمين، أي؛ إشارة جغرافية تفيد عن موقعه.

وما نظمه السليك بن السلكة:

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ودي).

2 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 190.

3 - **ديوان القتّال الكلابي**، ص 50.

يا صاحبيَّ ألا لا حيَّ بالوادي   إلا عبيدًا قيامًا بين أذوادِ[1]

وهنا تتجه الدلالة نحو العموم حيث إن الشاعر لم يأت على تسمية الوادي بما عرف به، واكتفى بأن جاء بالاسم العام دون تفصيل للموقع أو تحديد لمحيط الوادي.

وما نظمه السُّلَيك بن السُّلَكَة:

وربَّ وادٍ قد قطعت مسبول[2]

ويشابهه للشنفرى:

وربَّ وادٍ جاوزتُ أعلامه[3]

وله:

فربّ وادٍ نفرت حمامه[4]

نلاحظ استعمالهما حرف الجر الزائد (رُبَّ) التي تفيد وتؤكد دلالة العموم في الأبيات السابقة، فلم يشر الشاعران إلى وادٍ بعينه دون سواه بحسب ما يوحي به السياق، بل إنهما تركا الدلالة عائمة في العموم دون تحديد دقيق لموضعه أو مكانه الجغرافي في البيئة الصحراوية مترامية الأطراف.

ومن دلالة العموم قول الشنفرى :

ووادٍ بعيد العمق ضنك جماعه   مراصد أيم قانت الرأس أخوف[5]

استعمل الشاعر واو (رُبَّ) في تأكيد دلالة العموم، فاعتنى بوصف الوادي دون أن يأتي على ذكر مكان هذا الوادي في بيئته، بل تركه في سياق العموم دون تحديد دقيق لموضعه.

وما نظمه تأبَّط شرًّا:

ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعته   به الذئبُ يعوي كالخليع المعيّل[1]

---

1 - **السليك بن السلكة: أخباره وشعره**، ص 68.
2 - **السليك بن السلكة: أخباره وشعره**، ص 64.
3 - **ديوان الشنفرى**، ص 75.
4 - **ديوان الشنفرى**، ص 101.
5 - **ديوان الشنفرى**، ص 55.

استعمل الشاعر واو (ربَّ) في تأكيد لدلالة العموم التي نحن بصددها، حيث نلاحظ عناية الشاعر بوصف طبيعة الوادي وتفاصيله دون الإشارة إلى مكان هذا الوادي، بل تركه في دلالة العموم.

فالشعراء في هذه الأمثلة لم يحددوا وادٍ بعينه دون سواه، إنما جعلوا ذلك في سياق العموم. أما ما جاء من الأودية باسمه المعروف أو المكان الجغرافي الدال عليه فإنه يندرج ضمن دلالة الخصوص، وهي على النحو الآتي.

- **الثانية: دلالة الخصوص**: وهي أن يُسمِّي الشعراء أودية بعينها دون سواها، وتفيد هذه الدلالة في الحفاظ على أسماء الأودية القديمة إلى عصرنا الحالي بأسمائها المشهورة آنذاك، إضافة إلى ما تعنيه من اهتمام الشعراء بتفاصيل المنطقة الجغرافية المحيطة بهم، وهو ما يجعل من اليسير الوقوف على بيئة الشعراء ودراسة أشعارهم. ومن الأمثلة على ذلك ما قاله القتَّال الكلابي:

إلى ظعن بين الرسيس فعاقل عوامد للشيقين أو بطن خنثل[2]

(الرسيس) اسم وادٍ في أرض نجد. وأشار إليها الأصفهاني في أنها موضع تابع لمنطقة القصيم، فذكر ما نصه: "والقصيم موضع ذو غضا فيه مياه كثيرة وقرى. قلت: القصيم يشتمل على بلدان كثيرة أعرف منها ما يأتي: مدينة بريدة، مدينة عنيزة، الرس، المذنب، الرسيس"[3].

(عاقل) في هذا الاسم اختلاف في تحديده الدقيق، أجبل هو أم وادٍ؟ وذكر الشاعر القتال الكلابي هذا الوادي في موضع آخر فقال:

بغمتٍ فلم يصحبْ لها فاستقبلت من عاقلٍ شعبًا يسلنَ دوافعا[4]

قال الزمخشري: "عاقل: ماء، وقيل جبل"[1]. وقال البكري: "عاقل: بكسر القاف على وزن فاعل. قال عمارة: هو ماء لبني أبان بن دارم من وراء القريتين"[2].

---

1 - **ديوان تأبط شرًا وأخباره**، ص 182.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 73.

3 - الحسن بن عبد الله، **بلاد العرب**، تحقيق: حمد الجاسر؛ صالح العلي، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ص 339.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 68. عاقل: واد بنجد. الشعب: جمع شعبة وهو المسيل الصغير. الدوافع: مدافع الماء الميث، والميث تدفع الماء إلى الوادي الأعظم.

وقال ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان ما نصه: "قال ابن الكلبي: عاقل جبل كان يسكنه الحارث بن آكل المرار جدّ امرئ القيس بن حجر بن الحارث الشاعر، ويقال: عاقل واد بنجد من حزيز أضاخ ثم يسهل فأعلاه لغني وأسفله لبني أسد وبني ضبّة وبني أبان بن دارم، قال عبيد الله الفقير إليه: الذي يقتضيه الاشتقاق أن يكون عاقل جبلاً، والأشعار التي قيلت فيه هي بالوادي أشبه ويجوز أن يكون الوادي منسوبًا إلى الجبل لكونه من لحفه"[3].

وقال شارح ديوان القتَّال الكلابي ما نصه: "عاقل: اسم وادٍ في أرض نجد"[4]. وقال ياقوت الحموي في تعليقه على هذا البيت: "وقول القتَّال الكلابي يدل على أنه قرب المدينة"[5].

ومن دلالة الخصوص قول القتال الكلابي :

أو ألحَقُ بالعنقاء في أرضِ صاحةٍ أو الباسقات بينَ غولٍ وغُلغُلِ[6]

(الغول) قال ابن شمائل: "بالفتح. قيل: جبل. وقيل ماء معروف للضباب بجوف طخفة، به نخل. وقيل: ماء في جبل يقال له إنسان. وإنسان: ماء في أسفله يسمى الجبل به. وقيل: جبل للضباب حذاء ماء، ويسمى الجبل هضب غول"[7]. وقال ياقوت الحموي في تأكيد بأن (غول) وادٍ، ما نصه: "أما غول فهو واد في جبل يقال له إنسان، وإنسان: ماء في أسفل الجبل سمي الجبل به. وغول: واد فيه نخل وعيون"[8].

(الغلغل) قال ياقوت الحموي: " غُلْغُلٌ: بالضم والتكرير، والغلغلة: الإسراع في السير، وتغلغل في الشيء إذا أمعن فيه، وغلغل: جبل في

1 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، ص 227.

2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج3، ص 913.

3 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص 68.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 73.الحاشية.

5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 73.الحاشية.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 77.

7 - ابن شمائل القطيعي البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج2، ص 1006.

8 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص 219.

نــواحي البحــرين"[1]. وقــال ابــن شــمائل فــي تحديــد الموضــع: "غلغــل: بالضم، والتكرير: جبل طويل أسود بأجأ"[2].

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي :

سقى الله ما بين الشطون وغمرة وبئر دريرات وهضب دثين[3]

(الشــطون) قــال البكــري: "ووادي الشــطون: مــذكور فــى رســم طميّــة، وفــي رســم مويســل"[4]. وقــال الزمخشــري: "الشَــطون: مــاءة لقــيس بــن جــرذ فــي جبل يقال له: شعري"[5].

ومن دلالة الخصوص في الأودية قول القتَّال الكلابي :

أطاعَ لها بمدفع ذي سديرٍ فروع الضال والسلم القصار[6]

(ذو ســدير) نقــل يــاقوت الحمــوي عــن الحفصــي مــا نصــه: "قــال الحفصــي: بظــاهر السّــخال واد يقــال لــه ذو ســدير"[7]. وإلــى الــوادي نفســه أشــار ابــن شــمائل فــي قولــه: "وذو ســدير : واد بظهــر الســخال"[8]. وقــال أبــو عبــدالله الحِميــري: "الســدير: بــالعراق، وهــو ســواد نخــل، وقيــل: الســدير: النهــر الذي هناك"[9].

وورد فــي تــاج العــروس مــا نصــه: "سَــدِيرٌ، كــأَمِير، نَهــرٌ بناحِيَــة الحِيــرَةِ مــن أَرضِ العِــرَاق... وَقيــل: السَّــديرُ: النّهْــر مُطلَقًــا. وَقــد غَلَــب علــى هــذا النَّهْــرِ. وَقيــل: سَــدِيرٌ: قَصْــرٌ فِــي الحِيــرَة مــن مَنَــازِلِ آلِ المُنْــذِرِ وأَبنِيَــتهم، وَهُــوَ

---

1 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 4، ص 208.

2 - ابــن شــمائل القطيعــي البغــدادي، **مراصــد الاطــلاع علــى أســماء الأمكنــة والبقــاع**، ج2، ص 999.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 92.

4 - عبــد الله بــن عبــد العزيــز بــن محمــد البكــري الأندلســي، **معجــم مــا اســتعجم مــن أســماء الــبلاد والمواضع**، ج9، ص 978.

5 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، ص 191.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 51.

7 - ياقوت الحموي، **معجم البلادان**، ج3، ص 202.

8 - عبــد المــؤمن بــن عبــد الحــق، ابــن شــمائل القطيعــي البغــدادي، **مراصــد الاطــلاع علــى أســماء الأمكنة والبقاع**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، ج2، ص 700.

9 - محمــد بــن عبــد الله بــن عبــد المــنعم الحِميــري، **الــروض المعطــار فــي خبــر الأقطــار**، تحقيــق: إحســان عبــاس، ط2، مؤسســة ناصــر للثقافــة - بيــروت - طبــع علــى مطــابع دار الســراج، 1980م، ص 308.

بالفارسيّة (سِهْ دِلّى) أي؛ ثَلَاث شُعَبٍ أو ثَلَاث مُداخَلاَتٍ. وَفِي الصّحاح: وأصْله بالفارسيّة (سِهْ دِلّه) أي؛ فِيهِ قِبَابٌ مُدَاخَلَة مِثْلُ الحارِيّ بكُمَّيْن. وَقَالَ الأصمعِيُّ: السَّدِير فارِسَيَّة كأن أصله (سِهْ دِل) أي؛ قُبَّة فِي ثَلاَثِ قِبَابٍ مُدَاخَلَة، وَهِي الّتِي تُسَمِّيها اليومَ الناسُ سِدِلّى. فأعْربتْه الْعَرَب فَقَالُوا: سَدِيرٌ"[1].

ومن الأمثلة على دلالة الخصوص قول القتَّال الكلابي :

ولا موقفي بالعرج حتى أجنها علي من العرين أسترة حمر[2]

(العرج) واد من نواحي الطائف. ويستفاد ذلك من حديث بقيَّة بن الوليد عن كعب: "...وَأَنْظُرُ إِلَى الْعُشْرِ الْبَاقِي فَأَنْفِيهِمْ إِلَى وَادِي الشَّجَرِ، أَوْ وَادِي الْعَرَجِ، أَوْ وَادِي الْعَرْعَرِ"[3]. وقيل: "موضع قبل الطائف"[4]. وقيل: "جبل بطريق مكة وهو أول تهامة"[5].

وما نظمه القتَّال الكلابي :

تَتَبَّعُ أفنانَ الأراكَ مقيلُها بذي العُشِ يُعري جانبيه إختصالها[6]

(ذو العش) واد من أودية العقيق من نواحي المدينة المنورة.

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي :

يا هل تراءى بأعلى عاسم ظعنٌ نكَّبنَ فَحْلَينِ واستَقْبَلنَ ذا بقر[7]

(ذو البقر) واد بين أخيلة الحمى حمى الربذة.

وما نظمه القتَّال الكلابي :

وتطايرتْ عَبْسٌ فأصبحَ منهمُ وادي الدَّواهن خَاليًا لم يُوردِ[8]

---

1 - **تاج العروس**، 527/11.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49.

3 - نعيم بن حماد، **الفتن**، ج1، ص 240.

4 - **تفسير القرطبي**، ج 19، ص 180.

5 - **التفسير المظهري**، ج7، ص 92.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 79.

7 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 53.

8 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 43.

(وادي الـدواهن) لعلـه واد قريـب مـن منـازل قبيلـة عـبس، ولـم يسـتهدِ شـارح ديـوان القتَّـال إلـى موضـعه الـدقيق. وجـاء فـي روايـة يـاقوت الحموي في معجم البلدان:

"وتحمَّلت عبسٌ فأصبح خاليًا وادي ضئيدة عافيًا لم يُوردِ"[1]

ومنه للسليك بن السلكة:

بحمد الله وامرئ هو دلّني حويت النهاب من قضيبَ وتحتما[2]

(قضيب) واد باليمن لمراد. (تحتم) موضع باليمن.

ولعبدة بن الطبيب:

وقلتُ لهُ يومًا بوادي مُبايضٍ ألا كلُّ عَانٍ غير عانيك يُعتقُ[3]

(وادي مبـايض) واد يقـع فـي موضـع يسـمى مبـايض، وإليـه نسـب، وهـي موضـع وراء الـدهناء فـي ديـار بنـي سـعد بـن زيـد منـاة بـن تمـيم. ويقـال لـه (أبايض) بالهمز .

وما نظمه عبدة بن الطبيب :

وأكوارنا بالجوِّ جوِّ جُواذةٍ بحيثُ يصيدُ الآبدات العَسَلَّقُ[4]

(جـو جُـواذة)، يقصـد بهـا واديًـا فـي بـلاد تمـيم. والجـو: مـا اتسـع مـن الأوديـة. و"جُـواذة بضـم أولـه وبالـذال المعجمـة علـى وزن فعالـة موضـع أراه في بلاد بني تميم"[5].

وما نظمه حاجز بن عوف الأزدي:

فإما تقظ سمراء تمنع زائدًا مواردهُ بين الأَحَصِّ وعُلَيبِ[6]

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 43. الحاشية.
2 - **ديوان السليك بن السلكة**، ص 94.
3 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 52.
4 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 54.
5 - عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ، ص 402.
6 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 157.

(عُليب) من أكبر أودية الماء العذب في بلاد زهران في تهامة. ويشتهر بجريان الماء فيه على مدار العام. ويصب في البحر الأحمر.

(الأحص) "الأحص بالصاد المهملة على وزن أفعل واد لبني تغلب كانت فيه بعض وقائعهم مع إخوتهم بكر، قال مهلهل بن ربيعة:

وادي الأحصِّ لقد سقاك من العدى فيض الدموع بأهله الدُّعسِ"[1]

وما نظمه أبي خراش الهذلي:

غذاه من السّرّين أو بطن حَليةٍ فُروعُ الآباءِ في عميمِ السَّوائل[2]

(حلية) واد في تهامة، قال عنه الزمخشري: "حلية وادٍ بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة"[3]. ويعد هذا الوادي من الأودية الفاصلة بين حدود القبيلتين كنانة وهذيل.

ولتأبّط شرًّا:

ولمَّا سَمِعْتُ العَوْصَ تَدْعُو تَنَفَّرَتْ عَصَافِيرُ رَأسي مِنْ بَوًى فَعَوَاينَا[4]

(بوى) واد كبير يمتد من أعالي جبال الحجاز ويمر بنجد إلى أن يصب في وادي تربة.

وللشنفرى:

إذا أصبحتُ بين جبالِ قوٍّ وبيضان القُرى لم تحذريني[5]

(قو) واد يقطع الطريق تدخله المياه ولا تخرج، وهو منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة[6].

---

1 - عبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ص 117.

2 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 205. العميم: ما اعتم من النبت في سوائل المطر، والسوائل الأماكن التي تسيل بالماء.

3 - محمود بن عمر الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: محمد أبو عامود، الجزيرة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2007م، ص 98. .وانظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 341.

4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 214- 215. بوى: واد.

5 - **ديوان الشنفرى**، ص 79.

6 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج4، ص 471.

ولعمرو بن برَّاقة الهمداني:

عَرَفتُ مِنَ الكُنُودِ ببَطْنِ ضَيْمٍ فَجَوٍّ بَشَائِمٍ طَلَلاً مُحِيلا[1]

(ضيم) وادٍ بالقرب من مكة المكرمة مجاور لجبال هذيل، وجاء في معالم مكة التاريخية والأثرية ما نصه: "الكَرَاب: جبال لهذيل تجاور عَرْوان من الشمال مياهها في دُفاق وضيم، ولها شعاب بهذا الاسم يأخذها طريق بين تهامة والطائف"[2].

ولصخر الغي الهذلي :

إلى عَمَرَيْنَ إلى غَيْقَةٍ بيَلْيَلَ يَهدِي ربَحْلاً رَجُوْفَا[3]

(يليل) ويسمى: "وادي الصفراء"[4]. قال البلادي الحربي: "يَلْيَلُ بِتَكْرَارِ الْمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ، وَاللَّامِ. جَاءَ فِي النَّصِّ الَّذِي ذَكَرْنَا فِي (الْعُدْوَةِ الْقُصْوَى) وَكَانَ وَادِي الصَّفْرَاءِ يُطْلَقُ عَلَى أَسْفَلِهِ الَّذِي يَمُرُّ بِبَدْرٍ اسْمَ يَلْيَلَ، وَقَدْ يُسَمِّيهِ الْيَوْمَ بَعْضُهُمْ وَادِيَ بَدْرٍ، وَلَمْ يَعُدْ يُعْرَفُ اسْمُ يَلْيَلَ"[5]. كما قيل في تحديد موضعه: "وجاء ذكر هذا الوادي في غزوة بدر، بل في معركة بدر، في تحديد مكان قريش من المعركة. وكان وادي الصفراء يطلق على أسفله الذي يمرّ ببدر اسم يليل، أو وادي بدر. ولم يعد يعرف اسم يليل"[6].

قال البكري: "يليل: بفتح أوّله، وإسكان ثانيه، بعده ياء أخرى مفتوحة. قال أبو بكر: هو موقف من مواقف الحجّ. وقال الزّبير: هو واد يدفع فى بدر"[7]. وقال : "وبطن الوادي هو يليل، وبين بدر وبين العقنقل

---

1 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص 75.

2 - عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، **معالم مكة التاريخية والأثرية**، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة، 1980م، ص 230.

3- **ديوان الهذليين**، ج2، ص 71.

4 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 342.

5 - عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، **معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1982م، ص 339.

6 - محمد بن محمد حسن شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، 1411هـ، ص 301.

7 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج4، ص 1399.

الكثيب الذي خلفته قريش. والقليب ببدر هو في العدوة الدّنيا من بطن يليل إلى المدينة"[1].

وقال في تعليقه على موضعين وردا في البيت الذي نحن بصدد تفسير معانيه: "وكذلك سكّان الجار، ويؤتون بالماء على فرسخين من وادي يليل، الذي يصبّ في البحر هناك. قال المؤلّف أبو عبيد رحمه الله، هذا قول السّكوني. والصحيح أن يليل يصبّ في غيقة، وغيقة تصبّ في البحر، على ما بيّن في موضعه"[2]. مما يشير إلى مدى معرفة الشاعر بالمواضع ومدى قربها وبعدها من بعضها بعضًا.

أما الزمخشري، فحدد موضع (يليل) بما نصه: "يلْيل: موضع، وقيل: جبل، وقيل: واد بين بدر والعقنْقل"[3]. وقال ياقوت الحموي: "ألْيَلُ: بالفتح ثم السكون، وياء مفتوحة، ولام أخرى، ويقال: يليل، أوله ياء: موضع بين وادي ينبع وبين العذيبة، والعذيبة: قرية بين الجار وينبع، وثم كثيب يقال له: كثيب يليل"[4].

نلاحظ من خلال الأمثلة الشعرية السابقة في هذا المبحث عناية الشاعر القتّال الكلابي أكثر من غيره من الشعراء بذكر مواضع الآبار وأسمائها، في دلالة الخصوص أكثر من دلالة العموم، ويدل هذا على أن الشاعر الكلابي كان على معرفة وإلمام بمواضع التضاريس الجغرافية في البادية، وأنه كان شاعرًا صاحب ترحال في أصقاع البادية، وإلا لما كان لديه هذه المعرفة الغزيرة بالمواضع وأسمائها إزاء غيره من أقرانه الشعراء الصعاليك، مع أن البيئة واحدة لديهم جميعًا، وهي البيئة الصحراوية، ويتضح هذا العلم لدى القتال الكلابي من خلال أشعاره التي عبرت عن ذلك تعبيرًا واضحًا وصريحًا.

6- **عُيُون المَاء**: وهي من الجذر اللغوي (عين) ومن معانيه في لسان العرب: "العين: عين الماء. والعين: التي يخرج منها الماء. والعين: ينبوع الماء الذي

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج1، ص 232.

2 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج2، ص 356.

3 - محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م، ص 334.

4 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 248.

ينبع من الأرض ويجري، والجمع أعين وعيون. ويقال: غارت عين الماء. وعين الركية: مفجر مائها ومنبعها"[1].

ومن ذلك، قول الشنفرى وهو يصف القوس ذات الصناعة الجيدة، وتعد القوس من أهم الأدوات الحربية وأكثرها فاعلية وجدوى في إصابة الأهداف البعيدة، فيقول:

وحمراءُ من نبعِ أبيٍّ ظهيرةٌ   ترنُّ كإرنان الشجيِّ وتهتفُ[2]

وفي رواية أخرى:

وصفراءُ من نبعِ أبيٍّ ظهيرةٌ   ترنُّ كإرنان الشجيِّ وتهتفُ[3]

فالشاعر يسمي القوس بلونها، فيصرح بذكر الصفة ويحذف الموصوف، وجاء النبع هنا في سياق العموم دون تحديد مكان دقيق أو اسمٍ محدد للعين وموضعها.

وأشار بعض الشعراء إلى النبع، كما في بيت الشنفرى:

عليه نساريٌّ على خوط نَبعةٍ   وفوقٍ كعرقوبِ القطاةِ مُدحرجِ[4]

نلاحظ عناية الشعراء الصعاليك بذكر مواضع عيون الماء والقيعان والغدران في أشعارهم، وتعد هذه المواضع من أصل بيئتهم، ومن أهم موارد الحياة لديهم.

7- البحر ومتعلقاته والألفاظ الدالة عليه:

يعد البحر من الموارد الطبيعية خارج بيئة الشعراء سكان البوادي، لكن هذا لا يعني عدم معرفتهم به أو رؤيتهم له، فمن طبيعة حياتهم التنقل والترحال، لذلك نجد أن عددًا منهم استعمل لفظ البحر في شعره، إما صراحة أو كناية بالإشارة إلى الأشياء المتعلقة بالبحر والمرتبطة بتكوينه.

وأجد من توظيف البحر بلفظه الصريح، في ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، في قول قيس بن الحدادية:

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عين).

2 - ديوان الشنفرى، ص 54؛ طلال حرب، **ديوان الشنفرى ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن برَّاق**، ط1، الدار العالمية، 1993م، ص 112.

3 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 201.

4 - **ديوان الشنفرى**، ص 40.

فما زلت تحت الستر حتى كأنني   من الحر ذو طمرين في البحر كارع[1]

وما نظمه:

فما البحر يجري بالسفين إذا غدا   بأجود سيبًا منه في كل محفل[2]

وما ورد عند حاجز بن عوف الأزدي موظفًا لفظ البحر كعلامة جغرافية للدلالة على المكان:

ألا هل أتى ذات القلائد فرّتي   عشية بين الجرف والبحر من بعر[3]

وما نظمه تأبَّط شرًّا يصف تلاطم أمواج البحر وهيجانه:

يجمُّ جموم البحر طالَ عبابه   إذا فاض منه أولٌ جاشَ آخرُ[4]

وما نظمه عمرو بن برَّاقة الهمداني في صورة شعرية ممتدة على ثلاثة أبياتٍ يصف فيها البحر وهيجانه وخوف الملاح من تياره، ثم وصف السفينة التي تشق عباب الماء المالح الأجاج، حيث قال:

ألا هل للهموم من انفراج   وهل لي من ركوبِ البحر ناج
يشقُّ الماءَ كلكلها ملحًّا   على ثبجٍ من الملح الأُجاج
كأنَّ قواذف التيَّار فيها   نعاجٌ يرتمين إلى نعاج[5]

وفي وصف السفينة لصخر الغي الهذلي:

كأنَّ تواليه بالملا   سفائن أعجم مايحنَ ريفا[6]

فشبه الشاعر أواخر السحب المتراكمة الثقيلة التي يتوالى بعضها في إثر بعض، بسفائن أعجميٍّ رست إلى بعض السواحل فأوقرت من صادراته. وهو تشبيه من خارج بيئة الشاعر، حيث إنها تضمنت عنصرين اثنين خارج بيئته؛ الأول البحر، والثاني تجارة الأعاجم.

---

1 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 212.
2 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 215.
3 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 166.
4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 82.
5 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص 90.
6 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 303.

كما وظف بعض الشعراء متعلقات البحر في صورهم الشعرية على سبيل الكناية، كتوظيفهم (كفة الحابل) أي؛ شبكة صيد السمك، ويطلق الشعراء هذا الوصف في سياق المثل لكل من علقت يداه ووقع في الشرك، وهي صورة من خارج بيئة الشعراء الذي سكنوا البوادي. ومن ذلك، ما نظمه عبدة بن الطبيب:

تداركت عبدالله قد ثلّ عرشه وقد علقت في كفة الحابل اليد[1]

وللقتَّال الكلابي في المعنى نفسه:

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل[2]

الكفة: حبالة الصيد أو الشبكة. الحابل: الذي ينصب الحبالة.

واستطاع الشعراء توظيف لفظ البحر في دلالات الفخر والمدح، ومن ذلك، ما نظمه الشاعر قيس بن الحدادية:

فما البحر يجري بالسفين إذا غدا بأجود سيبًا منه في كل محفل[3]

حيث إنه يسبغ صفات الكرم على الممدوح، بل إنه يقارن بين كرمه وسخائه وكرم وسخاء البحر، فيجد ممدوحًا أجود وأكرم من البحر. ومن ذلك، بيت القتَّال الكلابي:

بحرًا تنازعه البحور تمدُّه إن البحور ترى لهن شرائعا[4]

حيث وظّف الشاعر البحر في سياق مدح الكرم والسخاء على الممدوح، وقال هذا البيت من قصيدة طويلة مدح بها عبدالله بن حنظلة الكلابي.

لاحظنا من الأمثلة السابقة أن استعمال الشعراء للبحر ومتعلقاته وتوظيفها في الشعر واردة في أكثر من موضع في قصائد مختلفة، على الرغم من اعتبار البحر من العناصر الطبيعية خارج بيئة الصحراء التي يسكنها الشعراء الصعاليك، ويدل استعمالهم على اتساع أفق رؤيتهم إزاء توظيف عناصر الطبيعة بأشكالها المختلفة حتى التي تعد بعيدة عن مرأى عينهم، لكن إدراجها ضمن القصائد يشير إلى رؤيتهم لها وزيارة أماكنها، خصوصًا أن حدود البادية العربية تنتهي عند حدود البحار والخلجان، ويتضح ذلك من الرسوم الجغرافية المحددة لهذه المنطقة.

---

1 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 37.

2 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 99.

3 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 215.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 69.

8- **الآبـار ومتعلقاتهـا:** جـاء فـي لسـان العـرب فـي معنـى البئـر مـا نصـه: "بـأر: البئـر: القليـب، أنثـى، والجمـع أبـآر بهمـزة بعـد البـاء مقلـوب عـن يعقـوب، ومـن العـرب مـن يقلـب الهمـزة فيقـول: آبـار، فـإذا كثـرت، فهـي البئـار، وهـي فـي القلـة أبـؤر. وفـي حـديث عائشـة: اغتسـلي مـن ثـلاث أبـؤر يمـد بعضـها بعضًـا؛ أبـؤر: جمـع قلـة للبئـر. ومـد بعضـها بعضًـا: هـو أن مياههـا تجتمـع فـي واحـدة كميـاه القنـاة، وهـي البئـرة، وحافرهـا: الأبـار، مقلـوب ولـم يسـمع علـى وجهـه؛ وفـي التهـذيب: وحافرهـا بـأآر؛ ويقـال: أبـار؛ وقـد بـأرت بئـرًا وبأرهـا يبأرهـا وابتأرهـا: حفرهـا. أبـو زيـد: بـأرت أبـأر بـأرًا حفـرت بـؤرة يطـبخ فيها، وهي الإرة"[1].

يغلـب علـى توظيـف الآبـار فـي شـعر الصـعاليك حضـور دلالـة التخصـيص دون دلالة التعميم، كما فيما نظمه الشاعر عبدة بن الطبيب:

وَحَلَّتْ مُبينًا أو رَمادانَ دُونَها　　إكامٌ وقيعانٌ من السرِّ سَعلَق[2]

(مبـين) قـال البكـري: "مبـين: بئـر معروفـة وهـي مـن ميـاههم المشـهورة[3]. وقـال يـاقوت الحمـوي: "مُبِـينٌ: بالضـم ثـم الكسـر، وآخـره نـون، مـن أبـان الشـيء يبـين فهـو مبـين أي؛ ظـاهر: اسـم موضـع"[4]. ورمـادان: قـال يـاقوت الحمـوي: " رَمَـادانُ: تثنيـة رمـاد ثـمّ عـرب: جفـر فـي الطريـق لبنـي المرقـع من بني عبد الله بن غطفان عند القصيم"[5].

نلاحـظ تركيـز الشـاعر علـى تخصـيص الموضـع بـذكر تسـميته الحقيقيـة، بالإضـافة إلـى الإشـارة إلـى موضـع آخـر يوضـح مكـان البئـر باسـتعمال حـرف العطـف (أو) فـي إشـارة إلـى قـرب جفـر رمـادان مـن بئـر مبـين، وهـي إشارة ذكية أحسن الشاعر توظيفها.

وللقتَّال الكلابي :

سقى اللهُ ما بين الرِّجامِ وغَمرةٍ　　وبئرِ ذُريَّاتٍ بهن جَنينُ[6]

(بئـر ذريـات) بئـر مـاء مشـهور بـين الرجـام وغمـرة، ووصـفه بـالجنين أي؛ أن هـذا البئـر مسـتترة فـي موقعهـا الـذي وصـفه. والرجـام كمـا قـال البكـري:

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بأر).

2 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 55.

3 - عبـد الله بـن عبـد العزيـز بـن محمـد البكـري الأندلسـي، **معجـم مـا اسـتعجم مـن أسـماء الـبلاد والمواضع**، ج2، ص 402.

4 - يـاقوت الحمـوي، **معجـم البلـدان**، ج5، ص 52. وانظـر: ابـن شـمائل القطيعـي البغـدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج3، ص 1226.

5 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج 3، ص 66.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 91.

"الرّجـام بكسـر أوّلـه، وبـالميم فـي آخـره: جبـل مـذكور محـدد فـي رسـم ضـريّة"[1]. وقـال الزمخشـري: "الرجـام: جبـل طويـل أحمـر لـه رداةٌ فـي أعراضـه"[2]. و"قـال العـامري: الرجـام هضـبات حمـر فـي بلادنـا نسـميها الرجـام وليسـت بجبـل واحـد"[3]. وقـال نـور الـدين السـمهودي: "الرجـام: ككتـاب، جبل مستطيل أحمر على ثلاثة عشر ميلاً من ضرية على طريق أهـل أضـاخ، وفـي غربيـه مـاء عـذب يقـال لـه الرجـام، ولـيس بينـه وبـين طخفة إلا طريق ثنية، وفي أعراضه نزل جيش أبي بكر أيام الردة"[4].

وفي رواية ثانية للبيت نفسه:

سقى اللهُ ما بين الشّطونِ وغَمْرَةٍ وبئر دريراتٍ وهُضبِ دَثين[5]

(الشـطون) "الشّـطون: بفـتح أوّلـه، وضـمّ ثانيـه، علـى بنـاء فعـول: بئـر مـذكورة فـي رسـم ضـريَّة"[6]. وقيـل: "الشـطون: بئـر بناحيـة شـعر"[7]. و"شـعر: جبـل عظـيم فـي ناحيـة الوضـح، وعنـده مـاء يقـال لـه الشـطون"[8]. ومنـه : "دار سـعرٍ، وهـي لبنـي وقـاصٍ مـن بنـي أبـي بكـر بـن كـلابٍ، وبهـا الشـطون، وهـي بئـرٌ زوراءٌ يستقصى منها بشطنين، أي؛ بحبلين"[9].

أما (غمرة) فقال ابن الفقيه فيها: "غمرة: من أعمال المدينة على طريق نجد أغزاهـا النبـي -صـلى الله عليـه وسـلم- عكّاشـة بـن محصـن"[10]. وقـال ابـن

---

1 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج2، ص 639.

2 - محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، ص 150.

3 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص 27.

4 - علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين أبو الحسن السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج4، ص 79.

5 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 92.

6 - عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ج9، ص 978.

7 - علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ، ج4، ص 98.

8 - علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ج3، ص 230.

9 - ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، **الخزل والدأل بين الدور والدارات والديرة**، 15/1.

10 - أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996م، ص 84.

شمائل: "غمرة: منهل من مناهل طريق مكة، فصل ما بين تهامة ونجد"[1]. وقال السمهودي: "غمرة: وسماه ابن سعد (غمر مرزوق) بغير هاء، قال: وهو ماء لبني أسد"[2]. وقال البلادي الحربي: "غمرة: هِيَ مَحَطَّةٌ مِنْ مَحَطَّاتِ الْحَاجِّ الْعِرَاقِيِّ قَدِيمًا عَلَى الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِوَادِي الْعَقِيق حِينَ يَمُرُّ بَيْنَ عُشَيْرَةٍ وَالْمُسْلِحِ شَمَالَ شَرْقِيِّ مَكَّةَ عَلَى سِتِّ مَرَاحِلَ"[3].

(بئر دريرات) قال ياقوت الحموي: "بئر دريرات: هو بئر ماء في موضع يقال له دُرَيْرات"[4]. و(دثين) كما قال ياقوت الحموي: "دَثِينٌ: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وياء مثناة من تحت، وآخره نون: اسم جبل، يقال: دثن الطائر تدثينًا"[5].

حيث يدعو الشاعر بالسقيا من حدود قبيلة بني كلاب (الشطون) إلى حدود قبيلة بني أسد (غمرة) إلى الموضع الذي يتضمن بئر دريرات إلى الموضع الذي فيه جبل دثين، وهذان الموضعان في شبه الجزيرة العربية، بيد أنه لم يذكر المؤرخون تحديدًا دقيقًا لموضعيهما فيما وقفت عليه من مصادر.

ومن دلالة التخصيص ما نظمه القتَّال الكلابي:

لعمري لحيٌّ من عقيلٍ لقيتهم بخَطْمَة أو لاقيتهم بالمناسك[6]

(خَطْمَة) قال ابن شرَّاب: "بئر خطمة: من آبار المدينة التي لا تعرف جهتها، وإنما هي في مساكن بني خطمة من الأوس، وكانوا يسكنون العوالي من المدينة"[7]. وقال ياقوت الحموي: "خَطْمَةُ: بفتح أوله، وتسكين ثانيه: موضع في أعلى المدينة... وخَطْمَةُ: جبل يصب رأسه في وادي أوعال ووادي القرى، كذا قال ابن الحائك"[8]. وربما أن الشاعر لا يقصد بقوله (بخطمة) البئر التي أشرنا إليها، وإنما يقصد الموضع الذي يتضمن

---

1 - ابن شمائل القطيعي البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ج2، ص 1001.

2 - نور الدين أبو الحسن السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ج4، ص 125.

3 - عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، **معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**، ص 228.

4 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 454.

5 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 439.

6 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 71.

7 - محمد بن محمد حسن شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ص 42.

8 - ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، ص 379.

البئـر المسـمى باسـم الموضـع (بئـر خطمـة)، بيـد أن مـا يـرجح تأويـل مـا ذهبنـا إليـه فـي أن الـراجح أن يكـون التقـى بـبعض بنـي عقيـلٍ عنـد بئـر موضـع خطمـة حيـث المشـهور أن اللقـاءات كانـت تـتم فـي مواضـع الميـاه، لأن هـذه المواضـع تعد علامات مميزة للمنطقة خصوصًا في البوادي.

كمـا أتـى بعـض الشـعراء علـى ذكـر الموضـع الجغرافـي الـذي يتضـمن آبـار المياه وغدرانها، كما في قوله القتَّال الكلابي:

طوالعُ مِن حَوضي الرَّداه كأنَّها   نواعمُ من مَرَّانَ أوقرَها البُسْرُ[1]

(مـرَّان) قريـة غنَّـاء كثيـرة العيـون والآبـار والنخيـل والمـزارع وهـي علـى طريق البصرة لبني هلال.

تجـدر الإشـارة إلـى أننـا وجـدنا بعـض الشـعراء يوظفـون مفـردات البيئـة الصـحراوية المتعلقـة بالآبـار فـي شـعرهم، حيـث إن للآبـار مكانـة مهمـة فـي حيـاة البـداوة فـي شـبه الجزيـرة العربيـة، فعليهـا يقـوم معاشـهم فـي سـنوات القحـط والجفـاف. ومـن أبـرز أمثلـة التوظيـف مـا نظمـه حـاجز بـن عـوف الأزدي:

فباتَ الدمعُ يخضلني كأنِّي   تقيتُ بريطتي غربي محالهْ[2]

يخضـلني: يرشـني، تقيـت: اتقيـت، الريطـة: ثـوب لـين مـن قطعـة واحـدة، غـرب: دلـو، المحالـة: البكـرة التـي يتحـرك عليهـا حبـل الـدلو الـذي يكـون فـي بئـر المـاء. حيـث اسـتفاد الشـاعر مـن متعلقـات الآبـار ووظفهـا فـي شـعره توظيفًا دقيقًا ومتقنًا.

9- **النـدى**: وهـو لغـة مـن الجـذر اللغـوي (نـدي) ومـن معانيـه فـي لسـان العـرب: "النـدى: البلـل. والنـدى: مـا يسـقط بالليـل، والجمـع أنـداء وأنديـة، علـى غيـر قيـاس. ونـدى الأرض: نـداوتها وبللهـا. وأرض نديـة، علـى فعلـة بكسـر العـين، ولا تقـل نديـة، وشـجر نـديان. والنـدى: الكـلأ، ويقـال: النـدى نـدى النهـار، والسـدى نـدى الليـل؛ يضـربان مـثلاً للجـود ويسـمى بهمـا. ونـدي الشـيء إذا ابتـل فهـو نـد، مثـال تعـب فهـو تعـب. وأنديتـه أنـا ونديتـه أيضـا تنديـة. ومـا نـديني منـه شيء أي؛ نالني، وما نديت منه شيئًا أي؛ ما أصبت ولا علمت"[3].

ومن ذلك، للقتَّال الكلابي:

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 49.

2 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 181.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ندي).

وما روضةٌ بالحَزنِ قفرٌ مَجُودةٌ يمجُّ النَّدى ريحانُها وصبيبُها[1]

ومنه ما نظمه أبو صخر الهذلي في وصف إحدى الرياض، حيث جاء على ذكر (نجاء الدلو) كما فعل الشاعران تأبط شرًّا والقتَّال الكلابي، مما يؤكد لنا أن النجاء مقترنة بالمرحلة الزمنية المسماة الدلو، وهو "كوكبان مضيئان أحدهما شمالي والآخر جنوبي"[2].

فما روضةٌ بالحَزمِ طاهرةُ الثَّرى وَلَتْهَا (نجاء الدَّلو) بعدَ الأبارِدِ
يمجُّ خُزَامَاها النَّدَى وعرَارَها بعَلَيَاء لم يُؤثر بها جَرسُ وَارِدِ[3]

فهو يصف روضة في مكان مُشرفٍ أصابها مطر الولي -وهو النوع الثاني من مراتب المطر بعد الوسمي- من السحاب المسمى (النجاء) المتعلق بزمن نوء الدلو، وهو يريد (الدلو المؤخر) لأن وقته بعد ذهاب البرد، وكذلك أصاب الندى شجرها وخزاماها بعد الولي، وهي بمنطقة لم يسمع بها صوت أحد.

نلاحظ الشبه بين ما نظمه القتَّال الكلابي وأبو صخر الهذلي، حيث إن الأول أشار إلى أن الندى يمج الريحان، واستعمل الثاني الفعل نفسه في يمج الخزامى والعرار.

وتنَّوع الشعراء بين استعمال الاسم الصريح للندى، أو الإشارة إليه بلفظ (الطلّ)، ومن ذلك، لقيس بن الحدادية:

إذا اشتدّ إرهامُ النَّدى فهو ساقِطٌ خَضولٌ كظَهر البُرجُدِ المُتصببِ[4]

ولأبي الخرّاش الهذلي:

ونَعْلٍ كأشلاءِ السُّمانى نبذتُها خلافَ ندًى من آخر الليل أو رهمِ[5]

ولتأبَّط شرًّا في المعنى نفسه :

طرحتُ لهُ نَعْلاً من السَّبت طلَّةً خلاف ندًى من آخر الليل مخضلِّ[1]

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 31.
2 - زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، لا . ط، مطبعة التقدم، مصر، د.ت، ص 49.
3 - الحسن بن الحسين السكري، **شرح أشعار الهذليين**، ج2، ص 932.
4 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 205.
5 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 226. الرهم: المطر الضعيف الساكن اللين.

وللشنفرى في استدعاء توظيف لفظ الندى :

تعسَّفت منه بعدما سقط النَّدى   غماميلُ يخشى عيلها المتعسِّفُ[2]

وأما توظيف الندى من خلال أسمائه الأخرى أو صفاته، فقد استعمل الشعراء الصعاليك (الطلّ) في الإشارة إلى الندى، ومن ذلك، للشنفرى:

فبتنا كأن البيت حجر فوقنا   بريحانة ريحت عشاءً وطُلَّتِ[3]

ولتأبَّط شرًّا في الفخر:

أنا الذي نكح الغيلان في بلدٍ   ما طلَّ فيه سماكي ولا جادا[4]

فعلى الرغم من أن سياق البيت جاء في الفخر، جاء استعمال (الطَّلِّ) في سياقٍ سلبي، حيث يذكر الشاعر أرضًا قفرًا لا ماء فيها ولا مطر.

وفي جانب آخر فقد جاء توظيف الندى دلالة على الكرم والسخاء، ونلاحظ في هذا الاستعمال أنه تضمن تطورًا دلاليًّا في تحول مفردة اقتران الكف بالندى من المعنى اللغوي إلى المعنى الدلالي، ومن ذلك، للشنفرى:

يابسُ الجنبين من غير بؤسٍ   ونديُّ الكفَّين شهمٌ مدلّ[5]

وللشنفرى في سياق الفخر والمدح:

شامسٌ في القُرِّ حتَّى إذا ما   ذكت الشّعرى فبردٌ وظلٌّ[6]

تجدر الإشارة هنا إلى أن الدلالة المركزية للتركيب اللغوي (نديُّ الكفِّ) تشير إلى بلل الكف بقطرات الماء الصغيرة، وهي دلالة لغوية، بيد أن الدلالة الهامشية تشير إلى أن استعمال هذا التركيب لا يكون إلا في سياق مدح الكرم والسخاء. مما يجعلنا نلاحظ أن الدلالة الهامشية تفوقت على الدلالة المركزية وأصبحت أكثر شيوعًا منها. وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 185.

2 - **ديوان الشنفرى**، ص 55.

3 - **ديوان الشنفرى**، ص 34. طلت: أصابها الطل، وهو الندى.

4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 77.

5 - **ديوان الشنفرى**، ص 86.

6 - **ديوان الشنفرى**، ص 85-86.

الفصل الثالث

الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها

مدخل

تـزداد أهميـة عنصـر المـاء كلمـا كـان شـحيحًا نـادرًا، خصوصـًـا فـي البيئـة الجافـة، ومـن ذلـك، بيئـة الباديـة العربيـة قبـل أن تتـوفر فيهـا الآبـار الارتوازيـة وقنـوات الميـاه الصـالحة للشـرب. وتعـود عنايـة الشـعراء الصـعاليك بعنصر الماء إلى سببين اثنين:

1- أهمية الماء لكونه قوام العناصر المكونة للحياة.
2- نـدرة المـاء بسـبب طبيعـة البيئـة الجافـة، خصوصـًا مـع عـدم اسـتقرار الشـعراء الصـعاليك فـي موضـع واحـد، وتـنقلهم الـدائم فـي البـوادي، مما يجعل عنصر الماء عاملاً مهمًّا للاستقرار الآني لدى موارده.

اسـتعمل العـرب قـديمًا ألفاظًـا مختلفـة للإشـارة إلـى المـاء وصـفاته وأحوالـه العلويـة والأرضـية، وخصوصـًا الأفعـال المتعلقـة باسـتعمال المـاء فـي الشـرب أو جريانـه، فخصصـوا لكـل حـالٍ لفظًـا مميـزًا يـدل عليـه، واسـتعمل الشـعراء هـذه الألفـاظ فـي مواضـع متفرقـة فـي قصـائدهم، وهـو مـا سـنتناوله فـي هـذا الفصـل بـالوقوف علـى أهـم الاشـتقاقات اللغويـة لألفـاظ المـاء ودلالاتهـا فـي شعر الصعاليك.

ذكـر الثعـالبي فـي كتابـه (فقـه اللغـة) فـي فصـل: (تقسـيم خـروج المـاء وسـيلانه مـن أماكنـه)، مـا نصـه: "مـن السـحاب: سـحَّ، مـن الينبـوع: نبـعَ، مـن الحَجَـر: انـبجسَ، مـن النهـر: فـاضَ، مـن السـقفِ: وكـفَ، مـن القربـةِ: سـربَ، مـن الإنـاءِ، رشـحَ، مـن العـينِ: انسـكبَ، مـن المـذاكيرِ: نطـفَ، مـن الجـرحِ: ثعَّ"[1].

وفيمـا يـأتي نتنـاول تحليـل أبـرز الشـواهد الشـعرية لـدى مـا وقفـت عليـه مـن قصـائد الشـعراء الصـعاليك التـي تضـمنت الألفـاظ المتصـلة بالمـاء ومـدى ملاءمتهـا للدلالـة والتأويـل، إضـافة إلـى إلقـاء الضـوء علـى أوجـه التطـور الـدلالي لألفـاظ المـاء بحسـب السـياقات التـي وردت فيهـا وذلـك فـي مبحثـين اثنين.

1 - عبدالملك بن محمد الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 305.

المبحث الأول: الاشتقاقات المتصلة بالماء ودلالاتها

وفيه نتناول أبرز الاشتقاقات اللغوية لألفاظ الماء وكيفية توظيف الشعراء لهذه الاشتقاقات في شعرهم، ومدى توفيقهم في توظيفها ومطابقتها للمعنى، ونبدأ أولاً بلفظ (الشرب) على النحو الآتي:

1- **الشُّرْب:** وتحديده لغة في لسان العرب: "الشرب: مصدر شربتُ أشربُ شربًا. ابن سيِّده: شربَ الماء وغيره شُربًا. والمَشْرَبُ: شريعةُ النهر، والمَشرَبُ: المشروبُ نفسه. والشَّرابُ: اسمٌ لما يُشرب. وكلُّ شيءٍ لا يُمضغ فإنه يقال فيه: يُشرَب. والشروب: ما شُرب. والماء الشروب والشريب: الذي بين العذب والملح، وقيل: الشروب: الذي فيه شيء من عذوبة، وقد يشربه الناس على ما فيه. والشريب: دونه في العذوبة، وليس يشربه الناس إلا عند ضرورة ، وقد تشربه البهائم؛ وقيل: الشريب العذب؛ وقيل: الماء الشروب الذي يُشرب"[1].

وجاء لفظ الشرب عند الشعراء الصعاليك في مواضع سياقية متنوعة، فتعلق الشرب بالماء حينًا، وبالخمر حينًا، وبالدم حينًا، وعلى سبيل الكناية أحيانًا كثيرة. ثم إن توظيف الشعراء للفعل (شرب) ومشتقاته جاء موافقًا للسياق النصي الذي وردت فيه، سواء من حيث السبك العروضي واختيار الألفاظ المناسبة لإقامة الوزن الشعري، أو من موافقة الاستعمال للدلالة والتأويل.

فمن أبرز مواضع استعمال المصدر الميمي (مشرب) فإنها جاءت متعلقة بالماء الحقيقي فيما نظمه الشاعر الشنفرى وهو يصف خطورة وروده على بعض مواضع الماء الصالح للشرب فقال ما نصه:

وإنَّكِ لو تدرينَ أنْ رُبَّ مَشربٍ　　　مَخُوفٍ كداَءِ البطنِ أو هُوَ أخوَفُ[2]

استعمل الشاعر (مشرب) على وزن (مفعل) وهي نفسها على وزن (موضع)، ودلالة استعمال هذا الاشتقاق اللغوي دون غيره في الإشارة إلى موضع ماء الشرب في البادية، أن الاشتقاق (مشرب) مصدر ميمي مصاغ من الفعل الثلاثي (شرب)، ويصح أن يحمل دلالة على المكان.

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شرب).

2 - **ديوان الشنفرى**، ص 54.

والمشرب الذي يقصده الشاعر هو مورد الماء (الغدير) وقد أسماه مشربًا في دلالة أنه من الغدران أو العيون الصالحة للشرب، ولذلك فإن الحصول على هذا الماء في البيئة الجافة يكون أمرًا عسيرًا لرغبة الكثيرين بالاستحواذ عليه وامتلاكه. وتظل الخشية ملازمة كل من تسول له نفسه بالدنو من موضع ماء الشرب، وكأن هذا الخوف والقلق أشبه بالخوف من داء البطن، الذي كان معروفًا في تلك الفترة بأنه وباء لا شفاء منه، وأن المصاب به لن ينجو ولن يعيش طويلاً فيكون الموت محققًا، وكذلك الأمر لمن يرد غدير الماء فإنه متيقن من موته تيقن مريض داء البطن من ذلك، بل أشد خوفًا منه.

وفي بيتٍ لاحقٍ يستمر هذا القلق عند الشاعر الشنفرى فيظهر خشيته بأن يكون موته لدى مغامرته في وِرْدِ أحد عيون الماء، حيث يقول:

إني لأعلمُ أنَّ حتفيَ في التي   أخشى لدى الشُّربِ القليلِ المُنْزَفِ[1]

ثم إن الشاعر أعاد تأكيد الخطر الذي يحمل موضع الماء الذي أشار إليه بالمصدر (المشرب) في البيت السابق، لكنه استعمل هنا مصدرًا آخر للدلالة عليه (الشرب)، والدلالة التي يحملها هذا المصدر أن الشاعر بيّن في البيت الأول الموضع وخطورته، وأظهر في البيت الثاني خشيته من أن يموت على حافة المشرب من أجل شربة ماء قليلة.

إن إصرار الشاعر وتأكيده على موضع الخطورة في ورود ماء الشرب يدل على ندرة غدران الماء الصالحة للشرب في بيئته، ولعل هذا يشير إلى أن الأعوام كانت وقتئذٍ قاحلة بشكل شديد.

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر السليك بن السلكة استعمل جمع الشرب على (شروب) في قوله:

وقلتُ له خُذْ هجمةَ حِميريَّةً   وأهلاً ولا يبعد عليكَ شروبُ[2]

بينما اكتفى الشنفرى في لاميته باستعمال الفعل (تشرب) لما صور سرعته في العدو والوصول إلى الماء ليشرب منه قبل وصول طيور القطا إليه، وهو في هذه الصورة يقول في توظيف لفظ الشرب بأن هذه الطيور تشرب الماء المكدر بعد أن مر الشاعر عليه وشرب وانصرف عنه:

---

1 - **ديوان الشنفرى**، ص 56.

2 - طلال حرب، **ديوان الشنفرى ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن براق**، ص 81.

وتشربُ آساريَ القطا الكُدْرَ بعدما   سَرَتْ قَرَبًا أحشاؤها تَتَصلصَلُ[1]

فاستعمل الشاعر الفعل المضارع (تشربُ) في توظيف منطقي للفعل في سياق البيت الشعري دون الحاجة إلى التلاعب بالأوزان والإتيان باشتقاقات أخرى لإبراز لغة البيت.

2- **المَـج**: ورد معناها في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (مَجَجَ): "مَجَجَ: مجَّ الشراب والشيء من فِيْهِ يمجُّهُ مجًّا ومَجَّ به: رماه. وخصَّ بعضهم به الماء، ومجَّ بريقه يمجُّهُ: إذا لفظه. وانمجَّت نُقطةٌ من القلم: تَرشَّشت. وشيخٌ ماجٌّ: يمجُّ ريقَهُ ولا يستطيع حبسهُ من كثره. وما بقي في الإناء إلا مجَّةٌ أي: قدر ما يُمَجُّ. والمجاج: ما مجَّهُ من فِيْهِ... والمجاجة: الريق الذي تمجُّه من فيك. ومجاجة الشيء: عصارته. ومجاج الجراد: لُعابه. ومجاج فم الجارية: ريقها. ومجاج العنب: ما سال من عصيره"[2].

الأصل في المجِّ أن يكون للماء، وقد استعمله القتَّال الكلابي بهذا المعنى الصريح في قوله:

وما روضةٌ بالحَزنِ قفرٌ مَجُودةٌ   يمجُّ النَّدى ريحانُها وصبيبُها[3]

يعد الندى من متعلقات الماء لاعتباره جزءًا منه، ولارتباطه في تكوينه بقطرات الماء، كما أن التوظيف لكل من الفعل (مجَّ) و(الندى) جاء متوافقًا مع السياق، حيث إن المج في اللغة يعني صبَّ الماء على دفعات، أو بقدر محدد يكون بقطرات أو بمجَّات قليلة، ولهذا فإن قطرات الندى يوافقها المجُّ دون غيره. فالشاعر يصور كيف أن الندى العالق بأوراق نبات الريحان ينصب عنها وكأن الريحان يمج هذا الندى عن أوراقه.

وتجاوز بعض الشعراء المعنى اللغوي الشائع للمجِّ المقترن بالماء في معظم استعمالاته، ووظفوه في استعمالات دلالية أخرى خاصة بالسوائل من غير الماء، كما فيما نظمه الشاعر الشنفرى فيمادة سائلة مغايرة تمامًا للماء، وهو السم، فقال في ذلك ما نصه:

فطعْنَةُ خِلسٍ مِنكُمُ قد تَركتُها   تَمجُّ على أقطارِها سُمَّ أسودِ[4]

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 45.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (مَجَجَ).

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 31.

4 - **ديوان الشنفرى**، ص 45.

حيث إن من خواص الماء وأساسياته أنه قوام الحياة، والفناء متحقق بوجوده حتمًا، فيجيء السمُّ مغايرًا لدلالة الماء الحقيقية، حيث إنه يؤدي إلى الهلاك، وإن استعمال الشاعر للفعل (مجَّ) في هذه الدلالة المغايرة تمامًا لا يؤثر على دلالة التوظيف، حيث إن كلاً من الماء والسمِّ يتشابهان في وحدة الحالة الفيزيائية بإدراجها ضمن السوائل.

نلاحظ اختيار الشاعر للفعل (مجَّ) دون غيره من الأفعال الدالة على الشرب، ويعود تعليل اختياره إلى أن السم الذي قصده، هو سمُّ الحيَّة السوداء، ومن طبيعة هذا السم أن يكون على شكل قطرات صغيرة، وكميته قليلة، فيوافقه الفعل (مج) في جميع الأحوال.

3- **العَلَل**: ورد معناها في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (عَلَلَ): "علل: العلُّ والعلل: الشربة الثانية، وقيل: الشرب بعد الشرب تباعًا، يقال: علل بعد نهل. وعلَّه يعلُّه ويعلّه إذا سقاه السقية الثانية، وعلَّ بنفسه، يتعدى ولا يتعدى. وعلَّ يعلُّ ويعلُّ علاً وعللاً، وعلَّت الإبل تعلُّ وتعلُّ إذا شربت الشربة الثانية. ابن الأعرابي: علَّ الرجل يعلُّ من المرض، وعلَّ يعلُّ ويعلُّ من علل الشراب. قال ابن بري: وقد يستعمل العلل والنهل في الرضاع كما يستعمل في الورد. الأصمعي: إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل، والثانية العلل. وأعللت الإبل إذا أصدرتها قبل ريِّها، وفي أصحاب الاشتقاق من يقول هو بالغين المعجمة كأنه من العطش، والأول هو المسموع. أبو عبيد عن الأصمعي: أعللت الإبل فهي إبل عالة إذا أصدرتها ولم تروها ؛ قال أبو منصور: هذا تصحيف، والصواب أغللت الإبل بالغين وهي إبل غالة. وروى الأزهري عن نصير الرازي قال: صدرت الإبل غالة وغوال، وقد أغللتها من الغلة والغليل وهو حرارة العطش، وأما أعللت الإبل وعللتها فهما ضدا أغللتها؛ لأن معنى أعللتها وعللتها أن تسقيها الشربة الثانية ثم تصدرها رواء، وإذا علت فقد رويت"[1].

ومن ذلك، قول الشاعر عبدة بن الطبيب:

حتى إذا مضَّ طعنًا في جواشِنِها وروقُهُ من دَمِ الأجوافِ مَعلُولُ[2]

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عَلَلَ).

2 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 69. المعلول: الذي سقى الدم مرة بعد مرة، ومأخوذة من العلل وهي الشربة الثانية.

(مـض): أوجـع وأحـرق يقـال: أجـدُ مضًـا ومضضًـا أي؛ حرقـة. و(الجواشـن) الصـدور: الواحـد جوشـن، ويقـال لـه: جؤشـوش، والجمـع: الجآشـيش. و(المعلـول) الـذي سـقي الـدم مـرة بعـد مـرة، أخـذ مـن العلـل، وهـي الشـربة الثانية من الدم، وإنما قال: (دم الأجواف) لأن الثور تعمَّد مقاتلة الكلاب.

وفـي البيـت يصـف الشـاعر قـرن الثـور بأنـه متلـون بلـون الـدم لكثـرة مـا اختـرق صـدور وبطـون المعتـدين عليـه، واختـار الشـاعر لفـظ (معلـول) دون سـواها لتحقيق دلالتين اثنتين:

الدلالة الأولى: موافقة القافية اللامية في القصيدة.

الدلالـة الثانيـة: العـل يكـون بالشـرب مـرة بعـد مـرة، وهـو يوافـق دلالـة التأويـل فـي أن الثـور كـان يقاتـل مـرة بعـد مـرة، وفـي كـل منهـا يسـقي قرنـه مـن دم الأجواف من المعتدين عليه.

وقول الشاعر تأبَّط شرًّا:

كمشية الأرخ تريد العلة[1]

"الأرخ: الأنثـى مـن البقـر، وهـي البكـرُ التـي لـم يَنْـزُ عليهـا الثيـران. والعلـةُ: بمعنـى الشـربة الثانيـة مـن قـولهم (علَّ) أي؛ شـرب ثانيـة علـى غيـر ظمـأ. وعلـى هـذا يكـون المعنـى: أنهـا تمشـي مشـية الأرخ المتبختـرة قاصـدة المـاء لتشـرب ثانيـة، وخـصَّ بالـذكر الشـربة الثانيـة لأنهـا أبطـأ لـلأرخ فـي مشـيتها وأهـدأ لهـا فهي ليس على ظمأ يعجل بها في سيرها نحو الماء"[2].

ومـن خـلال مـا بيّنـه الشـارح نلاحـظ أن الشـاعر وفّـق فـي اسـتعمال (العلـة) دون سـواها مـن المفـردات الدالـة علـى معنـى الشـرب، وحقـق بـذلك الدلالة التي يريدها في وصف التبختر في المشي بهدوء ورفق.

ومن ذلك، ما نظمه تابَّط شرًّا في قصيدة أخرى:

يُنْهِلُ الصعدةَ حتى إذا ما نَهِلَتْ كانَ لها منهُ عَلُّ[3]

"وقولـه ينهـل الصـعدة يريـد الإبانـة عـن الحـال التـي أشـار إليهـا مـن دوام الحـرب، وبسـط القتـل، فيقـول: يـروي الـرمح مـن دمـائهم بالسـقية الأولـى، فـإذا

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 200.

2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 200. الحاشية من كلام شارح الديوان.

3 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 250.

ما رويت لم يرضه ذلك حتى يعقبه بمثله من السقية الثانية. والمعنى اتصال الوقعات، وامتداد البلاء منه في صب الغارات. والصعدة: القناة تنبت مستويةً، وجمعها صعداتٌ بفتح العين"[1].

اتكأ الشاعر على المعنى اللغوي للمفردة (علّ) والتي تعني الشربة الثانية، فهو كلما انتهى من سقى رمحه من دمائهم مرة أولى، عاد ليسقيها مرة ثانية، فجاء اختيار (العل) موافقًا للسياق والتأويل.

ومن ذلك، ما نظمه الشاعر الشنفرى بقوله:

تراها كأذناب الحسيل صوادرًا وقد نهلت من الدماء وعلّت[2]

"الحسيل: جمع حسيلة، وهي أولاد البقر، وقد شبه الشاعر السيوف بأذناب الحسيل إذ رأت أمَّاتها فأخذت تحرِّك أذنابها. ونهل: شرب أوَّل الشرب. وعلَّ: شرب بعد الشرب الأول ثانيةً أو تباعًا"[3].

من خلال الأبيات السابقة نلاحظ عناية الشعراء باختيار مفرداتهم بدقة لتناسب فكرة الأبيات وتعبر عن المعنى ببلاغة واضحة لا إبهام أو لبس فيها، فيختارون الألفاظ وفق الدلالة المحددة التي تشير إليها، ومن ذلك، في المثال الأخير اختيار الشاعر الشنفرى لمفردة النهل أي؛ الشربة الأولى، ثم العلل أي؛ الشربة الثانية، وهو ترتيب موافق للدلالة ومنسجم مع المعنى.

4- **الغَبُوق**: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (غَبَقَ) ما نصه: "غبق: الغبق والتغبق والاغتباق: شرب العشي. والغبوق: الشرب بالعشي. رجل غبقان وامرأة غبقى كلاهما على غير الفعل؛ لأن افتعل وتفعل لا يبنى منهما فعلان. والغبوق: ما اغتبق، وخص بعضهم به اللبن المشروب في ذلك الوقت، وقيل: هو ما أمسى عند القوم من شرابهم فشربوه، وجمعه غبائق على غير قياس. وغبق الإبل والغنم: سقاها أو حلبها بالعشي، واسم ما يحلب منها الغبوق، والغبوق: ما اغتبق حارًّا من اللبن بالعشي. ويقال: هذه الناقة غبوقي وغبوقتي أي؛ أغتبق لبنها، وجمعها الغبائق، وكذلك صبوحي وصبوحتي، ويقال: هي قيلته وهي الناقة التي يحتلبها عند مقيله. وقال بعض العرب لصاحبه: إن كنت كاذبًا فشربت غبوقًا باردًا أي؛ لا كان لك لبن حتى

---

1 - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص 593.

2 - **ديوان الشنفرى**، ص 36-37.

3 - **ديوان الشنفرى**، ص 36- 37. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

تشـرب المــاء القــراح، فسـماه غبوقـًا علــى المثــل، أو أراد قــام لــك ذلــك مقــام الغبــوق. ولقيتــه ذا غبــوق وذا صــبوح أي؛ بالغــداة والعشــي، لا يســتعملان إلا ظرفًا"[1].

ومن ذلك، قول الشاعر أبي الخراش الهذلي:

وإني لأثوي الجُوعَ حتى يَمَلَّني فيذهبَ لم يَدنَس ثيابي ولا جرمي

وأغتبقُ الماءَ القَرَاحَ فأنتهي إذا الزادُ أمسى للمزلَّج ذا طعم[2]

إن السـياق الـذي ورد فيـه الفعـل (أغتبـق) سـياق فخـر، حيـث إن الشــاعر يبـيّن اعتـزازه بنفسـه عـن الطلـب وإن كـان محتاجًـا، فهـو يصـبر علـى الجـوع حتـى يمـل هـذا الجـوع مـن الشــاعر ويـذهب عنــه، وفــي آخــر الليــل يغتبــق المــاء القـراح، وهـو المـاء الـزلال الصـافي الصـالح للشـرب، وينتهـي بـه فيكتفـي عـن أي طعام.

وظـف الشـاعر الفعـل (أغتبـق) فـي السـياق بمـا يوافـق المعنـى والتأويـل، حيـث إنــه بــيّن صــبره علــى الجــوع وذلــك يكــون طــوال النهــار ومعظــم الليــل، ثــم أوضـح أنـه يشـرب المـاء فـي آخـر الليـل قبـل أن ينـام، فحـدد الوقـت بدقـة مـن خلال الفعل (أغتبق) بما يحمله من دلالة لغوية في المعجم.

5- **الغَبُّ**: ورد فـي لسـان العـرب تحـت الجـذر اللغـوي (غَبَـبَ) مـا نصُّـهُ: "والغـبُّ: وِرْدُ يــوم، وظــمء آخــر؛ وقيــل: هــو ليــوم وليلتــين؛ وقيــل: هــو أن ترعــى يومًــا وتــردَ مــن الغــد. ومــن كلامهــم: لأضــربنك غــب الحمــار وظــاهرة الفــرس؛ فغــب الحمــار: أن يرعــى يومًــا ويشــرب يومًــا وظــاهرة الفــرس: أن تشــرب كــل يــوم نصــف النهــار. وغبــت الماشــية تغــب غبًّــا وغبوبًــا: شــربت غبًّــا؛ وأغبهــا صــاحبها؛ وإبــل بنــي فــلان غابــة وغــواب. الأصــمعي: الغــبُّ إذا شــربت الإبــل، يومًــا وغبَّــت يومًــا؛ يقــال: شــربت غبًّــا؛ وكــذلك الغــبُّ مــن الحمــى. ويقــال: بنــو فــلان مغبــون إذا كانــت إبلهــم تــرد الغــب؛ وبعيــر غــاب؛ وإبــل غــواب إذا كانــت تــرد الغــب. وغبــت الإبــل، بغيــر ألــف تغــب، غبــا إذا شــربت غبًّــا؛ ويقــال للإبــل بعــد العشــر: هــي ترعــى عشــرًا وغبًّــا وعشــرًا وربعًــا، ثــم كــذلك إلــى العشــرين. والغــب مــن ورد المــاء: فهــو أن تشــرب يومًــا، ويومًــا لا. وأغبــت الإبــل: مــن غــبَّ الورد"[3].

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَبَقَ).

2 - **ديوان الهذليين**، القسم الثاني، ص 127.

3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَبَبَ).

ومن ذلك، قول القتَّال الكلابي مفتخرًا ببدويته:

تعلو النِّجادَ بِمَضْرَحِيٍّ لَمْ يَذُقْ لبَأَ الإمَاءِ غَدَاةَ غِبِّ المَولِدِ[1]

أوضح شارح ديوان القتال الكلابي أن المضرحيَّ من أسماء النسر، وربما سُمِّي الرجل الكريم مضرحيًّا. والمضرحيُّ هو جَدُّ الشاعر القتَّال الكلابي، حيث ذكر هذا النسب في مواضع عديدة من قصائده. ويظهر أن الشاعر يفتخر بأنه لم يذق لبأ الإماء من قبل، وهي إشارة إلى عداوته للإماء، ولعلها تعد إشارة إلى رفضه أسلوب الرضاعة الذي كان في ذلك الوقت، خصوصًا إذا كانت أم الطفل حية ترزق.

ولعل الشاعر هنا يعود بنفسه إلى الطفولة فيفضل أن يرضع يومًا ويصوم آخر على أن يرضع من إحدى الإماء، ولعل في كلامه إشارة إلى سنة قحط وجفاف أيام مولده، فجف الضرع واستعصت الرضاعة المستمرة، فكان الغب هو الحل في ذلك، وهو تأويل لعله يحتاج إلى توضيح خصوصًا مع حاجة الطفل إلى الطعام باستمرار فلا قدرة لديه على الصيام، وأظن أن أطعمة أخرى كانت تغني عن الرضاعة إن لم توجد.

6- **الحَسو**: جاء في لسان العرب ما نصُّهُ: "حسا: حسا الطائر الماء يحسو حسوًا: وهو كالشرب للإنسان، والحسو الفعل، ولا يقال للطائر شرب، وحسا الشيء حسوًا وتحساه. قال سيبويه: التحسي عمل في مهلة. واحتساه: كتحساه. وقد يكون الاحتساء في النوم وتقصي سير الإبل، يقال: احتسى سير الفرس والجمل والناقة. وجمع الحسوة حسى، وحسوت المرق حسوًا. ورجل حسو: كثير التحسي. ويوم كحسو الطير، أي؛ قصير. والعرب تقول: نمت نومة كحسو الطير إذا نام نومًا قليلاً. والحسو على فعول: طعام معروف، وكذلك الحساء، بالفتح والمد، تقول: شربت حساءً وحسوًا. ابن السكَّيت: حسوت شربت حسوًا وحساءً، وشربت مشوًا ومشاءً، وأحسيته المرق فحساه واحتساه بمعنى، وتحساه في مهلة... وفي الإناء حُسوة، بالضم، أي؛ قدر ما يُحسى مرَّةً"[2].

ومن ذلك، قول تأبط شرًّا:

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 42.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حسا).

فاحتسوا أنفاسَ نومٍ فلَمَّا   ثمِلوا رُعتُهُم فاشمَعَلُّوا[1]

"احتسى الشَّرَاب: تنَاوله شَيْئًا شَيْئًا. والأنفاس الجرع: وهوم الرجل إذا هز رَأسه من النعاس. واشمعلوا: أَسْرعُوا فِي السّير. ورعتهم: أفزعتهم، وَهُوَ جَوَاب لما. وَالمعْنَى: كَانُوا فِي النعاس فَلَمَّا أفزعتهم جدوا فِي السّير"[2].

وظف الشاعر الفعل (حسا) في سياق الكناية لغير ما ورد فيه حقيقة، حيث إن الحسو يكون للماء وما أشبهه من السوائل، بيد أن الشاعر استعمله في غير معناه الأصيل وجعله مقترنًا بأنفاس النوم، وهي صورة شعرية جميلة تعبر عن حالتي الزفير والشهيق بهدوء عند النائم وكأنه يحسو أنفاس الهواء حسوًا.

وقول أمير الصعاليك عروة بن الورد في بيته المشهور:

أقسِّمُ جِسمي في جُسومٍ كثيرةٍ   وأحسُو قراحَ الماءِ والماءُ بَارِدُ[3]

جاء في شرح ديوان الحماسة في التعليق على هذا البيت ما نصه: "وقوله أقسِّم: أراد قوت جسمي وطعمته، لأني أوثر به الغير على نفسي وأجتزىء بحسو الماء القراح، وهو البحت الذي لا يخالطه شيء من اللبن وغيره، والماء بارد، أي؛ والشتاء شاتٍ والبرد متناهٍ. وقال بعضهم: المهزول يجدُ برد الماء أكثر مما يجده السمين"[4].

نلاحظ أن الشاعر استعمل لفظ (الحسو) وفق معناه الحقيقي المقترن بالماء على غير ما استعمله الشاعر تأبَّط شرًّا في البيت السابق، وقد وفق الشاعر في توظيف (الحسو) في سياق البيت ومعناه، حيث إن الماء البارد لا يمكن شربه دفعة واحدة، إنما يكون حسوًا على مهل، ولو استعمل الشاعر أي لفظ من الألفاظ الدالة على الشرب مكان (أحسو) لما وافق المعنى وحقق البلاغة.

7- **النَّهَل**: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (نَهَلَ) ما نصُّهُ: "نهل: النهل: أول الشرب، تقول: أنهلت الإبل وهو أوَّل سقيها، ونهلت هي إذا شربت في أول الورد، نهلت الإبل نهلاً وإبل نواهل ونهال ونهل ونهول

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 249.

2 - يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، **شرح ديوان الحماسة**، د. ط، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 345.

3 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 61.

4 - أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، **شرح ديوان الحماسة**، ص 1158.

ونهلة ونهلى. يقال: إبل نهلى وعلّى للتي تشرب النهل والعلل. وقال ثعلب: المنهل الموضع الذي فيه المشرب. والمنهل: الشرب. قال أبو مالك: المنازل والمناهل واحد، وهي المنازل على الماء. وأنهل القوم: نهلت إبلهم. قال خالد بن جنبة الغنوي وغيره: والمنهل من المياه: كل ما يطؤه الطريق، وما كان على غير الطريق لا يدعى منهلاً. والنهل: الشرب الأول. وقد نهل، بالكسر، وأنهلته أنا لأن الإبل تسقى في أول الورد فترد إلى العطن، ثم تسقى الثانية وهي العلل فترد إلى المرعى. قال الأصمعي: إذا أورد إبله الماء فالسقية الأولى النهل، والثانية العلل"[1].

وقد ربط بعض الشعراء النهل بالدماء، في إشارة إلى شدة القتل وضراوته، كما في قول الشنفرى:

تراها كأذناب المطيِّ صوادرًا وقد نهلتْ منه الدماء وعلّت[2]

جاء في تعليق شارح الديوان على معنى النهل ما نصه: "ونهل: شرب أوَّل الشرب"[3]، وفي هذا الموضع نلاحظ أن الشاعر استعمل (النهل) مع الدماء وليس مع الماء، فخرج من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ويبقى هذا الاستعمال مقبولاً حيث إن الدماء تشترك مع الماء في الخاصية الفيزيائية التكوينية السائلة لكليهما.

وفي قول تأبَّط شرًّا موظفًا (النهل) مع الدماء ما نصه:

يُنْهِلُ الصَّعدةَ حتَّى إذا ما نَهِلَتْ كانَ لها منهُ عَلُّ[4]

بيّن شارح ديوان تأبط شرًّا معنى البيت بما نصه: "يقول: يروي الرمح من دمائهم بالسقية الأولى، فإذا ما رويت لم يرضه ذلك حتى يعقبه بمثله من السقية الثانية"[5]. والمعنى استمرار المعارك والمواجهات الحربية.

وأشار بعضهم إلى منهل الماء حقيقةً، وهو المكان الذي يجتمع فيه الماء مثل: الحوض وما إلى ذلك، كما في قول عروة بن الورد:

إذا ما هبطنا مَنهَلاً في مَخوفةٍ بَعثنا رَبيئًا في المَرابئ كالجذلِ[1]

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نَهَلَ).

2 - **ديوان الشنفرى**، ص 98.

3 - **ديوان الشنفرى**، ص 36-37. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 250.

5 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 250. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

وكنا قد أشرنا من قبل إلى أن ندرة مواضع الماء الصالح للشرب في البادية تجعل من هذه المواضع مكانًا خطرًا على كل من يرتاده لكثرة الطامعين به، وقد أشار الشاعر الشنفرى إلى هذا المعنى في موضعين ذكرناهما من قبل.

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أن (المنهل) جاء في سياقات متنوعة بين الإيجابية والسلبية ضمن إشارات وقرائن تأويلية تدل على ذلك، فلما اقترن النهل بالدماء كان سلبيًّا في جانبٍ خاص بطبيعة الدم، وإيجابيًّا في سياق آخر خاص بالفخر في الانتصار في المعارك والنهل من دماء الأعداء.

ومن أبرز مواضع التوظيف الإيجابي للنهل ما جاء في سياق مقترن بالسقاية الخاصة بحجاج بيت الله، كما في قول قيس بن الحدادية:

وأتبعتُ بين المشعرين سقايةً   لحُجَّاج بيت الله أكرم منهلِ[2]

وفي التوظيف الإيجابي ما ورد في سياق الغزل كما في قول القتَّال الكلابي:

كأنَّ الشِّفاهَ الحُوَّ مِنهنّ حُمِّلَتْ   ذُرَى بَرَدٍ يَنْهَلُّ عَنها غُرُوبُهَا[3]

والشفة الحواء: هي الشفة السمراء. والذرا: ما نفضته الريح من بَرَد. والغَروب: هو الماء الذي يجري على الأسنان، أي؛ أنه من أسماء الريق. ومعنى البيت: خلف شفتيها أسنان بيض كالبَرد الذي يسقط من السحاب الداكن (إشارة إلى الشفاه السمراء). ينهل: ينهمر (يسقط بكثرة و سرعة). الغروب جمع غرب: نقط ماء تسقط من الدلو وهو ينقل من البئر إلى الحوض. فالشاعر يريد أن يقول: إن ريقها جارٍ، حيث إن جريان الريق من علامات الحُسن، لأن الفم إذا جفَّ كانت له رائحة كريهة.

ومن ذلك، ما قاله الشاعر عبدة بن الطبيب في توظيف الصفة الإيجابية للماء في المنهل العذب، والانتفاع بالسقاية منه وسد الظمأ:

أوردتُهُ القومَ قد رَانَ النُّعاسُ بهمْ   فقلتُ إذْ نَهِلُوا مِن جمِّهِ: قِيلُوا[4]

بيد أن المنهل لم يكن إيجابي الحضور في قصائد الشعراء الصعاليك دائمًا، حيث يقول الشاعر عبدة بن الطبيب:

---

1 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 90.

2 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 215.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 30.

4 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 72.

ومنهلٍ آجنٍ في جمِّه بَعَرٌ   مما تسوقُ إليه الريحُ مَجلولُ[1]

فقد وصف المنهل بأنه آجن كدر، وهي صفة سلبية مباشرة في السياق.

8- **السِّقايَة**: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (سقي) ما نصُّهُ: "السقي: معروف والاسم السقيا، بالضم، وسقاه الله الغيث أسقاه. ويقال: سقيته لشفته، وأسقيته لماشيته، وأرضه، والاسم السقي، بالكسر، والجمع الأسقية. ابن سيده: سقاه سقيًا وسقاه وأسقاه، وقيل: سقاه بالشفة وأسقاه: دله على موضع الماء، سيبويه: سقاه أسقاه جعل له ماء أو سقيًا فسقاه ككساه، وأسقى كألبس. أبو الحسن يذهب إلى التسوية بين فعلت وأفعلت، وأن أفعلت غير منقولة من فعلت لضرب من المعاني كنقل أدخلت. والسقي: مصدر سقيت سقيًا، وفي الدعاء سقيًا له ورعيًا. وسقاه ورعاه: قال له: سقيًا ورعيًا. وسقيت فلانا وأسقيته إذا قلت له سقاك الله. والسقي: ما أسقاه إياه. والسقي: الحظ من الشرب. يقال: كم سقي أرضك أي؛ كم حظها من الشرب. وقال الليث: الإسقاء من قولك أسقيت فلانًا نهرًا أو ماءً إذا جعلت له سقيًا"[2].

واستعمل بعض الشعراء الصعاليك (السقيا) ضمن الجملة الشعرية المركبة (سقى الله) التي تفيد الدعاء بحسب موضعها في السياق.

ومن الأمثلة على معنى الإمداد بالخير والدعاء بالحفظ ما نظمه الشاعر القتَّال الكلابي بما نصه:

سقى الله حيًّا من فزارة دارهم   بسبّى كرامًا حيث أمسوا وأصبحوا[3]

إن الدلالة التي تحملها السقيا في هذا البيت تفيد الدعاء بالخير والرعاية والحفظ لحي بني فزارة ممدوحي الشاعر، ومن ذلك، ما نظمه أمير الشعراء الصعاليك عروة بن الورد في قوله:

سقى سَلمَى وأينَ دِيارُ سَلمَى   إذا حلّتْ مجاورةَ السَّرير[4]

وهي صيغة دعاء مقدَّرة على حذف لفظ الجلالة، وسياقها الحفظ لسلمى وديارها، ويذهب التأويل في اتجاهين اثنين:

---

1 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 72.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سقي).

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 39. سبى: غدير ماء لبني سليم.

4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 63.

الأول: أن الشاعر يستذكر زمن سلمى ويحن إليه، على تقدير سقى الله أيام أو زمان سلمى.

الثاني: على حذف (ديار) في قوله سقى ديارَ سلمى، لأنه يسأل بعدها بقوله: (وأين ديار سلمى)، فكان السياق اللاحق كافيًا للإشارة إلى السياق السابق القريب منه ومغنيًا عن ذكره.

أما الدلالة الأخرى التي تفيدها السقاية بماء المطر ونزول الغيث فقد جاءت في مواضع شعرية كثيرة لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، ومن ذلك، قول الشاعر القتَّال الكلابي:

سقى اللهُ ما بين الرجامِ وغَمرةٍ   وبئر دُريَّات بهنَّ جَنين[1]

وفي رواية أخرى للبيت نفسه:

سقى الله ما بين الشطون وغمرة   وبئر دريرات وهضب دثين[2]

وما نظمه الشاعر قيس بن الحدادية:

سقى الله أطلالاً بنعم ترادفت   بهنَّ النوى حتى حللنَ المطاليا[3]

استعمل الشاعران الجملة الشعرية (سقى الله) في مطلع الأبيات، كما أنها هذه الجملة الشعرية وردت في عجز البيت لا صدره في مواضع أخرى، كما في قول القتَّال الكلابي:

يا دارُ بينَ كُليَّاتٍ وأظفَارِ   والحمَّتينِ سَقَاكِ اللهُ مِنْ دَارِ[4]

وورد عند القتَّال الكلابي مستعملاً الصيغة نفسها بسياق مختلف:

أعالي أعلى اللهُ جدَّك عاليًا   وأسقى بريّاك العضاةَ البواليا[5]

وفي هذا البيت يطلب الشاعر السقيا من الله سبحانه وتعالى، لكنها ليست سقيا ماء أو دعاء بالحفظ والصون، كما سبق وقلنا، إنما هي خاصة بصفات الممدوح، حيث يدعو الشاعر الله ليسقي بغيث الممدوح كل مواضع القحط

1 - **ديوان القتَّال الكلابي،** ص 91.
2 - **ديوان القتَّال الكلابي،** ص 92. الشطون: اسم ماء لبني أبي بكر بن كلاب.
3 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية،** ص 217.
4 - **ديوان القتَّال الكلابي،** ص 104.
5 - **ديوان القتَّال الكلابي،** ص 94.

فـي الـبلاد، والريّـا المقصـودة فـي هـذا البيـت، هـي كـرم الممـدوح وخصـاله الحميدة.

وجاءت السقاية في إشارة إلى الخمرة كما في قول الشاعر تأبَّط شرًّا:

حَلَّت الخمرُ، وكانت حرامًا وبلأيٍ ما ألمَّت تحلُّ

فاسقنيها يا سَوادَ بنَ عَمرٍو إنَّ جسمي بعدَ خالي لَخَلٌّ[1]

وما نظمه الشاعر عروة بن الورد وقد أسمى الخمر بالنسء:

سقوني النسء ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور[2]

وتسـمى الخمـرة بـالنسء لأنهـا تُنسـي، فيقـول الشـاعر: اسـقوني هـذه الخمـرة علّي أنسى بها الحب الذي كنتُ أجده.

وقـد يشـير الشـعراء إلـى السـاقي أو المستسـقي دون التصـريح بـه، ويكتفـون بذكر شيءٍ من صفاته أو لوازمه الدالة عليه، كما في قول القتَّال الكلابي:

بكيتُ بخلصى شنةً شدَّ فوقها على عجلٍ مُستخلفٌ لم تبللِ[3]

والمُسـتخلف هـو المستسـقي، والمعنـى أنـه عنـد موضـع (خلصـى) بكـى فانحدرت دموعه كأنها الماء يسيل من قِربة ربطها المستسقي على عجل فلم يحكم ربطها.

واسـتعمل بعـض الشـعراء السـقاية التـي تخـتص بالشـعائر الدينيـة مـن سـقاية الحُجَّـاج، وهـي مهمـة تولتهـا قـريش لضـيوف بيـت الله، فسـرت هـذه السـقاية مثلاً بين الشعراء، ومن توظيف هذه السقاية قول الشاعر قيس بن الحدادية:

وأتبعتُ بين المشعرينَ سِقايةً لحُجَّاج بيتِ اللهِ أكرمِ منهلِ[4]

وذكـر بعـض الشـعراء الصـعاليك السـقاية فـي إشـارة إلـى التـرف والشـبع، حيـث يقول الشاعر القتَّال الكلابي في وصف ابن بشر:

يسقّى ابنُ بشرٍ ثمَّ يمسحُ بَطنَهُ وحولي رجالٌ ما يسوغُ شرابها[1]

---

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 250.

2 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 63.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 74.

4 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 215.

أي؛ إن ابن بشر هذا يجد الطعام والشراب وافرًا حوله، فيشرب ويأكل ثم يمسح بطنه براحة كفِّهِ دلالة على الشبع والتخمة، بينما لا يسيغ الرجال المحيطون بالشاعر شرابهم فلا يجدون اللذة في طعام أو شراب.

وأشار بعض الشعراء الصعاليك إلى التمنع عن السقاية ومنهم قيس بن الحدادية في ذلك:

فأقسمن لا يسقينني قطر مزنةٍ   لشيي ولو سالت بهنَّ الأباطح[2]

واستعمل بعض الشعراء السقاية في سياق الكناية، كأن يسقي الموت لأعدائه، وذلك في قول الشاعر قيس بن الحدادية:

وأصبحت بعد الأنس لابسَ جُبَّةٍ   أساقي الكُماة الدراعين العواليا[3]

ومن ذلك، قوله :

غداة سقينا أرضهم من دمائهم   وأبْنَا بأَدمٍ كُنَّ بالأمس وُضَّحا[4]

مستذكرًا شجاعة قومه في الحروب والمعارك وكيف أنهم كانوا يسقون الأرض من دماء أعدائهم في كل لقاء بينهم.

ومن خلال الأمثلة التي وقفت عليها فيما يتعلق بلفظ (سقى) والمشتقات اللفظية الدالة على السقاية، وجدنا أن السقاية جاءت في جانبين: الأول سلبي والثاني إيجابي، كما أن الشعراء قرنوها بالماء تارةً، والدم أخرى، وبالريق أخرى، كما بيَّنا توظيف الشعراء لجملة (سقى الله) في أكثر من موضع في قصائدهم، إما في مطلع البيت أو في عجزه، وأفادت دلالتين اثنتين؛ الأولى دلالة الدعاء باستنزال المطر والغيث من السماء، والثانية دعاء بالحفظ والصون والرعاية.

9- **البَلَل**: ورد في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (بلل) ما نصُّهُ: "البلل: الندى. ابن سيده: البلل والبلة الندوة. والبلال: كالبلة، وبله بالماء وغيره يبله بلاً وبلةً وبلله فابتلَّ وتبللَ. ويقال: ما في سقائك بلال، أي؛ ماء. وكل ما يبل به الحلق من الماء واللبن بلال، ومنه قولهم: انضحوا الرحم ببلالها، أي؛

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 33.

2 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 206.

3 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 217.

4 - حاتم صالح الضامن، **شعر قيس بن الحدادية**، ص 207.

صلوها بصلتها وندوها. والبلُّ: مصدر بللت الشيء أبله بلاً. الجوهري: بله يبله أي؛ نداه وبلله، شدد للمبالغة فابتلَّ. والبلال: الماء. والبلالة: البلل. والبلال: جمع بلة، وهو جمع نادر. واسقه على بلته أي؛ ابتلاله. وبلة الشباب وبلته: طراؤه، والفتح أعلى"[1].

وجاء البلل ضمن سياق الإيجابية حينًا والسلبية حينًا آخر، فمن الإيجابية ما نظمه الشاعر عبدة بن الطبيب في قوله:

أوردتهُ القوم قد رانَ النعاسُ بهم　　فقلتُ إذ نهلوا من جمِّهِ: قِيلوا
حدّ الظهيرةِ حتَّى ترحلوا أُصُلاً　　إنِّ السِّقاءَ لهُ رمٌّ وتبليلُ[2]

وفي معنى البيت جاء: "حدّ الظهيرة: شدة حرها وصعوبته، فأراد الشاعر لصحبه القيلولة في مثل هذا الوقت. أصلاً: أي؛ عشيًّا بعد غياب الشمس. الرم: الإصلاح. تبليل: من بلله بالماء"[3]. وطلب الشاعر من أصحابه أن يقيلوا بعد أن استسقوا من المنهل العذب، خصوصًا أن شدة الحر تمنعهم من المسير، وأوصاهم بالقيلولة لما فيها من فائدة تطرد الحر عنهم فينعمون بالماء الذي بلل قرابهم.

وفي سياق السلبية ما نظمه الشاعر حاجز بن عوف الأزدي بما نصه:

ومعتركٍ كأنَّ القومَ فيهم　　تبلُّ جُلودَ أوجههمْ جَحيمُ[4]

قرن الشاعر البلل بالجحيم في الشطر الثاني من البيت، وهو توظيف سلبي للبلل في هذا السياق، حيث إن البلل يختص بالسوائل المتصفة بالإيجابية لعلاقتها بالماء الذي هو أهم عنصر في الحياة. لكن الشاعر خرج إلى المجاز واستعار البلل للدلالة على حمم النار التي تسيل كأنها الماء، ووصف بللها على وجوه القوم.

ومن السلبية انتفاء البلل، كما يقول الشاعر القتَّال الكلابي:

بكيت بخلصى شنة شدَّ فوقها　　على عَجلٍ مُستخلفٌ لم تبللِ[1]

---

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (بلل).

2 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 73.

3 - **المفضليات**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام محمد هارون، ط6، من منشورات ديوان العرب: مجموعات من عيون الشعر (1)، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 141.

4 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 187.

وفي السياق السلبي ما نظمه الشاعر تأبَّط شرًّا في من لامته على الحرب وهي لا تعلم ما يدور فيها من خطر وقتل، فقال:

لامتْ ولو شهدتْ لكانَ نكيرُها ماءٌ يبلُّ مشافِرَ القبقابِ[2]

أي؛ إنها لامته دون أن ترى ما يحصل في أرض المعركة من قتل وذبح، ولو أنها رأت ذلك فإنها ستبول على نفسها من رهبة المشهد.

ومن الدلالات السلبية أن يستعمل الشاعر البلل للعرق الجسدي كناية عن التعب والإجهاد، كما في قول الشاعر القتَّال الكلابي:

بها ظعنةٌ مِن ناسكٍ مُتعبدٍ يمورُ على مَتنِ الحَنيف بلالها[3]

حيث إنه يعني بالبلال العرق، والمعنى: "أنها رحلة مجهدة حتى أصبح العرق من شدتها يمور على ظهر ذلك الرجل الناسك"[4].

ومن خلال ما وقفت عليه من أمثلة في لفظ (البلل)، وجدت أن الدلالات السلبية طغت على الدلالات الإيجابية على الرغم من أن الأصل في البلل أن يكون إيجابيًّا لأنه صفة متعلقة بالماء والندى، إلا أن الشعراء اعتمدوا الانزياح عن الدلالة الأصلية إلى الدلالة الثانوية واعتمدوا عليه في تجويد قصائدهم.

10- **الغَسُول**: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (غَسَلَ) ما نصُّهُ: "غسل الشيء يغسله غَسلاً وغُسلاً، وقيل: الغسل المصدر من غسلت، والغسل -بالضم- الاسم من الاغتسال، يقال: غسل وغسل. والغسل: تمام غسل الجسد كله، وشيء مغسول وغسيل، والجمع غسلى وغسلاء، كما قالوا قتلى وقتلاء، والأنثى بغير هاء، والجمع غسالى. والغسول: الماء الذي يغتسل به وكذلك المغتسل. والغسول: كل شيء غسلت به رأسًا أو ثوبًا أو نحوه. والمغسل: ما غسل فيه الشيء. وغسالة الثوب: ما خرج منه بالغسل. وغسالة كل شيء: ماؤه الذي يغسل به. والغسالة: ما غسلت به الشيء"[5].

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 74. المستخلف: المستسقي، والمعنى أنه عند خلصى بكى فانحدرت دموعه كأنها الماء يسيل من قربة ربطها المستسقي على عجل فلم يحكم ربطها.

2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 237.

3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 80.

4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 80. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غَسَلَ).

ومن ذلك،، قول الشاعر عبدة بن الطبيب:

كأنَّ قرحَتُهُ إذ قامَ مُعتدِلاً   شَيبٌ يلوِّحُ بالحِنَّاء مَغسُولُ[1]

وظف الشاعر لفظ الغسول في حقله الدلالي الحقيقي الذي يعني به استعمال الماء في غسل الأشياء وتنظيفها، ولم يستعمله في سبيل الكناية في المستوى البسيط للمفردة، إنما جاء على سبيل الكناية في مستوى الشطر؛ إذ إن التشبيه بين الشطرين هو تشبيه تمثيلي.

11- **النَّضح**: جاء في كتاب (اللب اللباب) ما نصُّه: "النَّضَحُ: الرَّشُّ، من نضح عليه الماء ينضحه نضحاً إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش، والنضح والنضخ لغتان بمعنى واحد وكله الرَّشُّ"[2]. و"النضح: حوضٌ يتَّخذ لماء السماء وهو النضح. والنضحات: الشيء اليسير المتفرق من المطر، والناضح: المطر؛ وقد نضحتنا السماء ونضح أقل من الطلِّ وهو قطرٌ بين قطرين، وذكر أنه كل شيء يتحلب من ماء أو عرف أو بول ينضح"[3]. وعرفه الثعالبي بما نصُّهُ: "النضحُ: الحوض يقرب من البئر حتى يكون الإفراغ فيه من الدلو"[4].

وفي لسان العرب: "النضح: الرش، نضح عليه الماء ينضحه نضحًا إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاش، ونضح عليه الماء: ارتش. قال ابن الأعرابي: سمي بذلك؛ لأنه ينضح عطش الإبل أي؛ يبله، قال أبو عبيد وقال أبو عمرو: نضحت الري بالضاد؛ وقال الأصمعي: فإن شرب حتى يروى قال نصحت، بالصاد، نصحا ونصعت به ونقعت، قال: والنضح والنشح واحد، وهو أن يشرب دون الري، والنضح: سقي الزرع وغيره بالسانية، ونضح زرعه: سقاه بالدلو، والناضح: البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، والأنثى بالهاء ناضحة وسانية"[5].

واستعمال النضح في الألفاظ الدالة على المعجم المائي لم يكن بغزارة استعمال الألفاظ الأخرى من المعجم نفسه، فمن المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ قول الشاعر عبدة بن الطبيب:

---

1 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 77.

2 - محمد رضا الغراوي، **اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتّاب**، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1968م، ص 40.

3 - صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، **مجلة أهل البيت**، العدد (7)، لا تا، ص 209.

4 - أبو منصور الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 308.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نضح).

يحملن أَتْرُجَّةً نَضْحُ العبيرِ بها   كأنَّ تطيابها في الأنف مشموم[1]

يمكن إدراج هذا البيت ضمن الدلالة الإيجابية لما يحمله البيت من مفردات ذات حضور مبهج يعبر عن الرائحة الزكية، وقد علّق شارح ديوان عبدة ابن الطبيب على هذا البيت بما نصه: "جعل أسامة بن منقذ هذا البيت من بارد الشعر، وقال عنه: لأن الشمّ لا يكون بالعين وإنما هو بالأنف والتطياب من أقبح المصادر وأبردها وأغثها"[2].

ومن مواضع استعمال لفظ النضح ما نظمه الشاعر القتَّال الكلابي:

يمنعها كل مدروء بصعدته   نضح الدباء على عريان مغوار[3]

نظم الشاعر هذا البيت من قصيدة في هجاء علية بنت شيبة، ولذلك يكون توظيف الشاعر للنضح في سياق السلبية توافقًا مع غرض الهجاء في القصيدة.

ووظف الشاعر تأبَّط شرًّا النضح خارج سياق الماء، فاستعمله للإشارة إلى الدماء، فقال في ذلك:

دنوتُ له حتى كأنَّ قميصهُ   تشرّب من نضح الأخادع عُصفرا[4]

علق شارح الديوان على هذا البيت بما نصه: "النضحُ: الرش يكون للماء والدم. والأخادع والأخدعان عرقان في جانبي العنق. والعُصفر: نبات صبغي أحمر يشبه الدم"[5].

ومن خلال ما وقفت عليه، وجدت أن الشعراء لم يلتزموا بالألفاظ الدالة على الماء، مثل: (النضح) ضمن معناها الذي وضعت له للماء، بل تجاوزوا ذلك إلى الكنايات لغير الماء، مثل: الدم والعبير وما إلى ذلك، وهو توظيف بلاغي للخروج باللغة من الإخبارية التقريرية إلى الشعرية والمجازية.

12- **التَّقْطِيْر**: ورد في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (قَطَرَ) ما نصُّهُ: "قطر الماء والدمع وغيرهما من السيال يقطر قطرا وقطورا وقطرانا وأقطر،

1 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 86.
2 - يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، ص 86. الحاشية: من كلام شارح الديوان.
3 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 59.
4 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 102.
5 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 102. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

الأخيـرة عـن أبـي حنيفـة، وتقـاطر. وقطـران المـاء، بالتحريـك، وتقطيـر الشـيء: إسـالته قطـرة قطـرة. والقطـر: المطـر. والقطـار: جمـع قطـر وهـو المطـر. والقطـر: مـا قطـر مـن المـاء وغيـره، واحدتـه قطـرة، والجمـع قطـار. وسـحاب قطـور ومقطـار: كثيـر القطـر، حكاهمـا الفارسـي عـن ثعلـب. وأرض مقطـورة: أصـابها القطـر. واسـتقطر الشـيء: رام قطرانـه. وأقطـر الشـيء: حـان أن يقطـر. وغيـث قطـار: عظـيم القطـر. وقطـر الصـمغ مـن الشـجرة يقطـر قطـرًا: خـرج. وقطـارة الشـيء: مـا قطـر منـه... وفـي الإنـاء قطـارة مـن مـاء، أي: قليـل، عـن اللحيـاني: والقطـران والقطـران: عصـارة الأبهـل والأرز ونحوهمـا، يطـبخ فيتحلب منه، ثم تهنأ به الإبل"[1].

يعد هـذا الاسـتعمال قلـيلاً فيمـا وقفـت عليـه مـن قصـائد الشـعراء الصـعاليك، فمـن ذلـك مـا اسـتعمله الشـاعر تـأبَّط شـرًّا فـي الإتيـان بلفـظ يحيـل إلـى المعنـى اللغـوي للقطر، وهو قوله:

أصم قطاري يكون خروجه   بعيد غروب الشمس مختلف الرمس[2]

و"القطـاريُّ: الحيَّـةُ، مـأخوذ مـن القُطـار، وهـو سُـمُّهُ الـذي يقطُـر مـن كثرتـه"[3]. فالأصـل فـي التسـمية مـأخوذة مـن حـال السـم وهـو يقطـر مـن نـابي الحيّـة مـن كثرتـه وغزارتـه، والتوظيـف فـي هـذا السـياق يكـون سـلبيًّا بوحـدة معجميـة سلبية الدلالة في نفسها.

والثـاني: قـول الشـاعر القتَّـال الكلابـي مـن دون أن يـذكر الفعـل بلفظـه الصـريح، إنمـا بالإشـارة إلـى التقطيـر مـن خـلال اسـتعمال الفعـل (شلشـل) والـذي يعنـي تقاطر الماء تباعًا، وذلك في قوله:

جديدٌ كُلاها منهجٌ حجراتها   فللماء سحٌّ من طبابٍ مُشلشلِ[4]

يصـف الشـاعر فـي هـذا البيـت قربـة المـاء، وقـد علـق شـارح الـديوان علـى البيـت بمـا نصـه: "الكُلـى: جمـع كليـة وهـي جليـدة مسـتديرة مشـدودة العـروة قـد خـرزت مـع الأديـم تحـت عـروة المـزادة. مـنهج: بـال. حجراتهـا: نواحيهـا. الطبابـة:

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قطَرَ).
2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 104.
3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قطر).
4 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 74.

الجلدة التي تجعل على طرفي الجلد في القربة. شلشل: يقطر منه الماء متتابعًا"[1].

13- **العَصِيْر**: جاء في لسان العرب تحت الجذر اللغوي (عَصَرَ) ما نصُّهُ: "وعصر العنب ونحوه مما له دهن أو شراب أو عسل يعصره عصرًا، فهو معصور، وعصير، واعتصره: استخرج ما فيه، وقيل: عصره ولي عصر ذلك بنفسه، واعتصره إذا عصر له خاصة، واعتصر عصيرًا اتخذه، وقد انعصر وتعصر. وعصارة الشيء وعصاره وعصيره: ما تحلب منه إذا عصرته"[2].

ويعد هذا الاستعمال قليلاً في أشعار الشعراء قياسًا إلى الألفاظ الدالة على الماء في حقله الدلالي، ومنه في قول الشاعر الشنفرى:

ومقرونةٍ شمالُها بيمينِها أجنِّبُ بَزِّي ماؤُها قد تعصَّرا[3]

ومنه في قول أمير الشعراء الصعاليك عروة بن الورد:

بآنسةٍ الحديث رضابُ فِيْهَا يُعِيدُ النومَ كالعِنبِ العَصِيرِ[4]

ويقصد الشاعر هنا تشبيه رضاب ثغر المتغزَّل بها وكأنه الخمر، والقاسم المشترك بين الخمر ورضاب فم المتغزل بها في البيت أن كليهما يجلب النوم لمتذوقه، بمعنى أنهما مسكران. وفي هذا التشبيه ترك الشاعر التصريح بالخمر وأتى على ذكر أصلها المأخوذة منه، وهو العنب العصير، ويسمى العنب العصير لأن آلية صناعة الخمر تكون بعصر العنب وتعتيقه لمدة زمنية طويلة ليختمر ويكون بعدها خمرًا.

ومن خلال ما وقفت عليه في المبحث الأول "الألفاظ المتصلة بالماء ودلالاتها" وجدنا اختلاف الألفاظ في درجة ترتيبها من حيث الاستعمال والتوظيف في قصائد الشعراء الصعاليك، فمنها اتصفت بالغزيرة، مثل: (الشرب) ومنها اتصفت بالندرة، مثل: (الغسول).

ولم يلتزم الشعراء بتوظيف الألفاظ وفق المعنى الأصلي لها المتصل بالماء، بل إنهم عبروا بها عن الدم حينًا والحمم حينًا والأشياء المجردة على

---

1 - **ديوان القتَّال الكلابي**، ص 74. الحاشية: من كلام شارح الديوان.

2 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عَصَرَ).

3 - **ديوان الشنفرى**، ص 46.

4 - **ديوان عروة بن الورد**، ص 63.

سـبيل الكنايـة فـي بعـض الشـواهد الشـعرية، ولاحظنـا اخـتلاف الـدلالات بـين الإيجابيـة والسـلبية بحسـب تحديـد السـياق لهـذه الدلالـة أو تلـك، فالسـياق كـان الحكم الفصل في تحديد وجه الدلالة.

المبحث الثاني: الألفاظ المتصلة بالماء وتطورها الدلالي

نقصد بالألفاظ المتصلة بالماء: جميع الألفاظ التي تحمل في مدلولها صلة بعنصر الماء في تكوينه أو وسائل استعماله، والبحث عن التطور الدلالي الذي حملته بعض هذه الألفاظ في قصائد الشعراء الصعاليك، وإلى أي؛ مدى وصل هذا التطور الدلالي بين الدلالتين المركزية والهامشية، إضافة إلى التركيز على الدلالتين السلبية والإيجابية وقدرة الشعراء على القلب بين هاتين الدلالتين لتحقيق غرض ما في السياق.

إن ظاهرة التطور الدلالي عامة لا تقتصر على لغة دون أخرى، وتكاد تشمل جميع اللغات في العالم، وسبب ذلك يعود إلى كون اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل التطور، فجميع اللغات مشمولة بهذا القانون، وقد كان ذلك واضحًا في صدر الإسلام حين استبدل كثيرًا من الكلمات التي لا يحسنُ ورودها على الألسن، واستعمل أيسرها على النطق، وأبينها في الدلالة على المعنى، كما حرص على مطابقة القول لمقتضى الحال.

والصلة بين المعنى والدلالة وطيدة جدًّا؛ فالمعنى هو الموضوع الأساس لعلم الدلالة الذي يعرفه اللغويون بأنه: "العلم الذي يدرس المعنى"[1]. فالدلالة "هي المعنى، ودلالة أي لفظ هي ما ينصرف إليه هذا اللفظ في الذهن من معنى مدرك أو محسوس. والتلازم بين الكلمة ودلالتها أمرٌ لابد منه في الغة ليتمَّ التفاهم بين الناس"[2].

1 - رمضان عبدالتواب، **لحن العامة والتطور اللغوي**، ط1، دار المعارف، مصر، د.ت، ص 30.

2 - ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال محمد بشر، ط3، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م،ص 153.

- **تعريف التطور الدلالي**

التطـور فـي لسـان العـرب يعـود إلـى الجـذر اللغـوي (طَـوَرَ) ويعنـي: "الطـور: التـارة، تقـول طـورًا بعـد طـور أي؛ تـارة بعـد تـارة، وجمـع الطـور أطـوار. والنـاس أطـوار، أي؛ أصـناف علـى حـالات شـتى. والطـور: الحـال، وجمعـه أطـوار. وقـال ثعلـب: أطـوارًا أي؛ خلقًـا مختلفـة كـل واحـد علـى حـدة... والأطـوار: الحـالات المختلفـة والتـارات والحـدود، واحـدها طـور... والطـور: الحـد بـين الشـيئين"[1]. فهـو بـذلك يعنـي الانتقـال مـن طـور إلـى آخـر ومـن شـكل لآخر.

وجـاء فـي الجـامع الصـحيح مـا نصـه: "مـا عـاكس الجمـود والسـكون، والتحـول إلـى الأفضـل"[2]. جـاء فـي القـرآن الكـريم: "وقـد خلقكـم أطـوارًا"[3]. ولكننـا عنـدما نسـتعمل لفظـة (تطـور) فـنحن لسـنا بصـدد الحـديث عـن وضـع أفضـل، أو الحكـم بـأن الوضـع الجديـد الـذي تـم الانتقـال إليـه هـو الأفضـل، وأوضـح رمضـان عبـدالتواب هـذه النقطـة فـي قولـه: "كمـا أن اسـتخدام اللغـويين لكلمـة التطـور لا يعنـي تقيـيم هـذا التطـور والحكـم عليـه، فإنـه لا يعنـي عنـدهم أكثـر مـن مـرادف لكلمة التغيير"[4].

أمـا الدلالـة فهـي فـي اللغـة مـن الجـذر اللغـوي (دَلَـلَ) ومـن معانيـه فـي لسـان العـرب: "أدلَّ عليـه وتـدلَّ: انبسـط. والدالـة: مـا تـدل بـه علـى حميمـك... وفـلان يُـدِلُّ علـى أقرانـه كالبـازي يـدل علـى صـيده... ودل علـى الشـيء يدلـه دلاً ودلالـةً فانـدلَّ: سـدده إليـه، ودللتـه فانـدلَّ، والـدليل: مـا يسـتدلُّ لـه"[5]. فالدلالـة بالنسـبة إلـى الألفـاظ: هـي مـا تـدلنا عليـه مـن معـانٍ توضـح هـدف المـتكلم مـن كلامه.

وقـال ابـن فـارس فـي مقـاييس اللغـة: "الـدال والـلام أصـلان: أحـدهما إبانـة الشـيء بأمـارة تعلمهـا، والآخـر اضـطراب فـي الشـيء. فـالأول قـولهم: دللـت

1 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (طور).

2 - محمد ناصر الدين الألباني، **الجامع الصغير**، المكتب الإسلامي، د.ت، ج1، ص 207.

3 - **نوح**: 17.

4 - رمضـان عبـدالتواب، **التطـور اللغـوي: مظـاهره وعللـه وقوانينـه**، ط1، مطبعـة المـدني، مصر، 1983م، ص 9.

5 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (دلل).

فلاناً على الطريق. والدليل: الأمارة في الشيء. وهو بين الدَّلالة والدِّلالة"[1].

والتطور الدلالي هو: "تغيير معاني الكلمات وإطلاق لفظ التطور على هذه الحالة؛ لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى طور"[2].

- **عوامل التطور الدلالي**

تنوعت أسباب التطور الدلالي بتنوع العوامل المؤثرة في تطور اللغة، ويمكن إجمال عوامل التطور الدلالي، في نوعين من العوامل:

- **عوامل خارجية**: تتعلق بالبيئة الاجتماعية والتاريخية والثقافية والنفسية.
- **عوامل داخلية**: تتعلق باللغة نفسها، وهي الأسباب أو العوامل الصوتية والاشتقاقية والنحوية والسياقية التي نميزها من خلال الاستعمال.

ويرى الباحث الدكتور علي عبد الواحد وافي أن اللغة تتأثر في تطورها بعوامل كثيرة يرجع أهمها إلى ست طوائف: إحداها عوامل اجتماعية خالصة تتمثل في حضارة الأمة، ونظمها، وعاداتها وتقاليدها، وعقائدها، ومظاهر نشاطها العلمي والعقلي، وثقافتها العامة، واتجاهاتها الفكرية، ومناحي وجدانها ونزوعها... وهلم جرا. وثانيهما تأثر اللغة بلغات أخرى. وثالثتها عوامل أدبية تتمثل فيما تنتجه قرائح الناطقين باللغة، وما تبذله معاهد التعليم والمجامع اللغوية وما إليها من سبيل حمايتها والارتقاء بها. ورابعتها انتقال اللغة من السلف إلى الخلف. وخامسها عوامل طبيعية تتمثل في الظواهر الجغرافية والفيزيولوجية... وما إليها. وسادسها عوامل لغوية ترجع إلى طبيعة اللغة نفسها وطبيعة أصواتها وقواعدها ومتنها[3].

ويضاف إلى هذه العوامل عوامل أخرى منها "عوامل مقصودة متعمدة، كقيام المجامع اللغوية، والهيئات العلمية بمثل ذلك، عند وجود الحاجة إلى خلع دلالات جديدة على بعض الألفاظ التي تطلبتها حياة اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية جديدة. وهناك عوامل أخرى لا

---

1 - ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، ص 259.

2 - عبدالملك الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ص 207.

3 - انظر: علي عبدالواحد وافي، **اللغة والمجتمع**، ط4، مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية، 1983م، ص 11.

شعورية، منها السياق المضلل الذي نسمع فيه الكلمة لأول مرة... ومن عوامل التطور الدلالي سوء الفهم، وهو عامل له صلة بموضوع (القياس) لأن الإنسان يقيس ما لم يعرف، على ما عرف من قبل ويستنبط على أساس هذا القياس، فيصيب حينًا، ويخطئ حينًا آخر فيستخرج دلالة جديدة... ومن العوامل: تطور أصوات الكلمة، بحيث تصبح تلك الكلمة مماثلة لكلمة أخرى لها معنى آخر... ومن العوامل : اختصار العبارة، فتؤدي كلمة واحدة منها ما كانت تؤديه العبارة كاملة، قبل اختصارها... وهناك عامل آخر وهو كثرة دورانها في الحديث... وعامل الابتذال الذي يصيب الألفاظ في كل لغة، لظروف سياسية أو اجتماعية أو عاطفية"[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه إذا كانت الدلالة المعجمية تعنى بدراسة الكلمات وعناصرها ومعانيها في سياقها الحقلي، فإن ذلك لا يعني أن المعجمية محصورة في اللفظة المفردة، بل إن الحصول على الدلالات يتطلب وجود "الوحدة المعجمية بعناصرها الثلاثة؛ أولها المفردة، وثانيها التركيب، وثالثها التلازم، وأهم ما يمكن الاتكاء عليه هو أن مفهوم الوحدة المعجمية أشمل من مفهوم المفردة، فإن كل مفردة وحدة معجمية ولكن ليست كل وحدة معجمية مفردة".[2]

وهذا لا يلغي أهمية المفردة بوصفها العنصر الأساس في التحليل والدراسة البنيوية، حيث إنها الأساس الذي تقوم عليه عملية فرز الدلالات بين مركزية وثانوية، وهو ما بيَّنه د. علي زوين بقوله: "ولما كانت (الكلمة) تعد أصغر (وحدة دلالية) في النظرية الدلالية الحديثة اتضحت لنا أهمية دراسة الكلمات من حيث احتوائها على معان ثابتة ثبوتًا نسبيًّا"[3].

ولعل التركيز على دراسة الكلمة المفردة، أو دراسة النص من خلال تقطيعه إلى أجزائه البنيوية الرئيسة، يعد من أهم النظريات اللسانية التي

---

1 - إبراهيم السامرائي، **التطور اللغوي التاريخي**، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1981م، ص 30- 32.

2 - إبراهيم بن مراد، **الوحدة المعجمّية بين الإفراد والتضام والتلازم**، "مجلّة الدراسات المعجمية"، المغرب، 2006م، العدد (5)، ص 23-31؛ وانظر: إبراهيم بن مراد، **من مشاكل الترجمة في المعجم**، "مجلّة في الحياة الثقافية"، تونس، 172– إبريل 2006م، العدد (172)، ص 35– 45؛ وانظر: إبراهيم بن مراد، **المعالجة القامُوسيّة للوَحَدات المعْجميّة العربيّة**: نظَراتٌ في مَنْهَج الترتيب، "مجلّة الدراسات المعجميّة بالمغرب"، العدد7، 2008م.

3 - علي زوين، **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث**، "مجلّة آفاق عربية"، السنة 15، أيار 1990م، ص 73.

تخضع النص الأدبي للتفكيك، ثم الربط بين الأجزاء التي تم فصلها من خلال حقول دلالية تجمع قواسمها المشتركة، لتقف على العلاقة المتأتية من هذا الجمع بعد الفصل. لكن هذا لا يعطي ذريعة لأن تكون الكلمة وحدها ذات دلالة مفردة دائمة التأثير والتغيير في معنى النص، بل إن سلكها ضمن السياقات المتنوعة هو ما يعطيها التأويلات الدلالية التي لولاها لاقتصرت كل كلمة على معنى أصلي واحد.

"وأحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها في التركيب الذي يسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها أو تبدو مشابهة لها، بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة اللذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كل كلمات اللغة"[1].

وقد اهتم علماء اللغة قديمًا وحديثًا بالكلمة المفردة لكونها عنصرًا رئيسًا من عناصر البناء اللغوي، بل إنها حظيت عندهم بمكانة عظيمة في الدرس اللساني، فقدموا لها تعريفات مختلفة، ومن هؤلاء (الزمخشري ت538هـ) الذي عرفّها بأنها: "اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع، وهي جنس تحته ثلاثة أنواع الاسم والفعل والحرف"[2]. ويعرفها ابن عقيل (ت 769هـ) بأنها: "اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وقولنا الموضوع لمعنى أخرج المهمل كديز. وقولنا: مفرد؛ أخرج الكلام فإنه موضوع لمعنى غير مفرد"[3]. ويعرفها الأشموني (ت 929هـ) بأنها: "اللفظ المفرد أي؛ الصوت المشتمل على بعض الحروف، مفيد بالوضع فائدة يحسن السكوت عليها، فخرج باللفظ غيره من الدال ما ليس بلفظ مثل: الإشارة والخط"[4].

أما الدكتور تمَّام حسَّان فإنه يقترح تعريفًا للكلمة يتعلق بوظيفتها ودلالتها في سياق النص العربي، قائلاً: "إنها صيغة ذات وظيفة لغوية معينة في تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن

1 - أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م، ص 8.

2 - محمود بن عمر الزمخشري، **المفصل في علم العربية**، ط1، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه (الاستانة ومصر)، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، القاهرة، 1323هـ، ص 6.

3 - عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار العلوم الحديثة، 1964م، م1، ص 15.

4 - علي بن محمد بن عيسى، **شرح الأشموني على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م، ص 16.

تفـرد، أو تحـذف، أو تحشـى، أو يغيـر موضـعها، أو يسـتبدل بهـا غيرهـا فـي السياق، وترجع في مادتها غالبًا إلى أصول ثلاثة، وقد تلحق بها زوائد"[1].

فالأصل في كل مفردة أن يكون لها دلالتها الخاصة بها، والتي يتم بها التعبير عن الأشياء وصفًا أو تعريفًا أو إشارةً، ومن أمثلة هذه الدلالة التي جاءت متعلقة بدلالتها الحقيقية قول حاجز بن عوف الأزدي:

يا ربَّ لطمة غدرٍ قد سخنتُ بها　　　بكفِّ عمرو التي بالغدرِ قد غرقتْ[2]

إن اللفظ المتعلق بالماء في البيت هو: (الغرق) في قوله "قد غرقتْ". والغرق لغة في لسان العرب لابن منظور: "الرسوب في الماء. ويشبه الذي رَكِبَهُ الدَّين وغمرتهُ البلايا، يُقال: رجل غرق وغريق، وقد غرق غرقًا وهو غارق. والجمع غرقى، وهو فعيل بمعنى مفعل، أغرقه الله إغراقًا، فهو غريق"[3].

فالدلالة التي يحملها الغرق في معناه الأصلي سلبية الحضور، وقد استعملها الشاعر في البيت سلبية كما وردت في الأصل، دون أن يضفي عليها تطورًا دلاليًّا يخرجها به من السلبية إلى الإيجابية. وإننا في المبحثين الآتيين سنتناول التطور الدلالي الذي يخرج اللفظ من إيجابيته إلى سلبيته، ثم من سلبيته إلى إيجابيته، على النحو الآتي.

ومن الأمثلة على ذلك ما نظمه الشاعر أبو صخر الهذلي في وصف وتشبيه قبيلة قريش بالغيث ليدلل على كرمهم:

هم البيضُ أقدامًا وديباجُ أوجهٍ　　　وغيثٌ إذا الجوزاء قلَّتْ رهامها[4]

فهو يصفهم ببياض الوجه وهذا كناية عن الكرم، وشبههم بالرمح لشجاعتهم، وشبههم بالغيث لكرمهم في الوقت الذي تقل فيه مطر الجوزاء وهي ليست من الأنواء ولكن يشيرون بها إلى "الهنعة والهقعة" وهما من الأنواء، ومن أجزائها ، ويتصفان بالمطر الغزير، ولم يصب في معناه حين وصفهم بالمطر الغزير في زمن قلة مطر الجوزاء، ولم ينتبه إلى أن المطر

1 - تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ط2، المغرب: دار الثقافة، 1974م، ص 232.
2 - أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، ص 161.
3 - ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (غرق).
4 - السكري، **شرح ديوان الهذليين**، ج2، ص 955.

القليل يعيش الناس فالأجدر به أن يجعلهم مطرًا غزيرًا في زمن الجدب ليرفع من قيمتهم أكثر.

وقال الشاعر أبو صخر الهذلي في وصف كرم خالد بن عبد العزيز بن عبدالله ما نصه:

وركبانُ أنضَاءٍ يبلُّ رِحَالَهـمْ ضريبُ عَشَانِينَ مِنَ الثلج بـاردِ
غَدوا ومداهم خالدٌ، وركَابُهمْ بجنبي مُنيرٍ لاحبٍ ذِي عوائـدِ
فجلَّى قِتَامَ النَّحس عَنهمْ فأسْفَرُوا أغرَّ مِنَ الأعْيَاص ليسَ بجَامِدِ
إذا ضَنَّ بالقَطْر السَّحابُ وأمْحَلُوا سَمَوا نَحوَ فَيَّاضٍ كَثِير العَوائِدِ[1]

يصف الشاعر كرمه ويشبهه بالمطر ذي الثلج البارد الذي بلَّ رحال الركبان الذين يقصدونه بالغداة لكرمه، ويصفهم بأنهم ركبان نحساء مروا بمنطقة منير وبكرمه لهم أبعد عنهم النحس فذهبوا عنه راضين.

فأعطى الشاعر بوصفه حالة الرضا الصورة عاطفة تعكس مدى الابتسامة التي ارتسمت على أوجه القوم وهم قافلون، وأضفى على حال سرورهم اللون الأبيض وفضلهم على غيرهم فألبس المعنوي ثوب المحسوس، وجعل خالدًا قبلة يقصده الناس عندما تقل الأمطار ويكثر المحل، ووصفه بأنه كريم فياض كثير العوائد، وكلمة (سموا) توحي إليك بأنهم بدأوا يصعدون إلى من هو أعلى منهم، وتعطي صورة مهمة لمكانة الأمير بينهم وأضفت إلى التعبير قوة وحركة وجمالاً. ووصف السحاب بأنه هو الذي يضن بالمطر ليوازي به إرادة الممدوح على الكرم وتقديم الفيض لطالبيه.

ومن أبرز الأمثلة على هذا الأسلوب ما نظمه الشاعر تأبَّط شرًّا في سياق المدح ما نصه:

يابسُ الجنبين من غير بؤس ونديِ الكفين شهم مدلّ[2]

حيث استعمل الشاعر التركيب اللغوي (ندي الكفين) وهي في معناها المعجمي أي؛ الدلالة المركزية للمفردتين: "نَدِي الشّخصُ: ابتلَّ" وهي مأخوذة من الندى الذي يتشكل على هيئة قطرات من الماء. أما الكفّان: "كَفّ اليَدِ: رَاحَةُ اليَدِ مَعَ الأصَابِعِ: الرَّاحَةُ مع الأصابع في اليد". ولا علاقة لهذا المعنى اللغوي بالكرم والسخاء المقصود في البيت.

---

1 - السكري، **شرح ديوان الهذليين**، ج2، ص 966.
2 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 249.

أما الدلالة الثانوية أو الهامشية فجاءت أن هذا التركيب لما انتشر استعماله بدلالته على الكرم فاق في شهرته الدلالة المركزية اللغوية، وأصبح مرتبطًا بهذا المعنى وأكثر اشتهارًا به. ويسمى هذا التحول بين الدلالتين تطورًا دلاليًّا نتيجة كثرة الاستعمال بالتوظيف الثانوي وإغفال الدلالة المركزية.

فالدلالة المركزية هي: **"فعالية معرفية تؤلف الشفرات من مجموعة الأعراف والتقاليد وهذه الشفرات يمتلكها أعضاء ثقافة أو مجتمع معين، على أنها القدرة اللغوية لهم....، والشفرات إذا قبلها المجتمع، تخلق عالمًا (ثقافيًّا) يرتبط وجوده بنظام ثقافي يجسم الطريقة التي يفكر بها المجتمع ويتكلم، وحين يتكلم يوضح مدلول فكرة عن طريق الأفكار الأخرى"**[1].

وإلى جوار تسميتها بـ (الفعالية المعرفية) فإنه يُعَبَّر عنها بمصطلح آخر هو (المعنى التقني) أو (المعنى المنطقي) ويحدده محمود السعران بأنه: **"يقوم على شيفرة من الشيفرات الكلامية التي يجعلها الاستعمال اجتماعية وتواضعية إلى حد ما، ونستطيع أن نعد أنه كلما تم الإجماع على معنى بعض الإشارات تأخذه هذه درجة الشيفرة التقنية، والإشارات التقنية تدل على نسق من العلاقات الموضوعية والواقعية والحقيقية"**[2].

أما الدلالة الهامشية فهي: **"تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم. وهي لدى فرد من البيئة الاجتماعية توحي بظلال من الدلالة قد لا تخطر في ذهن آخر من البيئة نفسها؛ لأن تجاربهما مع الكلمة مختلفة"**[3].

وفيما يأتي سنتناول رقي الدلالة أو انحطاطها للألفاظ المتصلة بالماء في شعر الصعاليك، ونقصد برقي الدلالة الخاصة بألفاظ الماء أن يوظف الشاعر عنصر الماء أو لفظًا من الألفاظ الدالة عليه توظيفًا إيجابيًّا في سياق النص، ونقصد بانحطاط الدلالة أن يوظف الشاعر عنصر الماء أو لفظًا من الألفاظ الدالة عليه توظيفًا سلبيًّا، بمعنى أن ينقله الشاعر من الإيجابية إلى السلبية أو العكس لتأدية دلالة محددة وتحقيق غاية تخدم فكرة النص الشعري.

---

1 - وليم راي، **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية** ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، دار الحرية للطباعة، د.ت، ص 125.

2 - محمود السعران، **علم اللغة**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص 303.

3 -إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م، ص 107، 173.

للمطــر مـــثلاً دلالات متنوعـــة فـــي شـــعر الصـــعاليك، وجميـــع هـــذه الـــدلالات مســـتوحاة مـــن طبيعـــة مـــادة المطـــر منـــذ نشـــوئه إلـــى ركـــوده أو اســتهلاكه، ومــن أبــرز هــذه الــدلالات: الرحمــة والطمأنينــة: حيــث يعــد المطــر إيجابيًّــا فــي طبيعتــه، حيــث إنــه رمــز الخصــب والنمــاء لــدى البشــر بعامــة، ولــدى ســكان المنــاطق الجغرافيــة القاحلــة كســكان البــوادي، ويعــد الشــعراء الصــعاليك أبــرز مثــال علــى تصــوير دلالــة المطــر بالرحمــة والطمأنينــة، ومــن ذلــك، قــول الشــاعر تــأبط شــرًّا فــي صــورة فنيــة أخرجــه فيهــا مــن دلالتــه الحقيقيــة المشــيرة إلــى الخيــر والخصــب والنمــاء، واقتصــر علــى دلالــة صــفة مــن صــفاته، وهــي الغزارة، فقال:

جزى الله فتيانًا على العوص أمطرت سماؤهم تحت العجاجة بالدم[1]

تحـول الدلالـة مـن إيجابيـة المـاء المشـيرة إلـى الخيـر والنمـاء إلـى سـلبية الـدم ومـا تحمله صورته الدلالية من قتل وألم وحزن وفقد.

ونشــير هنــا إلــى التوافــق الــدلالي الحاصــل فــي اســتعمال لفــظ (المطــر) فــي الإشــارة إلــى الــدم والقتــل أو العــذاب بمعنــى أعــم، وهــذا يتطــابق مــع الاســتعمال الشــائع للفــظ المطــر فــي القــرآن الكــريم، حيــث ورد المطــر فــي القــرآن ســبع مرات جميعها جاءت للعذاب، ومن أمثلة ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾[2].
- قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[3].
- قال تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾[4].

فالشــعراء وفقــوا فــي توظيــف المطــر فــي الســياق المعــروف عنــه، وهــذا يــدل علــى دقــة التوظيــف والعنايــة بالســياق والمفــردات الدالــة عليــه بدقــة، ويعــد هــذا من أظهر سمات البلاغة في النص الشعري.

وفــي التطــور الــدلالي للمفــردات المتصــلة بالمــاء، وتحــول وظيفتهــا الدلاليــة مــن الصــورة الســلبية المركزيــة إلــى الصــورة الإيجابيــة الثانويــة، يكــون حاصــلاً فــي

1 - **ديوان تأبط شرًّا وأخباره**، ص 206.
2 - **النساء**: 102.
3 - **الأعراف**: 84.
4 - **النمل**: 58.

استعمالات الشعراء الصعاليك، ومن ذلك، قول الشاعر عروة بن الورد أمير الصعاليك:

أبا المثلم إني غير مهتضم إذا دعوت تميمًا سالت المسل[1]

أعلن الشاعر أن قومه يلبون دعوته إذا دعاهم، فيسرعون لنصرته كما تسيل الشعاب بالماء. والمسل: جمع مسيل، وهو مسيل الماء.

فالدلالة التي يحملها السيل في ذاته سلبية الحضور، بيد أن الشاعر جاء بها هنا في سياق الفخر والمدح، حيث أخذ من صفات السيل الغزارة والسرعة في الجريان، وترك من نتائجه الخراب والدمار، فكان توظيفه إيجابيًّا في هذا الموضع، وهو تطور دلالي يواكب حال السياق الموضوعي للغرض الشعري.

وإلى المفردة المعجمية نفسها (السيل) فقد كان لها حضور إيجابي مأخوذ من طبيعة مادة تكوينها، وهو عنصر الماء الإيجابي في ذاته، كما في قول الشاعر أبي الخرَّاش الهذلي:

غذاهُ من السرين أو بطنِ حليةٍ فروعُ الآباء في عميمِ السَّوائلِ[2]

استعمل الشاعر السيل في سياق المدح، فكان التطور الدلالي متوافقًا مع السياق العام لفكرة البيت، ويعد هذا التوفيق من أبرز سمات الوحدة الموضوعية الداخلية في مستوى الفكرة والبيت الواحد.

ولعلَّ حضور السيل بغزارة في أشعار الصعاليك أبناء البوادي، لما للمعجم المائي من أهمية في حياتهم اليومية، حيث به قوام معاشهم وأساس استقرارهم من عدمه، وقد جاء توظيف السيل إيجابًا في أكثر من موضع، طور الشاعر من خلالها دلالة السيل السلبية لتكون دلالة إيجابية بحسب ما يقتضيه السياق، ومن ذلك، قول عمرو بن برَّاقة في المدح:

وكم لاقيتُ ذا نجبٍ شديدٍ تسيلُ به النفوسُ على الصدورِ[3]

وعند أبي الطمحان:

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 249.

2 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 205. العميم: ما اعتم من النبت في سوائل المطر، والسوائل الأماكن التي تسيل بالماء.

3 - شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ص 96.

يظلُّ فتيتُ المِسكِ في رونق الضُّحَى تَسيلُ به أصداغُهُ وَمَفارِقُه[1]

وظـف الشـاعران السـيل فـي سـياق الإيجابيـة بانزيـاح عـن الدلالـة السـلبية المركزيـة التـي يـأتي بهـا السـيل، وجعـل الشـعراء دلالـة السـيل متعلقـة بمكانهـا فـي السـياق الـذي يـرد فيـه، فالشـاعر عمـرو بـن برّاقـة وظـف السـيل فـي سـياق الفخـر والمـدح بدلالـة إيجابيـة، والشـاعر أبـو الطمحـان وظفـه فـي سـياق الغـزل بدلالة إيجابية .

ومـن خـلال مـا وقفـت عليـه فـي بعـض مظـاهر التطـور الـدلالي للألفـاظ المتصـلة بالمـاء، أو مظـاهر المفـردات والاشـتقاقات الدالـة علـى المـاء المكونـة لـه أو التابعـة لاسـتعمالاته، لاحظنـا أن السـياق هـو الـذي يحـدد دلالـة الكلمـة فيـه بـين الإيجابيـة والسـلبية، وأن الشـعراء وفقـوا فـي توظيـف المفـردات فـي السـياقات المختلفـة، سـواء فـي المـدح، أو الفخـر، أو الغـزل، أو الهجـاء، أو الوصف، أو الحض والاستنهاض.

---

1 - يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، ص 254.

نتائج الدراسة

من خلال ما تناولناه في الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج نعرضها على النحو الآتي:

1- إن حضور عنصر الماء في شعر الصعاليك حضور واضح ومميز ويشير إلى أهمية هذا العنصر لديهم في بيئة البادية.
2- استعمل الشعراء العديد من الألفاظ الدالة على مكونات الماء في حقل العلويات: السحاب والرعد والبرق والمطر، وفي كل منها استعملوا ألفاظًا دقيقة تبين حال التكوين وتصفه بدقة.
3- ورد للسحاب (13) ثلاثة عشر اسمًا مختلفًا لدى ما وقفت عليه من قصائد الشعراء الصعاليك، تم توظيفها في دلالاتها اللغوية الموافقة لمعناها وفق السياقات التي وردت فيها، فجاءت صريحة حينًا، وكنائية حينًا آخر.
4- ورد للرعد (5) خمسة أسماء جميعها تتعلق بالصفة الحسية الوحيدة للرعد وهي الصوت، إضافة إلى انزياح الدلالة نحو التجريد، حيث استعمل الشعراء الرعد في الإشارة إلى الغضب والوعيد والتهديد.
5- ورد للبرق (4) أربعة أسماء جميعها تتعلق بالصفة الحسية الوحيدة للبرق وهي الرؤية بالعين المجردة، إضافة إلى انزياح الدلالة نحو التجريد، حيث استعمل الشعراء البرق في الإشارة إلى شدة اللمعان والإنارة إضافة إلى إخلاف الوعد.
6- ورد للمطر (16) ستة عشر اسمًا مختلفًا في الدلالة والتوظيف في السياق.
7- ورد لفظ المطر في سياق سلبي لا إيجابي، موافقًا للدلالة التي ورد فيها في القرآن الكريم، وهذا التوافق يشير إلى أن الدلالة السلبية للمطر أصل في اللغة، حيث إن الشعراء الذين أوردوا المطر بدلالة سلبية يسبقون عصر نزول القرآن الكريم.
8- ورد السيل في شعر الصعاليك في مسميات ثلاثة: السيل، والشعاب، والجداول، وكان أغزرها حضورًا وأكثرها تنوعًا دلاليًّا هو السيل، حيث جاء بمعناه الحقيقي الدال على الماء الجاري حينًا، ضمن دلالة سلبية، وبمعنى الإيجابية ضمن الاستعمال الكنائي في سياق آخر خاص بالمجردات، كالكرم، والشهامة، والمروءة. أما الشعاب، فجاءت في دلالتين: العموم: في موضعين للشاعر تأبط شرّا. والخصوص: في ثلاثة مواضع، لكل من: القتال الكلابي، وتأبط شرًّا، والشنفرى. وهي: (الشعاب

المتفرعة من وادي عاقل، والشعب القريب من موضع سلع، وشعب نجد). أما الجداول، فجاءت في موضع واحد عند الشاعر تأبط شرًّا.

9- وردت الأحواض في ستة مواضع مختلفة، ثلاثة منها تم التصريح فيها بلفظ الحوض، واثنان اكتفى الشعراء فيهما بالإشارة إلى أجزاء الحوض ومسمياته، وواحد جاء في سياق الكناية.

10- وردت الغدران في شعر الصعاليك ضمن دلالتين اثنتين: الأولى دلالة العموم وجاءت في موضع واحد للشاعر الشنفرى، والثانية دلالة الخصوص وجاءت في عشرين موضعًا، كان أكثرها لدى الشاعر القتال الكلابي. ومن الغدران: (صعداء، الشطون، ذي البردين، فردة، حرة ليلى، سبًّى، ثجر، الجبابة، العِتاب، ذو بقر، عاسم، ذي النقير، حلاءة، عَمَرَين، غيقة، السدير، بارق، مرّان، حوضى).

11- كان الشاعر القتَّال الكلابي أكثر الشعراء الصعاليك عناية بدلالة الخصوص في تحديد المواضع الجغرافية الخاصة بالماء بدقة، سواء أكان هذا التحديد بالاسم الدقيق للموضع، أم بالقرائن البيئية والجغرافية القريبة منه والدالة عليه.

12- ورد للقيعان في شعر الصعاليك (9) تسعة أسماء مختلفة الدلالة بحسب المعنى الدقيق لها، وقد وظفها الشعراء توظيفًا دقيقًا يدل على تمكنهم من اللغة وبلاغتها، واستعمال كل لفظ لمعناه المناسب له.

13- تعد الأودية الأغزر حضورًا في شعر الصعاليك، إزاء الألفاظ المتصلة بالماء المتعلقة بالتجمعات المائية وتكويناتها، ووردت ضمن دلالتين اثنتين: الأولى دلالة العموم، حيث ذكر الشعراء أودية عامة دون ذكر أسمائها، أو قرينة بيئية تشير إليها، وجاءت في ثمانية مواضع. أما الدلالة الثانية فهي دلالة الخصوص، حيث يسمِّي الشعراء الوادي المقصود باسمه الخاص، أو يضمنون إشارات وقرائن تدل على المكان وتحدده، وتفرد الشاعر القتَّال الكلابي في دقة وصفه لأماكن الأودية وأسمائها دون غيره من الشعراء الصعاليك، ولعل هذا يدل على عنايته الجغرافية وعلمه بالبادية العربية، وربما يشير إلى كثرة ترحاله خصوصًا أنه عاش حياة التشرد متخذًا من الجبال والشعاب موطنًا له نتيجة كثرة الجنايات التي ارتكبها.

14- أسماء الأودية التي وردت في شعر الصعاليك هي: (شبا، والرسيس، وعاقل، والغول، والشطون، وذو سدير، والعرج، وذو العش، وذو البقر، والدواهن، وقضيب، ومبايض، وجو جواذة، والأحص، وعليب، وحلية، وبوى، وقو، وضيم، ويليل).

15- اعتنى الشعراء الصعاليك بذكر البحر ومتعلقاته والألفاظ الدالة عليه على الرغم من اعتباره خارج بيئتهم، وذلك لا ينكر معرفتهم به أو رؤيتهم له، وذكره كل من: حاجز بن عوف الأزدي، وتأبط شرًّا، وقيس بن الحدادية، وعمرو بن برّاقة الهمداني، وصخر الغي الهذلي، وعبدة بن الطبيب، والقتال الكلابي.

16- غلب على توظيف الآبار في شعر الصعاليك دلالة الخصوص، بتحديد اسم البئر وموضعه أو قرائن بيئية تدل على مكانه، بينما لم يكن لدلالة العموم حضور في ذلك. ومن الآبار التي وردت في شعرهم: (بئر مبين، وبئر ذريات، وبئر الشطون، وبئر دريرات، وبئر خَطْمَة).

17- اعتنى الشعراء الصعاليك بتوظيف الندى في ثنايا شعرهم بحسب سياق القصيدة وفكرتها وغرضها، فكان التوظيف باللفظ الصريح والمعنى اللغوي الأصيل حينًا، والاستعمال الكنائي في الإشارة إلى الكرم والسخاء حينًا آخر.

18- استند الشعراء الصعاليك في الألفاظ الدالة على استعمال الماء إلى توظيفها بحسب المعنى الدقيق لها ضمن السياق اللغوي للبيت الشعري، وهو يدل على فصاحتهم، وسعة معجمهم اللغوي، والتمكن من معانيه، مما حقق البلاغة في قصائدهم فيما يتعلق بالألفاظ الدالة على الماء واستعمالاته.

19- لم يلتزم بعض الشعراء الصعاليك بالمعنى اللغوي الدقيق للمفردة واعتماد الانزياح الدلالي في توظيفها ضمن سياقات مختلفة لا علاقة لها بالماء، تكون حسية حينًا، مثل: الدم والدمع والخمر، وتجريدية حينًا، مثل: الوفاء والمروءة والغضب والكذب. وقد أكسب هذا الانزياح الشعر وظيفة جمالية وفنية تتمثل في الصورة الشعرية.

20- غلّب بعض الشعراء الدلالة الهامشية على الدلالة المركزية في الألفاظ الدالة على الماء، ومن أبرز الأمثلة على ذلك تركيب (ندي الكف) حيث خرجت من دلالتها المركزية الدالة على بلل راحة اليد بقطرات الماء، إلى الدلالة الهامشية التي تعني الكرم، واشتهرت الدلالة الهامشية أكثر من المركزية وأصبحت أصلاً دلاليًا.

21- حملت بعض الألفاظ الدالة على الماء تطورًا دلاليًّا بين السلبية والإيجابية بحسب السياق الخاص بالبيت الشعري أولاً، وبالسياق العام للقصيدة ثانيًا.

قائمة المصادر والمراجع

أ. مصادر الدراسة

1- حاتم صالح الضامن، **"شعر قيس بن الحدادية"، مجلّة المورد**، بغداد، 1979م، المجلد الثامن، العدد (9).

2- حاتم صالح الضامن، **المستدرك على دواوين الشعراء**، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999م.

3- الحسن بن الحسين السُّكَّري، **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبدالستَّار أحمد فرَّاج، مراجعة: محمود محمَّد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، د. ت.

4- حميد آدم ثويني؛ كامل سعيد عواد، **السليك بن السلكة: أخباره وشعره**، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1984م.

5- **ديوان تأبَّط شرًّا وأخباره**، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1984م.

6- **ديوان الشنفرى عمرو بن مالك**، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م.

7- **ديوان عروة بن الورد أمير الشعراء الصعاليك**، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

8- **ديوان القتَّال الكلابي**، حققه وقدم له: إحسان عباس، د.ط، دار الثقافة، بيروت، 1989م.

9- شريف راغب علاونة، **عمرو بن برّاقة الهمداني من مخضرمي الجاهلية والإسلام: سيرته وشعره**، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمَّان، 2005م.

10- طلال حرب، **ديوان الشنفرى ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن برَّاق**، ط1، الدار العالمية، بيروت، 1993م.

11- يحيى الجبوري، **شعر عبدة بن الطبيب**، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، 1971م.

ب- مراجع الدراسة

12- **القرآن الكريم.**

13- إبراهيم السامرائي، **التطور اللغوي التاريخي**، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1981م.

14- إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976م.

15-إبراهيم بن إسماعيل الأجدابي الطرابلسي، **كفاية المتحفظ وغاية المتلفظ في اللغة**، تحقيق: عبدالرزاق الهلالي، ط7، مطبعة دار الحرية للطباعة، بغداد، 1968م.
16- إبراهيم بن مراد، **المعَالجة القامُوسيّة للوَحَدات المعْجميّة العربيّة المركبة والمعقّدَة والعبَاريّة**، نظراتٌ في مْنهَج الترتيب، "مجلّة الدراسات المعجميّة بالمغرب"، العدد (7)، 2008م.
17- إبراهيم بن مراد، "الوحدة المعجميّة بين الإفراد والتضام والتلازم"، **مجلّة الدراسات المعجمية**، المملكة المغربية، 2006م، العدد (5).
18- إبراهيم بن مراد، "من مشاكل الترجمة في المعجم"، **مجلّة في الحياة الثقافية**، تونس، أبريل 2006م، العدد (172).
19- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ.
20- أحمد بن فارس الرازي، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
21- أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مطبعة السنة المحمدية، 1955م.
22- أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، **البلدان**، تحقيق: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996م.
23- أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: غريد الشيخ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
24- أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، **الأزمنة والأمكنة**، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند – حيدرأباد، 1332هـ.
25- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، **العقد الفريد**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ.
26- أحمد عزوز، **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002م.
27- أحمد محمد عبيد، **شعراء جاهليون**، المجمع الثقافي، أبو ظبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2001م.
28- تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ط2، دار الثقافة: المملكة المغربية، 1974م.
29- الجوهري، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، مصر، د. ت.

30- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار الريَّان للتراث، 1986م.
31- الحسن بن عبدالله، **بلاد العرب**، تحقيق: حمد الجاسر؛ صالح العلي، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، د. ت.
32- حسن ظاظا، **كلام العرب: من قضايا اللغة العربية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1970م.
33- خالد الحسن الخزينة، **الأنواء في أشعار الهذليين: دراسة وصفية فنية تحليلية**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، السودان، 2005م.
34- خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
35-ابن دريد، **جمهرة اللغة**، ط1، طبعة الدكتور رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م؛ إضافة إلى: ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرأباد- الدكن، 1345هـ.
36- **ديوان الهذليين**، تحقيق: أحمد الزين؛ محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1965م.
37- رشيد الحاج صالح، "التحليل اللغوي ونظرية المعنى عند فتجنشتين"، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل/ يونيو، 2001م، مجلد (29)، العدد (4).
38- رمضان عبدالتواب، **التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه**، ط1، مطبعة المدني، مصر، 1983م.
39- رمضان عبدالتواب، **لحن العامة والتطور اللغوي**، ط1، دار المعارف، مصر، د. ت.
40- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، د. ط، مطبعة التقدم، مصر، د. ت.
41- أبو زيد القرشي، **جمهرة أشعار العرب**، د. ط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، د.ت.
42- ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة: كمال محمد بشر، ط3، مكتبة الشباب، القاهرة، 1972م.
43- سعيد الغانمي، **اللغة والخطاب الأدبي**، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، 1993م.

44- سعيد بن أوس الأنصاري، **كتاب المطر**، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1914م.
45- السيد أحمد عبدالغفار، **التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.
46- السيد أحمد عمارة، **دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق**، مكتبة المتنبي، د. ت.
47- ابن سيده، علي بن إسماعيل، **المحكم**، تحقيق: مجموعة من المحققين، ط1، مكتبة البابي الحلبي، مصر، 1972م.
48- ابن سيده، علي بن إسماعيل، **المخصص**، دار الفكر أوفسيت عن المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، مصر، 1318هـ.
49- الشريف الجرجاني، **التعريفات**، ط1، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المملكة المغربية، 2006م.
50- صلاح الدين سليم محمد، "لفظ الماء وما يدل عليه في نصوص من التنزيل: دراسة دلالية"، **مجلَّة أبحاث كلية التربية الأساسية**، المجلد 9، العدد (4)، كلية العلوم السياسية - جامعة الموصل، 2010م.
51- صلاح مهدي جابر، "معجم ألفاظ الماء"، **مجلَّة أهل البيت**، العدد (7)، د.ت.
52- طاهر سليمان حمود، **دراسة المعنى عند الأصوليين**، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1997م.
53- عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، **معالم مكة التاريخية والأثرية**، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1980م.
54- عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي، **معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ**، ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1982م.
55- عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1403هـ.
56- عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ.
57- عبدالفتاح الصعيدي وحسين يوسف موسى، **الإفصاح في فقه اللغة**، ط1، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
58- عبدالله بن عبدالرحمن ابن عقيل، **شرح ابن عقيل على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط دار العلوم الحديثة، 1964م.

59- عبدالملك بن محمد الثعالبي، **فقه اللغة وأسرار العربية**، ضبطه وعلّق حواشيه وقدم له ووضع فهارسه: ياسين الأيوبي، ط2، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، 2000م.
60- علاء النشمي، **أسطورة الماء في الأديان فكرًا وطقسًا**، مقال منشور في الموقع الإلكتروني لاتحاد الجمعيات المندائية في المهجر، الجمعة، 05 نيسان/أبريل 2013م. http://www.mandaeanunion.org/ar.
61- علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ.
62- علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
63- علي بن محمد بن عيسى، **شرح الأشموني على الألفية**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م.
64- علي زوين، **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث**، "مجلة آفاق عربية"، السنة 15، أيَّار 1990م.
65- علي عبدالواحد وافي، **اللغة والمجتمع**، ط4، مكتبة عكاظ، المملكة العربية السعودية، 1983م.
66- عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق ونشر: عبدالسلام محمد هارون، ط1، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1943م؛ ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ.
67- فؤاد زكريا، **مشكلة البنية**، دار سحنون، تونس، مكتبة مصر، د. ت.
68- الفيروزأبادي، **القاموس المحيط**، دار الفكر، بيروت، 1983م.
69- ابن قتيبة الدينوري، **المعاني الكبير**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984م.
70- محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت- صيدا، 1999م.
71- محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، راجعه وضبطه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوي، ط1، طبعة دار الحديث، 2002م؛ دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
72- محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي، **منتهى الطلب من أشعار العرب**، ط1، تحقيق: محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، 1999م.
73- محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، 1980م.

74- محمد بن محمد حسن شُرَّاب، **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ط1، دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، 1411هـ.
75- محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، تحقيق: حمد بن محمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1415هـ.
76- محمد ثناء الله المظهري، **التفسير المظهري**، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، 1412هـ.
77- محمد رضا الغراوي، **اللب اللباب في غريب اللغة والحديث والكتّاب**، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط1، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، 1968م.
78- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مصطفى حجازي، من إصدارات التراث العربي: سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في دولة الكويت، العدد (16)، مطبعة حكومة الكويت، 1987م.
79- محمد مفتاح، **مجهول البيان**، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990م.
80- محمد ناصر الدين الألباني، **الجامع الصغير**، المكتب الإسلامي، د. ت.
81- محمود السعران، **علم اللغة**، د. ط، القاهرة: دار الفكر العربي، د. ت.
82- محمود بن عمر الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م؛ تحقيق: محمد أبو عامود، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.
83- محمود بن عمر الزمخشري، **المفصل في علم العربية**، ط1، طبع على نفقة محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه (الاستانة ومصر)، مطبعة التقدم بشارع محمد علي، القاهرة، 1323هـ.
84- محمود حمدي زقزوق، **الموسوعة الإسلامية العامة**، مطابع الأهرام، قليوب، مصر، د. ت.
85- **المفضليات**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام محمد هارون، ط6، من منشورات ديوان العرب: مجموعات من عيون الشعر (1)، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
86- ابن منظور، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، 2003م.
87- نصرت عبدالرحمن، **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، دار كنوز المعرفة، عمَّان، 2013م.
88- نعيم بن حماد المروزي، **الفتن**، تحقيق وتقديم: سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1993م.
89- هلال الجهاد، **فلسفة الشعر الجاهلي**، ط1، دار المدى، دمشق، 2001م.

90- ولـيم راي، **المعنــى الأدبــي مــن الظاهراتيــة إلــى التفكيكيــة** ، ترجمــة: يوئيـل يوسـف عزيـز، ط1، دار المـأمون للترجمــة والنشــر، بغـداد، دار الحريــة للطباعــة، د.ت.
91- يـاقوت بـن عبـد الله الحمـوي، **الخـزل والـدأل بـين الـدور والـدارات والـديرة،** تحقيـق: يحيـى زكريــاء عبــارة؛ محمــد أديــب جمــران، منشــورات وزارة الثقافــة، دمشق، 1998م.
92- يــاقوت بــن عبــد الله الحمــوي، **معجــم البلــدان**، د. ط، دار صــادر للطباعــة والنشر، بيروت، 1957م.
93- يحيـى بـن علـي بـن محمـد التبريـزي، **شـرح ديـوان الحماسـة**، د.ط، دار القلـم، بيروت، د.ت.
94- يوســف خليـــف، **الشـــعراء الصـــعاليك فـــي العصـــر الجـــاهلي**، ط3، دار المعارف، القاهرة، مكتبة الدراسات الأدبية، كتاب رقم (8)، 1978م.